﴿ تأليف ﴾

امام أئمة الاجتهاد المطلق . بدر علماء العترة النبوية محمد
ابن ابراهيم الوزير الحسنى اليمنى الصنعاني مؤلف إيثار الحق
على الخلق وغيره المتوفى فى ٢٧ المحرم من سنة ٨٤٠
أربعين وثمانمائة هجرية عن
خمس وستين سنة الا
خمسة أشهر رحمه الله
وإيانا والمؤمنين
آمين

قال المؤلف رحمه الله

منطق الاولياء و[illegible] منطق الانبياء والقرآن
ولاهل اللجاج عند [illegible] منطق الاذكياء واليونان
فاذا ماجمعت [illegible] الفريقين فكن مائلا مع الفرقان

طبع بالقاهرة على نفقة بعض علماء آل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
في سنة ١٣٤٩ هجرية

مطبعة المعاهد بجوار قسم الجمالية بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

يروى المفتقر الى رحمة الله تعالى محمد ابن أمير المؤمنين المتوكل على الله يحيى ابن أمير المؤمنين المنصور بالله محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى حميد الدين جملهم الله فى الدارين

(كتاب ترجيح أساليب القرآن لأهل الايمان على أساليب اليونان فى أصول الاديان وبيان أن ذلك اجماع الاعيان بأوضح التبيان وسائر مؤلفات السيد الامام محمد بن ابراهيم الوزير التى من أجلها

(العواصم والقواصم فى الذب عن سنة أبى القاسم) فى أربع مجلدات ضخمة بالقطع الكبير (والروض الباسم المنتزع من العواصم والقواصم) (وايثار الحق على الخلق فى رد الخلافات الى المذهب الحق) (والبرهان القاطع فى اثبات الصانع وجميع ماجاءت به الشرائع) (وقبول البشرى بالتيسير لليسرى) (وتنقيح الانظار فى علوم الآثار) (وكتاب الامر بالعزلة فى آخر الزمان) (وحصر آيات الاحكام الشرعية) (والتفسير النبوى) (ومجمع الحقائق والرقائق) (والتحفة الصفية) (والتأديب الملكوتى) (وكتاب القواعد) (ونصر الاعيان على شر العميان) وهو المعرى (والحسام المشهور) وغير ذلك من مؤلفاته المفيدة، ورسائله العديدة.

عن جهبذ اليمن المولى الحافظ الحسين بن على العمرى وشيخ الاسلام المولى الحافظ على بن على اليمانى والحاكم الاول بصنعاء اليمن المولى الحافظ زيد بن على الديلمى الحسنى * وثلاثتهم أبقاهم الله تعالى يروونها عن السيد الحافظ أحمد بن محمد ابن محمد الكبسى الصنعانى المتوفى سنة ١٣١٦هـ وهو عن السيد الحافظ

يحي بن المطهر بن إسماعيل الحسني المتوفى سنة ١٢٦٨ عن القاضي الحافظ الشهير محمد بن علي الشوكاني الصنعاني المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ

وهو يرويها في كتابه اتحاف الاكابر باسناد الدفاتر بالسند المتصل بالمؤلف

وهو رضي الله عنه المحيط بجميع العلوم الاسلامية من خلفها وأمامها، والحرى أن يدعى بإمامها وابن إمامها محمد بن ابراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل ابن منصور بن محمد العفيف ابن المفضل بن الحجاج بن علي بن يحي بن القاسم ابن الامام الداعي إلى الله يوسف بن يحي المنصور ابن أحمد الناصر ابن الامام الهادي إلى الحق يحي بن الحسين بن القاسم بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم

مولده في شهر رجب سنة ٧٧٥ خمس وسبعين وسبعمائة هجرية - وأخذ في علوم العربية والادب عن أخيه السيد الامام الهادي بن ابراهيم الوزير وعن القاضي العلامة محمد بن حمزة بن مظفر - وفي الأصول والفروع وعلم اللطيف - عن القاضي العلامة علي بن عبد الله بن أبي الخير والقاضي العلامة عبد الله بن الحسن الدواري الصعدي وغيرهما - وفي التفسير وأصول الفقه - عن السيد العلامة علي بن محمد بن أبي القاسم، وأخذ عن السيد العلامة الناصر بن أحمد بن الامام المطهر الحسني، وعن الشيخ نفيس الدين سليمان بن ابراهيم العلوي التعزي وغيرهم من أكابر علماء عصره بمدينة صنعاء وصعدة وسائر المدن اليمنية . وأخذ بمكة المكرمة عن الشيخ المحدث محمد بن عبد الله بن ظهيرة والشيخ نجم الدين محمد بن أبي الخير القوصي الشافعي والشيخ زين الدين محمد بن أحمد الطبري والشيخ

محمد بن أحمد بن ابراهيم المعروف بأبى اليمن الشافعى والشيخ على بن مسعود بن على بن عبد المعطى الأنصارى المالكى والشيخ المعمر أبى الحسين بن الحسين بن الزين محمد القطب القسطلانى والشيخ على بن أحمد ابن سلامة المكى الشافعى وجار الله بن صالح الشيبانى والشريف أحمد ابن على الحسنى الشهير بالفاسى واستجاز منهم ومن غيرهم

ومن أجل تلامذته السيد محمد بن عبد الله بن الهادى الوزير والامام الناصر صلاح الدين محمد بن على وعبد الله بن محمد بن المطهر وعبد الله ابن محمد بن سليمان الحمزى وغيرهم . وقد ترجمه القاضى الحافظ أحمد بن صالح بن أبى الرجال فى مطالع البدور والسيد الحافظ ابراهيم بن القاسم بن المؤيد الحسنى الشهارى فى طبقات رواة الفقه والآثار تراجم مطولة وترجمه أيضاً القاضى الشهير محمد بن على الشوكانى فى كتابه البدر الطالع ترجمة منها ما نصه

هو الامام الكبير المجتهد المطلق المعروف بابن الوزير تبحر فى جميع العلوم وفاق الاقران ، واشتهر صيته وبعد ذكره وطار علمه فى الاقطار وترجم له السخاوى وترجم له التقى ابن فهد فى معجمه وترجم له الحافظ ابن حجر العسقلانى فى أنبائه فى ترجمة أخيه الهادى

ولا ريب أن علماء الطوائف لا يكثرون العناية بأهل هذه الديار لاعتقادهم فى الزيدية ما لا مقتضى له إلا مجرد التقليد لمن لم يطلع على الاحوال فان فى ديار الزيدية من أئمة الكتاب والسنة عدداً يجاوز الوصف يتقيدون بالعمل بنصوص الادلة ويعتمدون على ما صح فى الامهات الحديثية وما يلتحق بها من دواوين الاسلام المشتملة على سنة سيد الأنام ولا يرفعون إلى التقليد رأساً ولا يشوبون دينهم بشىء من البدع التى

لايخلو أهل مذهب من المذاهب من شيء منها بل هم على نمط السلف الصالح فى العمل بما يدل عليه كتاب الله وما صح من سنة رسول الله مع كثرة اشتغالهم بالعلوم التى هى آلات علم الكتاب والسنة من نحو وصرف وبيان وأصول ولغة وعدم اخلالهم بما عدا ذلك من العلوم العقلية

وبالجملة فصاحب الترجمة ممن يقصر القلم عن التعريف بحاله وكيف يمكن شرح حال من يزاحم أئمة المذاهب الاربعة فمن بعدهم من الائمة المجتهدين فى اجتهاداتهم ، ويضايق أئمة الأشعرية والمعتزلة فى مقالاتهم ويتكلم فى الحديث بكلام أئمته المعتبرين ، مع إحاطته بحفظ غالب المتون ومعرفة رجال الاسانيد شخصاً وحالا وزمانا ومكانا وتبحره فى جميع العلوم العقلية والنقلية على حد يقصر عنه الوصف ومن رام أن يعرف حاله ومقدار علمه فعليه بمطالعة مصنفاته فانها شاهد عدل على علو طبقته وهو إذا تكلم فى مسئلة لايحتاج الناظر بعده الى النظر فى غيره من أى علم كان وكلامه لايشبه كلام أهل عصره ولا كلام من بعده وقد يأتى فى كثير من المباحث بفوائد لم يأت بها غيره كائناً من كان ، ودوان شعره فى مجلد ثم انجمع وأقبل على العبادة وتوحش فى الفلوات وانقطع عن الناس وذاق حلاوة العبادة وطعم لذة الانقطاع الى جناب الحق فصغر فى عينيه ماسوى ذلك الخ كلام الشوكانى

وكان صاحب الترجمة رحمه الله تعالى يتكدر من قول بعض حسدته إنه يخالف أسلافه من أهل البيت عليهم السلام ويذب عن نفسه بمثل قوله فى قصيدة له

دينى كأهل البيت ديناً قيما	متنزهاً عن كل معتقد ردى
ويشك فى ذوو الجهالة والعمى	والشمس لا تبدو لعين الأرمد
إنى أحب محمداً فوق الورى	وبه كما فعل الأوائل أقتدى
وأحب آل محمد (نفسى الفدا	لهم) فما أحد كآل محمد
هم باب حطة والسفينة والهدى	فيهم وهم للظالمين بمرصد
وهم النجوم لخير متعبد	وهم الرجوم لكل من لم يعبد
وهم الأمان لكل من تحت السما	وجزاء أحمد وُدهم فتودد
والقوم والقرآن فاعرف قدرهم	ثقلان للثقلين نص محمد
وكفى لهم شرفاً ومجداً باذخا	شرع الصلاة لهم بكل تشهد
ولهم فضائل لست أحصى عدها	من رام عد الشهب لم تتعدد
سنوا متابعة النبى ولم يكن	لهم غرام بالمذاهب عن يد الخ

ومات بصنعاء اليمن فى يوم ٢٧ المحرم سنة ٨٤٠ أربعين وثمانمائة ﻫ عن خمس وستين سنة إلا خمسة أشهر وقبره بقرب مسجد فروة بن مسيك شمال مدينة صنعاء رحمه الله تعالى

لخص هذه الترجمة بالقاهرة فى رمضان سنة ١٣٤٩ محمد بن محمد بن يحيى زبارة الحسنى اليمنى غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين آمين

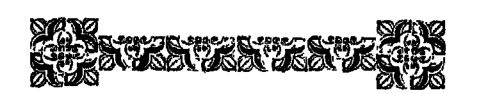

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمدلله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين وصحابته الصالحين ، وكافة عباده الأخيار أجمعين .

الحمد لله الذي جمع بالقرآن العظيم لأهل الاسلام بين أصح العلوم وأوضحها في الافهام ، وأفضل الأعمال وأيسرها على الموفقين من الأنام ، حيث أربى لما أودعه من البراهين العظام على فني المنطق والكلام ، لما فيه من النفع العام للخواص والعوام ، ولسلامته مما اشتملا عليه في الجليات من فضلات الكلام ، والتعب الكثير في مجرد فهم عبارات الفلاسفة الطغام ، وفي الخفيات من التعمق والأوهام ، والمشي وراء الفلاسفة والمبتدعة في مداحض الأقدام ، ولأمر ما فضل الله سبحانه المهرة من حامليه على جميع الاولياء الاعلام ، حيث رفعهم الى مراتب السفرة الكرام ، الذين هم أفضل الملائكة عليهم السلام ، وجعل التفاوت فيما بينه وبين سائر الكلام كالتفاوت فيما بين الرب جل جلاله وبين سائر الانام ، ومثل هذا التفاوت لاتطمح الى دركه الافهام ، ولا تجنح الى تخيله الاوهام ، ويسره سبحانه للذكر على الدوام ، رحمة منه لنا وحجة علينا لايتغيران لمرور الليالي والايام ، وجعل العلم بمحكماته نوراً ساطعاً يرفع كل ضلال وظلام ، ولم يكلف أحداً مالا يعلمه من متشابه كلام الملك العلام ، كما سيأتي نصاً جلياً في كلام أمير المؤمنين علي عليه

السلام ، ولا عسر سبحانه على المكلف فهم ماخاطبه به من دلائل الايمان والاسلام ، وشرائع الحلال والحرام ، وفوائد الاخبار وسائر الأحكام ، وبدائع البلاغة الموصوفة بالتشابه والاحكام ،

والى من نزل عليه ليهتدى به الانام ، فنص من فضائله على ما يكل الالسنة والاقلام ، أوجه أفضل الصلاة والتحيات والسلام ، وعلى آله الأئمه الاعلام ، الذين رووا من فضائله مايشفى الاوام ، ويلصق أنوف الجاحدين بالرغام .

(أما بعد) فانه نبغ فى هذا الزمان من عادى علوم القرآن ، وفارق فريق الفرقان ، وصنف فى التحذير من الاعتماد على مافيه من التبيان ، فى معرفة الديان ، وأصول قواعد الاديان ، وحث على الرجوع فى ذلك إلى معرفة قوانين المبتدعة واليونان ، منتقصاً لمن اكتفى بما فى معجز التنزيل من البرهان ، مقبحاً لتلقى كثير من محكماته بالقبول والايمان ، لاجرم أن الله تعالى وإن وصفه بأنه لقوم هدى ، فقد وصفه بأنه على قوم عمى ، فحسبوه حين عموا عنه وصموا أنه لأمر يرجع الى ذاته ، والخلل يعود الى بين آياته ، ولم يعلموا أن ذلك يخصهم لما فى قلوبهم من العمه والعمى ، والرداءة والردى ، فكأنهم المنافقون ريباً وخبثاً وبهتاناً ، حين قالوا ايكم زادته هذه ايماناً .

ومن يك ذا فم مر مريض * يجد مراً به الماء الزلالا

ومن العجب أنه يتعاطى العلم بالذات وبالصفات ، ويتأول جميع المتشابهات ، كما يعلمها علام الغيوب والخفيات ، مع منعه غيره من الاعتماد

فى التوحيد على الآيات المحكمات، وأمهات المتشابه البينات، وما هذه الا مضادة للمعقولات، ومناقضة للمنقولات، فما أصح مامنعه وعده من المحال، وأبعد ماتعاطاه من مناسبة الحال، كما يتضح إن شاء الله عند ذكر أدلة الاقوال، وتنقيح البراهين والاستدلال، فلولا ذلك لاستوى العالم والجاهل، وتشابهت المناهج والمجاهل، وقال من شاء ماشاء، وعاد الخبر المحتمل للنقيضين كالانشاء. وقد رأيت التقرب الى الله تعالى ببيان نقض ماادعاه فى الامرين. وإفساد جميع ماتعاطاه مفصلا فى فصلين. رجاء أن أكون من الذين قال الله تعالى فيهم « ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل إليك من ربك الحق ويهدى إلى صراط العزيز الحميد » ولما ورد فى فضل من انتهر صاحب بدعة. من غير رياء ولا سمعة. مع الاشارة الى جمل شافية فى فضل كتاب الله تعالى وفضل حامليه، وذكر نبذ من الاخبار الواردة فيه، وبيان بعض مااشتمل عليه من الدلائل، المغنية فى الاعتقاد عن الاشتغال بكتب الاوائل

الفصل الاول

فى بطلان ماادعاه من قصور القرآن عن الوفاء بالدلالة على الربوبية والتوحيد والنبوات. وبيان خلافه فى ذلك للمعقول والمنقول واجماع المسلمين

مقدمة

فى التنبيه على عظم قدر القرآن وأنه فى ذلك أجل نفعا وخطراً وقدراً

وأثراً من جميع تصانيف المتقدمين المتعمقين . وتدقيق المتكلمين .
وهو أنواع :

﴿ النوع الأول ﴾ قال الله جل جلاله « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله » وقال سبحانه « ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى » فما كان لعظيم قدره ونفعه وبركته ونوره وهدايته وسره وخاصيته التي لا يحيط بمعرفتها على التفصيل والتحقيق الا الله عز وجل بحيث يؤثر في الجبال الراسيات . والصخور القاسيات . فكيف لا يؤثر في قلب المتدبر له . المتعلم منه ، المعول في جميع المهمات عليه . الراجع في اقتباس نور الهدى اليه . وأي كتاب يوجد في العالم موصوف بمثل هذا الوصف ، والواصف له الملك الرب الجليل علام الغيوب الذي يستحيل عليه الخطأ ، والتعظيم لما لا يستحق التعظيم ، والغلو القبيح في الكلام بغير الحق . فكيف يترك ما في هذا الذكر المبين ، من البراهين ، ويعتمد على تآليف المخلوقين ، وأساليب الجدليين ؟

ثم تورد اشكالات على نصوصه النيرة ، وشكوك في علومه البينة ، ويعاب من دعا إلى الاعتماد عليه ، ويضلل من كان رجوعه في المشكلات اليه

﴿ النوع الثاني ﴾ قال الله تعالى « أو لم يكفهم أنا أنزلنا اليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون » وقال عز وجل « فبأي حديث بعده يؤمنون » وقال تبارك وتعالى « أفلا يتدبرون

القرآن أم على قلوب أقفالهـا »

فهذه الآيات وأمثالها الواردة بصيغة الاستفهام المتضمن معنى الانكار فيها مبالغة واضحة عند علماء البلاغة فى وضوح كفايته ، ودلالته على وجوب الايمـان وعظم النفع فى تدبره بحيث لا يماثله فى هذه الاشيـاء غيره ولا يقاربه

﴿ النـوع الثالث ﴾ قال الله عز وجـل « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » وما فى معناها من الآيات

فالاشـتغال بالنظر فى علوم هـذا المعجز الجليل الذى أعجز الخلق أجمعين بالنصوص القرآنية والضرورة العقلية ، أولى من الاشتغال بعلوم الامثال والاجناس من سـائر الناس . فالعائب لمن دعا إلى هذا خارج عن العلم وأهله لاحق بالعالم البهيمى فى فاحش جهله .

﴿ النوع الرابع ﴾ قوله تعالى « ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على عـلم هدى ورحمة لقوم يؤمنون » فانظر إلى موقع قوله فصلناه على عـلم وما دل عليه من مطابقة ما اشتمل عليه القرآن من الايجاز فى موضعه والاكتفاء بالجملة فى موضعه لما تقرر فى علم الله تعالى بالغيوب من مصالح المؤمنين الذين خصهم بأنه هدى لهم ورحمة ، فأى كتاب فصل على علم مثل هذا العلم الذى صدر عنه تفصيله ؟ ونحو ذلك قوله « الحمد لله الذى أنزل على عبده الـكتاب ولم يجعل له عوجا قيما » فان معنى القيم المنفى عنه العوج هو الذى بلغ الغاية القصـوى فى الاحـكام والاتقان ، وانتفاء الخطأ والتعارض

والتناقض وايهام الضلال . والعوج بكسر العين يختص المعانى وبفتحها يختص الاجسام وانما جمع بين نفى العوج واثبات القيومية له وأحدهما يغنى عن الآخر تأكيداً لذلك ومبالغة فيه فكيف يقوم مقامه سواه أو يساوى كتاب بكتاب الله تعالى

﴿النوع الخامس﴾ قوله تعالى «كتاب أنزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين» وفى معناها «فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما» وانما كانت فى معنى الاولى لان القرآن آكد مما قضى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبعد من كل ريب فمن استراب فى شىء منه فهو فيما سواه أعظم ريباً ومن ولع بالنظر فى دقائق الكلام المختلف فيها بين أهله وأعرض عن التدبر لكتاب الله والفرق بين نصوصه وظواهره وخصوصه وعموماته من غير أن يحكم دليل ماقطع به و يستوثق من صحته

ثم يسمع نصوص القرآن تخالف ماهو عليه فيعتقد فيها من تمحل وجوه المجاز ما لا يصح مثله فى العربية ولا موجب له لو حقق النظر فى فى الفطرة السليمة العقلية ، وذلك مثل من يقطع على استحالة تسبيح الطير وغيرها من الحيوان مع قوله تعالى «والطير صافات كل قد علم صلوته وتسبيحه» وقوله «وان من شىء الا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفوراً» وقوله تعالى حكاية عن نبيه سليمان عليه أفضل الصلاة والسلام «ياأيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل

شيء ان هذا لهو الفضل المبين » وقوله تعالى« وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم مافرطنا فى الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون » وقوله عز وجل « قالت نملة ياأيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون فتبسم ضاحكا من من قولها » الآية وقوله تعالى حكاية عنه عليه السلام « وتفقد الطير فقال مالى لاأرى الهدهد أم كان من مغائبين * لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين * فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين * إنى وجدت امرأة تملكهم» الآيات إلى السجدة وقد تأولها الزمخشرى الا كلام النملة والهدهد فلم يستطع ولزمه بذلك الحق وان كان اقراره بكلامهما يدل على جواز الجميع وليس المسوغ للتأويل الا عدم الجواز واعتذارهم بالفرق بأن كلام النملة والهدهد معجز خارق لأن للحيوان البهيمى كلامامردود بوجوه خمسة: منها أن المعجز لا يكون الا بعد الدعوى للنبوة على وجه يعلمه المكذب والمستدل وعلم كلام الطير والنملة من خواصه عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى «علمنا منطق الطير» ومنها ان قوله فى الهدهد لاعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه يدل على أنه عاقل مستحق للعقوبة . وثالثها ان قوله سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين دليل على أنه متكلم مختار ولو كان ذلك معجزا لكان الكلام فى الحقيقة لله تعالى عز وعلا ولو كان كذلك لوجب العلم بصدقه . ورابعها ان قوله تعالى فى النملة « فتبسم ضاحكا من قولها» دليل على ذلك ولو كان معجزا منسوبا الى الله تعالى لم يكن لضحكه منه وجه ولكان بالروعة

منه والاجلال له أولى. وخامسها انه لامانع فى العقل من صحة ذلك ألبتة ونحن نشاهد لها من الحزم منا والبعد من المضار وحسن الحيلة فى كسب المعيشة والتآلف والتعارف والتعاون والتفاهم مايؤيد ذلك مع ماجاء فى الحديث على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المبين لكتاب الله تعالى من ذلك وقد ذكر الامام المهدى محمد بن المطهر (١) عليهما السلام جملة صالحة من ذلك فى تفسير قوله تعالى « ويلعنهم اللاعنون » وذكر فيه ماذكره السيد الامام الناطق بالحق ابو طالب فى أماليه من كلام الثعلب وطول الكلام فى هذا فى قدر كراس فى كتابه عقود العقيان ومن مواضع ذلك كتاب الشفاء بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم للقاضى عياض رحمه الله تعالى فانه افرد ذلك فى فصل تركته اختصارا والقصد بذكر هذا تمثيل ماحذرت منه من التزم الايمان بما فى كتاب الله تعالى مما تناوله بعض المتكلمين ويعتقدون القطع ببطلان صحته ويتمحلون له من التجوز مايتنزه أحدهم عن مثله فى كلامه وبيانه

﴿ النوع السادس ﴾ انه قد اختص من شرائف الصفات بما لم يشاركه فيه غيره من كونه كلام الله تبارك وتعالى، وكونه معجزا ومن أنه قرآن مجيد فى لوح محفوظ، وقرآن كريم فى كتاب مكنون، وكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وانه نور، وانه شفاء لما فى الصدور ومنه قوله تعالى « ويرى الذين أوتوا العلم الذى انزل اليك من ربك هو الحق ويهدى إلى صراط العزيز الحميد » فجعل أهل العلم الحق الذين هم العلماء حقا هم المختصون بمعرفة ذلك

(١) الاشارة الى كلام الامام محمد بن المطهر في كلام الحيوان البهيمي

وكذلك فى الحديث عن على عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «القرآن هو الشفاء» رواه السيد ابو طالب فى أماليه وابن ماجه بنحوه فى كتاب الطب من سننه فاسبب نقصانه وقصوره؟ فان ادعى هذا الجاهل ان السبب انه لم يذكر فيه حجة أكذبته نصوص القرآن ونصوص علماء الاسلام وان ادعى ان القصور فى عبارته أكذبته الضرورة والاجماع

﴿ النوع السابع ﴾ مما يدل على تعظيم القرآن عقلا ان العقلاء مازالوا يستدلون على حسن الكتب وعظم نفعها بمقدار صاحبها وقالت العرب «وكل اناء يرشح بما فيه» ولا شك ان تآليف العلماء قد تفاضلت على قدر علومهم والقرآن كلام علام الغيوب وقد أنزله هدى وشفاء ونورا وبيانا ولا شك ان فى العلوم مصالح ومفاسد كما فى قوله تعالى فى تعلم السحر «ويتعلمون مايضرهم ولا ينفعهم» وقال فى الساعة «أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى» وقال «ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الأمر» وقال تعالى « ياأيها الذين آمنوا لاتسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم الى قوله قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا لها كافرين» وفى قوله تعالى للحواريين« إنى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عذابا لا اعذبه أحداً من العالمين» اشارة الى ان زيادة العلم فى بعض المواضع قد تكون سببا فى زياة العذاب فيكون مصلحة فى طى كثير من العلوم واليه الاشارة بقوله عز وجل «ومامنعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون» وفى سبب نزولها حديثان عن ابن عباس وجابر بن عبدالله

رضى الله عنهما ورجال الصحيح كل منهما رجال خرجهما الهيثمى فى مجمع الزوائد مفرقين فى تفسير سورة هود وتفسير الاسراء فاذا تقرر هذا فالرجوع الى كتاب من يعلم من مصالحنا ومفاسدنا مالا نعلمه أولى بنا والله يعلم وأنتم لاتعلمون وهذا كله بعد علمنا بانه كلام الله بدليل المعجزات وطريقة السلف كما سيأتى بيانه مبسوطا ان شاء الله تعالى

﴿النوع الثامن﴾ ماثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واهل بيته من الحث على الرجوع الى كتاب الله وتفضيله على غيره مما فيه خير وهدى وتقصّى ذلك يطول ويمل فلنقتصر من ذلك على حديث مشهور يذكر بامثاله وذلك مما رواه السيد الامام أبو طالب (١) عليه السلام فى أماليه والحافظ المحدث ابو عيسى الترمذى فى جامعه من حديث الحارث بن عبد الله الهمذانى صاحب على عليه السلام قال مررت فى المسجد فاذا الناس يخوضون فى الأحاديث فدخلت على على عليه السلام فاخبرته فقال اقد فعلوها قلت نعم قال اما انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول « الا انها ستكون فتنة قلت فما المخرج منها يارسول الله قال كتاب الله فيه نبأ ماقبلكم وخبر مابعدكم وحكم مابينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذى لاتزيغ به الاهواء ولاتلتبس به الألسنة ولايشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه هو الذي لم ينته الجن

---

(١) حديث شريف عن أمالي الامام ابى طالب والترمذى فى الرجوع الي القرآن

إذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به من قال
به صدق ومن عمل أجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدى الى صراط
مستقيم انتهى هذا الحديث الجليل وقد رواه السيد الامام أبو طالب
عليه السلام فى أماليه بسند آخر من حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنحوه ورواه أبو السعادات ابن
الأثير فى جامع الاصول من طريق ثالثة من حديث عمر بن الخطاب
ولم يزل العلماء يتداولونه فهو مع شهرته فى شرط أهل الحديث متلقى بالقبول
عند علماء الاصول فصار صحيح المعنى فى مقتضى الاجماع والمنقول والمعقول

﴿النوع التاسع﴾ اجماع علماء الاسلام من جميع الطوائف على ان
القرآن يفيد ما ادعيت من معرفة أدلة التوحيد من غير ظن ولا تقليد
وكما ان المتكلم ينظر فى كتب شيوخه ليتعلم منها الأدلة من غير تقليد
غيره فكذلك من نظر فى القرآن يتعلم منه الادلة من غير تقليد بل القرآن العظيم
هو الذى منه تعلم المتكلمون النظر لكنهم غالوا فى النظر ولم يقتصروا
على القدر الكافى النافع المذكور فى كتاب الله تعالى وذلك يتضح
بايراد كلام علماء الفرق المختلفة فى المصنفات الشهيرة وعدم انكار
شىء من ذلك على أحد منهم فى الازمنة الطويلة والقرون العديدة مع
اختلافهم واختلاف المقررين لهم أغراضاً وبلدانا وانسابا وازمانا لم تجمعهم
بلد ولا مذهب ولا زمن ولا نسب ولا غرض فأولهم أبو الأئمة وامام
الأمة أمير المؤمنين وحجة المحققين على عليه السلام وهو مشهور عنه فى
نهج البلاغة وغيره روى السيد الامام أبو طالب عليه السلام من ذلك ما يكفى
ويشفى ولم يتأوله كما هو عادته فيما يجب تأويله عنده فقال اخبرنا أبى رحمه الله قال

أخبرنا أبي رحمه الله قال أخبرنا ابو محمد عبدالله بن احمد بن عبدالله بن سلام قال اخبرنا أبي قال حدثنا ابراهيم بن سليمان قال حدثنا على بن الخطاب الخثعمى قال حدثنا أحمد بن محمد الانصارى عن بشير عن زيد بن أسلم أن رجلا سأل أمير المؤمنين علياً عليه السلام في مسجد الكوفة فقال يا أمير المؤمنين هل تصف لنا ربنا فنزداد له حباً وبه معرفة، فغضب على عليه السلام ونادى الصلاة جامعة فاجتمع الناس حتى غص المسجد بأهله ثم صعد المنبر وهو مغضب متغير اللون فحمد الله تعالى وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم سرد الخطبة إلى قوله أيها السائل اعقل ماسألتنى عنه ولا تسأل أحداً عنه بعدى فاني أكفيك مؤنة الطلب، وشدة التعمق في المذهب، فكيف يوصف الذى سألتنى عنه وهو الذى عجزت الملائكة مع قربهم من كرسى كرامته وطول ولههم به وتعظيمهم لجلال عزته وقربهم من غيب ملكوت قدرته أن يعلموا من علمه إلا ماعلمهم وهم من ملكوت القدس بحيث هم من معرفته على ما فطرهم عليه فقالوا سبحانك لا علم لنا إلا ماعلمتنا إنك أنت العليم الحكيم، فعليك أيها السائل بما دل عليه القرآن من صفته وتقدمك فيه الرسل بينك وبين معرفته فأتم به واستضئ بنور هدايته إنما هى نعمة وحكمة أوتيتها فخذ ماأوتيت وكن من الشاكرين وما كلفك الشيطان علمه مما ليس عليك في الكتاب فرضه ولافى سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا عن أئمة الهدى أثره فكل علمه إلى الله سبحانه فانه منتهى حق الله عليك .

وله عليه السلام نحو هذا في وصيته لولده الحسن عليه السلام وهى خير وصية من

خير موص إلى خير موصى إليه وستأتى فينبغى تأملها حق التأمل والعمل بما فيها ومراغمة المبتدعة بها

ومنهم من أئمة العترة الطاهرة الامام المؤيد بالله يحيى(١)بن حمزة عليه السلام فانه ذكر فى أوائل كتابه التمهيد فى القول بوجوب النظر فقال إن أكثر القرآن مشتمل على ذكر الأدلة وشرحها . قال عليه السلام ولنذكر منها آية واحدة ليقاس بها الباقى وهى قوله تعالى « أوَلم يرَ الإنسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين » إلى آخر السورة فالله تعالى حكى فى هذه الآية انكار المنكرين للاعادة وقرر وجه شبههم وأجاب عن كل واحدة منها بجواب يخصه وطول فى بيان ذلك إلى قوله وأما الآيات الدالة على إثبات الصانع وصفاته والنبوة والرد على منكريها فاكثر من أن تحصى * ومن علماء العترة وساداتهم الذين ذكروا ذلك وحثوا عليه وصنفوا فيه السيد العلامة يحيى بن منصور رحمه الله تعالى ومن أواخر ماصنف فى ذلك كتابه المسمى بالجمل الاسلامية فانه شحنه بالاحتجاج بالآيات القرآنية*ومن علماء الزيدية وقدماء الشيعة محمد بن منصور الكوفى المتفق على علمه وفضله وقد بالغ فى هذا المعنى وصنف فيه كتابا مفرداً سماه كتاب الجملة والالفة ونقل منه السيد العلامة أبو عبد الله محمد بن على ابن عبد الرحمن العلوى الحسنى فى كتابه الجامع الكافى الذى لم يصنف فى فقه الزيدية مثله فقال فى المجلد السادس منه فى كتاب الزيادات مالفظه وإنما جاءت الرسل عليهم الصلاة والسلام بغاية الحجه على من سألها ما بين الله وأنزل فى كتبه اليها ولم يعد ذلك إلى غيره ولن تكون حجة أبلغ على الله من

(١) الحسينى صاحب الطراز المتوفى بمدينة ذمار فى سنة ٧٤٩ هجرية

حجج الانبياء عليهم السلام التى بلغوها عن الله تعالى خلقه ولا أهدى لهم إن قبلوها قال الله تعالى «قالت لهم رسلهم أفى الله شك فاطر السموات والارض» وقال إبراهيم فى محاجة قومه «أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لى الا رب العالمين الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين إلى قوله والذى يميتنى ثم يحيين» فدلهم عليه بالقدرة والتدبير ـ وقال موسى عليه السلام فى مسألة فرعون إذ يقول « من ربكما ياموسى قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى، قال فما بال القرون الاولى، قال علمها عند ربى فى كتاب لايضل ربى ولاينسى» الآية وقال فرعون ومارب العالمين قال موسى «رب السموات والارض ومابينهما إن كنتم موقنين» وقال موسى عليه السلام فى آية أخرى « رب المشرق والمغرب ومابينهما إن كنتم تعقلون» فلم يتعد موسى عليه السلام فى الجواب عند مسألة فرعون إياه غير ما أنبأه الله به فى الكتاب ، وفرعون اللعين اعمى العمين وأعتى العاتين وأخبث المتعنتين اجابه موسى عليه أفضل الصلاة والسلام عن الله عز وجل بالدلالة من خلق الله عليه ، وكذلك محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم حين سأله قومه عن الله عز وجل إذ يقولون من يعيد نا فأمره الله تعالى بالجواب لهم «قل الذى فطركم أول مرة» وقال من لا شريك له «أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهى رميم» وقال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم «قل يحييها الذى أنشاها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون» فلم يكلف سبحانه نبيه صلى الله عليه وعلى آله

وسلم من الحجة والجواب غير ماقاله فى الكتاب وبلغنا أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال له قومه انسب لنا ربك فنزل عليه جبريل عليه السلام بسورة قل هو الله أحد انتهى بحروفه وهذا أيضاً قول المعتزلة ممن صرح به منهم قاضى القضاة عبد الجبار فانه قال فى المجلد الرابع من المحيط فى النبوات فى ذكر إعجاز القرآن مالفظه واتفق فيه ايضاً استنباط الادلة التى توافق العقول وموافقته ما تضمنه لاحكام العقل على وجه يبهر ذوى العقول ويحيرهم فان الله سبحانه بينه على المعانى التى يستخرجها المتكلمون بمعاناة وجهد بألفاظ سهلة قليلة تحتوى على معان كثيرة كما ذكره عز وجل فى نقض مذاهب الطبيعيين فى قوله تعالى « وفى الارض قطع متجاورات الآية » وفى الآيات التى ذكرها فى نفى الثانى وفى غير ذلك من الابواب التى لاتكاد تحصى انتهى بحروفه (ومنهم الحاكم أبو سعيد المحسن بن كرامة) فانه قال فى شرح العيون فى الفصل السابع منه مالفظه فلا شبهة أنه دعاهم يعنى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى هذه الاصول والنظر فى الادلة بما تلا عليهم من الآيات فى أدلة التوحيد والنبوات

ومنهم مختار بن محمود أحد ناصرى مذهب ابى الحسين البصرى فانه قال فى كتابه المجتبى فى الاستدلال بطريقة الاحوال فى الطريق الرابع من الباب الثانى بعد ذكر الاستدلال وقد جمعها الله تعالى فى قوله « إن فى خلق السموات والارض الى قوله لآيات لقوم يعقلون » وقال فى مسألة الاطفال إن التمسك بكتاب الله المبين أقوى أركان أصول الدين وكذلك هو قول سائر الطوائف * وقال القاضى عياض فى الشفاء فى ذكر إعجاز القرآن

ومنها: جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا محمد صلى الله عليه وآله وسلم قبل نبوته خاصة معرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها أحد من علماء الامم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرائع والحجج والتنبيه على طرق الحجج العقلية والرد على فرق الامم ببراهين قوية وأدلة بينة سهلة الالفاظ موجزة المقاصد رام المتحذلقون بعد أن ينصبوا أدلة مثلها فلم يقدروا عليها كقوله «أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم. وقوله تعالى قل يحييها الذى أنشأها أول مرة. وقوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا» إلى ما حواه من علوم السير وأنباء الامم والمواعظ والحكم* وقال الفخر الرازى الاشعرى فى كتابه الاربعين فى الكلام على النبوات فى ذكر المعجزات العقلية: بل أقر الكل بأنه لا يمكن أن يزاد فى تقرير الدلائل على ما ورد فى القرآن* وقال الغزالى وهو من أئمة الطائفة الشافعية فى الفقه والاصول فى الاصل الاول من الركن الاول من الرسالة القدسية فى معرفة وجود الرب تعالى: وأولى ما يستضاء به من الابواب ويسلك من طريق النظر والاعتبار ما أرشد اليه القرآن فليس بعد بيان الله بيان ثم ساق الآيات القرآنية *وقال صاحب الوظائف فى مذهب أهل الحديث والاثر فى الدليل على معرفة الخالق سبحانه ووحدانيته وعلى صدق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعلى اليوم الآخر: وأدلة هذه الامور فى القرآن. أما الدليل على معرفة الخالق فثل قوله تعالى «قل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الامر فسيقولون الله»

وقوله «أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج والارض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب . ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد) وقوله تعالى (فلينظر الانسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا) وقوله تعالي (ألم نجعل الارض مهاداً والجبال أوتاداً إلى قوله وجنات ألفافا) وأمثال هذه الآيات وهى قريب من خمسمائة آية ينبغى للخلق أن يعرفوا جلال الله وعظمته بقوله الصادق المعجز إلى قوله فان الدلالات الشرعية الصادرة عن اللطيف الخبير وعن رسوله البشير النذير صلى الله عليه وآله وسلم تقنع وتسكن النفوس وتغرس فى القلوب الاعتقادات الصحيحة الجازمة. وأما الدليل على وحدانيته فيقع بما فى القرآن من قوله تعالى (لوكان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) ونظائرها* وأما صدق رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فيستدل عليه بقوله (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا) ونظائرها وأما اليوم الآخر فيستدل عليه بقوله (قل يحييها الذى أنشأها أول مرة) وبقوله (أيحسب الانسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) وبقوله (ياأيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة الى قوله وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شىء قدير)

وأمثال ذلك فى القرآن كثيرة فهذه أدلة قاطعة جلية تسبق إلى الافهام ببادىء الرأى وأول النظر ويشترك كافة الخلق فى دركها فأدلة القرآن والسنة مثل الغذاء ينتفع به كل إنسان بل كالماء الذى ينتفع به الصبى والرضيع والرجل القوى ولهذا كانت ادلة القرآن سائغة جلية الاترى أن من قدر على الابتداء فهو على الاعادة أقدر وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه . وأن التدبير لاينتظم فى دار واحدة بمدبرين فكيف ينتظم فى جميع العالم وأن من خلق علم ثم خلق كما قال تعالى «الايعلم من خلق وهو اللطيف الخبير» فهذه أدلة تجرى مجرى الماء الذى جعل الله منه كل شىء حيا إلى آخر كلامه . وبالجملة فتقصى كلام علماء الاسلام فى مثل هذا يمل والحاجة الى الاحتجاج عليه من عود الدين غريبا من أدل دليل على عناد المخالف .

وليس يصح فى الافهام شىء إذا احتاج النهار الى دليل

﴿فصل﴾ فى ذكر ماتيسر من نصوص أهل البيت عليهم السلام على الاكتفاء بالجمل والحث على ذلك وكراهة الغلو في علم الكلام ليعلم بذاك مذهبهم ويعلم به كذب مدعى إجماعهم على خلافه من ذلك قول على عليه السلام فى فى وصيته لولده الحسن عليهما السلام «واعلم يابنى أن أحب ما أنت آخذ به من وصيتى تقوى الله تعالى والاقتصار على مافرضه الله عليك والاخذ بما مضى عليه الاولون من آبائك والصالحون من أهل بيتك فانهم لم يدعوا النظر لانفسهم كما أنت ناظر وفكروا كما أنت مفكر ثم ردهم آخر ذلك إلى الاخذ بما عرفوا والامساك عما لم يعرفوا . فان أبت نفسك أن تقبل

ذلك دون أن تعلم كما علموا فليكن طلبك ذلك بتفهّم وتعلم لا بتورط الشبهات وغلو الخصومات إلى آخر ما ذكره فى هذا المعنى فى نهج البلاغة.
وتأوله ابن ابى الحديد بما يستحيى من ذكره: من أن ذلك لعلم على عليه السلام بقصور ولده الحسن عليه السلام من درك هذا العلم. وكفى شاهدا على بطلان هذه البدعة ما أدت اليه من تفضيل شرار القرون فى قواعد الايمان على ريحانة المصطفى سيد شباب أهل الجنة المجمع على إمامته بعد أبيه عليهما السـلام وكونها لا تصح إلا مع تعسف التأويلات الرادة لـكتاب الله عز وجل ثم لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسـلم ثم لاقوال السلف وأفعالهم وتقريراتهم ثم لنصوص الائمة من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وكيف يظن بامير المؤمنين أنه يجعل وصيته لولده الحسن من أغمض المتشابهات وأدق الشبهات ؟ هيهات هيهات لولا دفع الضرورات . وابتغاء الفتنة بالتأويلات . ومن ذلك ماتقدم قريبا عن على عليه السـلام فى الرجوع إلى كتاب الله . والذى حمل ابن ابى الحديد مع علمه على ذلك التأويل ظنه أن ذلك الـكلام يستلزم جواز الجهل بالله تعالى وتقليد كل أحـد لاهله . وليس كذلك لانه إنما امره باتباع الاولين من أهله وهم حجج الآله على البرايا منهم على عليه السلام المنصوب علما عند الاختلاف بل منهم رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم الذى شهدت بصدقه الآيات والمعجزات لـكنه امره أن يكتفى بالدليل الجلى الدال على صدقه الذى علم على عليه السلام أن الحسن قـد عرفه ونهاه عن التعرض للتفاضل والله أعلم * ومن ذلك قول على عليه السلام لم يطلع العقول على تحديد صفته ولم

يحجبها عن واجب معرفته فهو الذى تشهد له أعلام الوجود على اقرار قلب ذوى الجحود . ونصره ابن أبى الحديد فى شرحه وعزا نصرته إلى قاضى القضاة قال وليس هو قول الجاحظ لان الجاحظ ادعى فى جميع المعارف انها ضرورية وهذا فى معرفة إثبات الصانع فقط ولفظه: ونحن ما ادعينا فى هذا المقام إلا أن العلم بإثبات الصانع فقط هو الضرورى فاين أحد القولين من الآخر انتهى بحروفه. ومن ذلك ماذكره المؤيد بالله فى الزيادات فى ذكر مسائل الاجتهاد فقال مالفظه : والاولى عندى الاحتياط فى مسائل الفقه ماأمكن والتوقف فى مسائل الكلام . وقال بعد ذلك فى فصل فيما يجب على القاضى والمستقضى: والاولى عندى ترك الخوض فيما لا تمس الحاجة إلى معرفته من علم الكلام لان الصحيح من المذهب أن الجهل قبيح ويجوز أن يصير الى حالة يستحق صاحبها الخلود فى النار وهذا غير مأمون كونه لو نظر فى مسئلة من الكلام وأخطأ ولم يشتغل بها وترك النظر فيها أمن من ذلك ولو أصاب كان ما يستحق من الثواب على الاصابة يسيراً . والعاقل إذا اختار الحزم اختار الاعراض عنها دون النظر فيها وهذا كرجل يقال له: إن خرجت إلى الديلم أعطيتك ديناراً وهو يملك مائة درهم ولا حاجة له إليه ويكون فى الطريق خطر وهو يعلم أنه ربما يناله ضرر يؤدى الى تلف النفس. فالعاقل الحازم يختار فى مثل ذلك ترك سلوكه . وكل ذلك فيما لا يجب عليه فى الوقت من المسائل . وإن كان فيما بعد يجوز أن تتفق له شبهة يجب عليه النظر فى حلها وربما يحتاج الى علوم كثيرة تحلها فبالأهم يجب أن يشتغل

ألا ترى أن من ترك طلب قوت يومه وهو يحتاج اليه واشتغل بتحصيل

قطن يحتاح اليه بعد شهر للبس الشتاء لا يرضى فعله . اهـ بحروفه

ومن ذلك ما أورده السيد العلامة أبو عبد الله الحسني فى كتابه الجامع الكافى فقه الزيدية فى المجلد السادس منه فى ذم ما أحدث الناس من علم الكلام والامر بلزوم السنة وما درج عليه السلف فانه طول فى ذلك ونقله عن عيون أئمة العترة المجمع على علمهم وفضلهم مثل على بن الحسين وولده زيد وحفيده جعفر الصادق وعبد الله بن موسى وأحمد بن عيسى بن زيد والحسن بن يحيى بن الحسين بن زيد بن على رضى الله عنهم

ومحمد بن عبد الله النفس الزكية ، وابراهيم بن عبد الله ، والقاسم بن ابراهيم ، وأخيه محمد بن ابراهيم ، ورأس شيعتهم العالم الكبير محمد بن منصور وصنف فى ذلك كتاب الجملة والالفة .

قال محمد بن منصور فى كتاب أحمد بن عيسى ، كان عبد الله بن موسى رضى الله عنه يكره الكلام فيما أحدث الناس وكان إذا ذكر له رجل ممن يتكلم فيما أحدث الناس من الكلام يقول اللهم أمتنا على الاسلام ويمسك

وقال محمد فى كتاب الجملة ، رأيت أحمد بن عيسى يترحم على من يقول بخلق القرآن ومن لا يقول به . وكان عنده الاخذ بالجملة محمودا ، وترك ما فيه الفرقة وهو عنده الاتباع للسلف . وقال محمد بن منصور فى كتاب الجملة وذكر اختلاف الناس واكفار بعضهم بعضاً فقال رأيت المتفرقين وعاشرت المختلفين من الخاصة والعامة من علماء آل الرسول وأهل الفضل منهم ومن غيرهم من أهل العلم والفضل من الشيعة الموجبين إنكار المنكر وحياطة الدين فما رأيتهم يكفر بعضهم بعضاً ولا يستحلون ذلك

ولا يتبرأ بعضهم من بعض ، بل قد رأيت بعضهم يتولى بعضاً ويترحم عليه بعد المعرفة منهم بمخالفة بعضهم لبعض. ثم سرد أشياء مما شاهده من ذلك عن القاسم وغيره الى قوله وكان عمرو بن الهيثم من أصحاب سليمان بن جرير يقول بخلق القرآن وسمعته يقول لارحم الله ابن أبى دؤاد كان الناس على جملة تؤديهم الى الله فطرح بينهم الفرقة يعنى حين أظهر المحنة فى القرآن

قال محمد بن منصور وكان عمرو بن الهيثم وبشر بن الحسن ومحمد ابن يحيى الحجرى دعاة لعبد الله بن موسى وهم يقولون بخلق القرآن .

قال وكان عبد الله بن موسى قد بعث ابنيه أو أحدهما مع بشر بن الحسن الى طاهر بن الحسين يدعوه الى هذا الامر مع معرفة عبد الله بن موسى بقول بشر ومعرفة بشر بعبد الله وقوله بالجمل فلم أر أحداً من هؤلاء دان بالبراءة ممن خالفه .

قال محمد وسمعت القاسم يقول ما رأيت كلامياً قط له خشوع ثم قال : الجمل الجمل . وقال محمد وقد عاشرت رؤساء المعتزلة ومن لا أحصى منهم ممن يقول بهذا القول (يعنى خلق القرآن) منهم جعفر بن حرب وجعفر بن مبشر القصبى ومحمد بن عبد الله الاسكافى فما سألنى أحد منهم قط عن ما تختلف الناس فيه . ولا كاشفونى عن شىء من ذلك

وأخبرنى أبو سهل الخراسانى أنه كان رسول سهل بن سلامة وهو من كبار المعتزلة وعبادهم إلى عبد الله بن موسى يدعوه الى أن يتقلد هذا الامر ويكون سهل عونا له عليه

قال محمد فهذا غير سبيل المنتحلين اليوم للدين وغير ما أظهروا وشرعوا من التغابن والبراءة والتكفير. وهذا هو الفرق والاختلاف الذى نهى الله عنهما فى القرآن فى قوله « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم » وقوله « وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ماجاءهم العلم بغياً بينهم » فأخبر الله سبحانه أن اختلافهم بغى من بعضهم على بعض

وأخبر عز وجل أن فى الفرقة الضعف والفشل فحذر من ذلك بقوله (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) يقول عز وجل « فتذهب هيبتكم »

فهذا ماندب الله إليه مع مارأينا عليه السلف الصالح المتقدم الذين يصلح أن نجعلهم بيننا وبين الله تعالى لانهم لايخلون من إحدى منزلتين إما أن يكونوا علموا أن الديانة فيما بينهم وبين الله تعالى القول (١) ببعض هذه المقالة التى تنازع الناس فيها حق واجب لازم وأجزأهم من ذلك الاضمار ورأوا الصواب والرشد فى الامساك عن الاظهار لما فيه من الفرقة والاختلاف الذى نهى الله عنه فرأوا الجمل وهو القول بظاهر القرآن كافياً مؤديا للعباد إلى الله عز وجل فتمسكوا بذلك . فينبغى لمن أم الدين وقصد الى الله تعالى الاقتداء بهم والتمسك بسبيلهم، أو يكونوا لم يعتقدوا فى ظاهر الامر وباطنه القول بظاهر القرآن والجمل المجمع عليها فقد يجب الاقتداء بهم أيضاً فى ذلك . قال محمد وهذا أحمد بن عيسى قد اجتمع عليه المختلفون واتخذ ممن

(١) لعل القول بالنصب بدل من الديانة وحق واجب الخ خبر أن اه مصححه عيد الوصيف

يشاركه فى أمره جماعة من المتفرقين كتب إليه عبدالله بن محمد بن سليم يسأله عن القرآن وغيره فكان مما كتب اليه : ذكرت اختلاف الناس فى القرآن ولم يختلفوا أنه من عند الله فهذا من أحمد دليل على أن الاخذ بظاهر القرآن والجمل المجمع عليها مجزىء مؤد الى الله تعالى وقد علمت أن رجال أحمد ابن عيسى الذين كان يوجههم فى أموره مختلفين

منهم حسن بن هذيل على مذهب أبى الجارود ومنهم عبد الرحمن بن معمر وهو يظهر القول بخلق القرآن لايستتر به ومخول بن ابراهيم وأمثالهم من المختلفين فلم نره بفرقة يخالف فيها أخرى وكان رحمه الله عالما بما يضيق عليه من ذلك ومايتسع له فى أمر دينه ولو ضاق عليه ذلك لم يفعله

وهذا الحسن بن يحيى انا متصل به منذ أربعين سنة أو قريبا من ذلك يعاشر ضروبا من المتدينين مختلفين فى المذاهب فما رأيته مع قوله بالجملة وكراهته للفرقة امتحن أحدا ولا كشف له عن مذهبه بل قد رأيته يعمهم بالنصيحة ويحسن اليهم العشرة ويترحم على من مضى من سلفه وأهل بيته ممن يوافقه فى المقالة ويخالفه * هذا مع جلالة قدره وكثرة علمه ومعرفته بما يلزمه فى ذلك ويجب عليه

قال محمد فى كتاب الجملة وأخبرنى من أثق به من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن محمد بن عبدالله أنه أوجب على من قام بهذا الامر الدعاء لجميع المتدينين وقطع الالقاب التى يدعى بها فرق المضلين وغلق الابواب التى فى فتح مثلها يكون عليهم التلف والامساك عما شتت الكلمة

وفرق الجماعة واغرى بين الناس فيما اختلفوا فيه وصاروا أحزابا والدعاء لطبقات الناس من حيث يعقلون الى السبيل التى لا ينكرون وبه يألفون فيتولى بعضهم بعضا ويدينون بذلك فان اجماعهم عليه إثبات للحق وإزالة للباطل. قال محمد وكذلك سمعنا عن ابراهيم بن عبد الله انه سئل عن بعض مايختلف الناس فيه فى المذاهب فلم يجبه فيه وقال أعينونى على ما اجتمعنا عليه حتى نتفرغ فيه لما اختلفنا

حدثنا أبو الحسن محمد بن جعفر بن محمد النحوى قال أخبرنا احمد بن محمد ابن سعيد قال حدثنا محمد بن منصور قال قال لى القاسم بن ابراهيم أخبرنى بعض من أثق به من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن محمد بن عبد الله بن الحسن أنه قال يجب على من قام بهذا الامر الدعاء لجميع الناس وقطع الالقاب التى يدعى بها فرق المضلين وذكر مثل هذا الكلام* وروى عن جعفر الصادق عليه السلام أنه قال الزم ما اجتمع عليه المتفرقون. وروى عن على عليه السلام أنه قال يابردها على الكبد إذا سئل المرء عما لا يعلم أن يقول الله أعلم انتهى بعض ماذكره السيد الامام العلامة أبو عبد الله الحسنى فى كتابه وهو نبذة يسيرة مما ذكره رحمه الله ومازال فى أهل البيت من يدعو إلى هذا ويحث عليه من متقدميهم ومتأخريهم ويوضح ذلك تأليفهم المختصرات وبسطهم فى غيره واقتصارهم فى العقائد على الاجمال والاشارات ومن أشهر ذلك ما أودعه محمد بن سليمن رحمه الله فى أول المنتخب على مذهب الهادى عليه السلام فانه سأله عما يكفى فى معرفة الله سبحانه ودليل ذلك فاوجز له الكلام فى مقدار عشرة أسطر وتبرأ عليه

السلام فى خطبة الاحكام من كل معتزلى غال . وكذلك كتاب البالغ المدرك له عليه السلام أوجزه غاية الايجاز كما فعل فى أول المنتخب . وسيأتى بلفظه ـ وكذلك السيد أبو طالب فى شرحه له وكذلك السيد الامام المؤيد بالله عليه السلام له فى ذلك كتاب التبصرة مختصر جدا وله فى آخر الزيادات تزهيد كثير فى هذا الفن كما مر بالفاظه . وقد توسع هذان السيدان الامامان الاخوان عليهما السلام في علوم الفقه وأصوله وصنفا فى ذلك الكتب الحافلة كشرح التحرير فى الفقه والحديث والامالى فى الحديث والمجزىء فى أصول الفقه للسيد أبو طالب (وشرح التجريد فى الفقه والحديث للسيد المؤيد بالله) ولم يتوسعا فى علم الكلام ولم يصنفا فيه تصنيفاً حافلا مع مخالطتهما الأئمته. وكونهما كانا فى فوره وسورته(١) وما علمت لأحد منهم عليهم السلام ولا من ذرياتهم المتقدمين فى ذلك تأليفا مبسوطاً

أما ما صنفه بعض العجم منهم عليهم السلام وتبع فيه قاضى القضاة من شرح الاصول فانه شيء نادر فيهم ليس من شأنهم مع أنه متأخر وإنما الكلام فى قدمائهم والذى يشهد بما ذكرته أن من بسط التأليف فى ذلك من متأخريهم على ندوره لم ينقل لهم فى دقائق الكلام اختلافاً ولا اتفاقاً كما لم ينقل للسلف المتفق على صلاحهم وإنما ينقلون كلام شيوخ الاعتزال وانظر الى كتب اللطيف من الكلام مثل تذكرة ابن متوية وما شاكلها فانه لا ينقل عنهم عليهم السلام فيها شيئا وليس لقصورهم فى العلم لكن لكراهتهم الخوض فى هذا الفن. وقد اشتهرت عنهم الحكايات والوصايا والاخبار

(١) الفور الهيجان والسورة السطوة يريد أنهما متمكنان منه جدا التمكن اه مصححه عيد

والاشعار فمن ذلك قول السيد العلامة يحيى بن منصور بن العفيف بن مفضل رحمه الله تعالى فى ذكر المعتزلة :

ويرون ذلك مذهبا مستعظما من طول أنظار وحسن تفكر

ونسوا غنا الاسلام قبل حدوثهم

عن كل قول حادث متأخر

ما ظنهم بالمصطفى فى تركه ما استنبطوه ونهيه المتكرر

أعلى صواب أم على خطأ مضى

فمن المصيب سوى البشير المنذر

أيكون فى دين النبي وصحبه نقص فكيف به ولما يشعر

أوليس كان المصطفى ببيانه وتمامه أولى فلم لم يخبر

ما باله حتى السواك اتى به وقواعد الاسلام لم تتقرر

ان كان رب العرش أكمل دينه فاعجب لمبطن قوله والمظهر

أو كان فى إهمال أحمد غنية فدع التكلف للزيادة واقصر

ما كان أحمد بعد منع كاتما لهداية كلا ورب المشعر

بل كان ينكر كل قول حادث حتى الممات فلا تشك وتمترى

وكذا القرابة والصحابة بعده ما بين راو ضابط ومفسر

أو بين هاد للانام بعلمه أو مورد لغريبه أو مصدر

كخليفة المختار وارث علمه رب العلوم ابى شبير واشبر

ما كان منهم من يرى متعمقا كلا ولا نقلوه عنه فقصر

بل جاء عنه وعنهم متواترا خطر التعمق والغلو لمبصر

عن خبرة وبصيرة وتيقن لاعن قنوع قاصر وتعذر

لكن تأسٍّ منهم بمحمد وتدبر للذكر أى تدبر

فالزم بعروة دينهم مستمسكا فلقد هديت إلى سبيل نير

لا يخدعنك زخرف متصور شتان بين تيقن وتصور

إن الخلاف بكل فن ممكن إلا الأصول فانه لم يؤثر

فدع الخلاف الى الوفاق تورعا فطريقة الاجماع غير منكر

كم بين معتمد لقول ظاهر ومقال حق واضح لم ينكر

ومجاوز حد الوفاق مخاطر قد صار بين مفسق ومكفر

من خارج أو مرجئ أو رافض

أو ذى اعتزال مبدع أو مجبرى

أو غير ذلك من مذاهب جمة حدثت ودين محمد منها برى

يكفيك من جهة العقيدة مسلم ومن الاضافة أحمدى حيدرى

وقال رحمه الله تعالى

ياطالب الحق ان الحق فى الجمل وفى الوقوف عن الافراط والزلل

هى النجاة فلا تبغى بها بدلا بذا أتاك حديث السادة الاول

وقال السيد العلامة حميدان بن يحيى القاسمى رحمه الله وفى كلامه مالم أذهب اليه من التهمة بتعمد العناد :

زال أهل التفعيل والانفعال وأزيل التطريف بالاعتزال

حرفوا محكم النصوص فصاروا قدوة التلبيس والاضلال

ولهم فى التوحيد أقوال زور مزريات فى الزور للاقوال

رائقات بالمين كل محال فائقات فى الذكر كل محال

شاهدات لمفزغ الوهم فيها باعتداء الحدود والايغال

أصلوا للقياس أصل اصطلاح جل عن أصل صلحهم ذو الجلال

لقبوا الجسم بالذوات ليقضوا باشتراك فى حالة وانفصال

وادعوا أن للمهيمن ذاتا شاركت ثم فارقت فى خلال

ثم قاسوا مافرعوه وخابوا فى شروح لهم عراض طوال

باجتراء فى قولهم وابتداع وبظن فى زعمهم وانتحال

واختيال فى فهمهم للمعانى بين ليس فيه فرق بحال

نحو ما قد جمعت منها مثالا ههنا فاستمع لضرب المثال

أزلى ثبوته وقديم ووجود ما إن له من زوال

وكذا الفرق بين أمر وشىء واشتراك الذوات والامثال

ومزيد على الذوات وغير واقتضاء الاحكام والاغلال

أى فرق مابين ثنتين منها فى صحيح الذكا ووضع المقال

ليس ان قيل ثابت أزلى هو الا كربنا المتعالى

مثل من قال لم يزل كل شىء ذا ذوات ثوابت الاحوال

ما أتى التكليف قول بهذا

فى مقال يروى ولا فى فعال

بل أتى الامر بالتفكر فى الصنـ ـع وترك اتباع رأى الرجال

غير من كان مصطفى ذا اعتصام أو حكيما فى قوله غير غال

وقال فى أرجوزته التى سماها المتوكل على الله المطهر بن يحيى: المزلزلة لاعضاد المعتزلة:

وما الذى ألجأهم الى الخطر ... والخوض فى علم الغيوب بالنظر
وما يقال فيه للمخطى كفر ... وفى النبى اسوة ومعتبر
وقدوة محمودة لمن شكر ... ولم يخالف فى الوهوم والفكر
فانه للفكر فى الله حظر ... وفى عجيب الصنع بالفكر أمر
فمن يكون بعده من البشر ... أدرى بما يأتى به ومايذر
ليس الاله الواحد القدوس ... كما يظنه الذى يقيس
اذ كل فكر دونه محبوس ... وكلما تخاله النفوس
فمدرك مكيف محسوس ... فاحذر شيوخا علمها تلبيس

***

وهمها التدقيق والتدليس ... قد حازها دون الهدى إبليس
ما الفرق بين مقتض وعله ... وزائد وكثرة وقله
الى اصطلاح قادة مضله ... قد سلكوا فى طرق مذله
فاقنع بنحلة النبى نحله ... فنوع ذى دين مسلم له
فالمصطفى من أهل كل مله ... أعلم بالمدلول والادلة
وبالفروض الواجبات لله ... والشيخ أدنى ان يكون مثله

الخ ماذكره فى الارجوزة وله رسائل كثيرة فى مجلد محتو على ترك التعمق

فى علم الكلام والبدع فى الاسلام مما لا مزيد عليه وفى مجموعه هذا تقرير كثير ممن عاصره من أهل البيت عليهم السلام كما ذكره وانه مذهب أهلهم وممن ذكر عنهم الامام المهدى الشهيد أحمد بن الحسين والامام المتوكل على الله المطهر بن يحيي وقرر ذلك بعدهم السيد العلامة محمد ابن يحيي القاسمى وصنف فيه كتابا معروفا ، وكتب الامام المهدى محمد بن المطهر على كتاب السيد محمد بن يحيي القاسمى أنه معتقده الا الجوهر فان له فيه نظراً وتابعهم على هذا ولده السيد الواثق المطهر بن محمد بن المطهر وقال فى ذلك فى قصيدته البليغة التى أولها :

لا يستزلك أقوام بأقوال ملفقات حريات بابطال

لا تتخذ غير آل المصطفى وزراً

فالآل حق وغير الآل (١) كالآل

ولولا طولها وخوف الاملال لذكرتها كلها فانه روى فيها عن أهل البيت كلهم عليهم السلام انكار مذهب المعتزلة وخوضهم فيما لا يعلمه إلا الله تعالى . وذكر الأئمة بأسمائهم منزها لهم عن ذلك منهم على بن الحسين ، وولده الباقر ، وزيد ، وجعفر الصادق ، والقاسم ، وابنه محمد ، والهادى ، والمنصور ، وأحمد بن الحسين . والامام الحسن بن محمد . والمطهر بن يحيي . ومحمد بن المطهر نقلت ذلك من شرح هذه القصيدة المسمى باللآلىء الدرية فى شرح الابيات الفخريه للسيد محمد

(١) المراد بالآل الاول أهل البيت وبالثانى السراب اهـ مصححه عيد الوصيف

ابن يحيى بن الحسن القاسمى المتقدم ذكره وقد طول فى شرحها وبين فيه طرق الرواية عنهم فأفاد وأجاد رحمه الله تعالى

وذكر الامام المنصور بالله عليه السلام فى كتاب المهذب مايدل على قول أهل الجمل* واحتج بأن رجلا سأل أمير المؤمنين عن قسم أقسم فيه بالذى احتجب بسبع سموات وحنث فيه، فقال له على عليه السلام لاشيء عليك لأنك حلفت بغير الله ثم أمره بالجهاد(١) قال المنصور بالله فلم يأمره بلزوم المدرسة لتعليم الادلة أو كما قال وكان سألنى رجل من العامة عن قوله تعالى « أومن وراء حجاب » . وقوله تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) قال كيف يحيط حجاب بالله تعالى فلم أدر ماأقول حتى نظرت فألهمنى الله سبحانه إلى جواب حسن وهو أن الحجاب حجاب للعبد محيط به فهو المحجوب المحصور لقوله تعالى (إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) ولم يقل إنه محجوب عنهم ثم انى وجدت للحى الصنو جمال الدين الهادى بن ابراهيم قصيدة بليغة كبيرة نصر فيها هذا المذهب أولها :

أغنى الصباح عن المصباح فاعتبرى
وأنعم الفكر فى الآيات بالنظر
من سير الشمس تجرى فى مسالكها
وجاء فى ظلمة الديجور بالقمر

(١) لعله جهاد النفس وردها عن جعل الله عرضة في الأيمان اه مصححه عيد

من علق الفلك الأعلى وسيره ... فدار لولاه لم يمسك ولم يدر
من وتد الارض بالشم الجبال ومن ... أسقى البرية منها طيب النهر
من سخر الريح تجرى وهى خافقة ... فى السمع ليس لها حظ من البصر
من أنزل الغيث وقت الاحتياج له ... وعمم الارض ذات الصدع بالزهر
من أنبت الحب بقلا ثم أخرجه ... دقلا (١) ومن توج الاكمام بالثمر
من أبدع الحيوانات التى خلقت ... فى البر والبحر أجناسا من الصور
من أنزل البرد المجلو من سحب ... من أخرج النار من عود ومن حجر
من أمسك الطير فى جو السماء ومن ... لولاه لم يمسك الطير ولم يطر
من قدر الرزق فى الدنيا ويسره ... وسلط الموت محتوما على العمر
مجلجل الرعد فانظر كيف سخره ... وألمع البرق لمع الصارم الذكر
ان كنت تجهل شيئا من بدائعه ... وما ابتداه من الاشياء بالفطر
فأين عقلك والفهم المميز بيـ ... ـن العاملية فى الانسان والبقر
لا شك فى الله رب العالمين فما ... أغنى الصباح عن المصباح فاعتبر

إلى قوله رحمه الله تعالى

إياك والخطر استمسك بعروة من ... لم يُلْج طالب توحيده إلى الخطر
قل ربى الله لاتسلك مسالك من ... لم يلق من سفر إلا عنا السفر
فكر بنفسك يامسكين تلق بها ... ماليس تعلمه من فكرك النظرى
فكيف تعرف كنه الذات من ملك الـ ... ـملوك ياعبد ماأولاك بالقصر

(١) المراد من قصب

وقد اختصرت فيها كثيراً محبة للاختصار

ومما قلت فى ذلك وقد سألنى بعض الاخوان القراءة على فى بعض كتب المنطق

ياطالب العلم والتحقيق فى الدين والبحث عن كل مكنون ومخزون
أهلا وسهلا عسى من رام تبصرة منى وهدياً إلى الخيرات يهدينى
لكن أطعنى وأنصف فى الدليل معى فمن يقلد فيه لا يواتينى
أمرت أن تطلب الدين الحنيف ولو بالصين أو بالاقاصى من فلسطين
والعلم عقل ونقل ليس غيرهما والعقل فيك وليس العقل فى الصين
أمرت أن أطلب العلم الشريف ولو بالصين إن كان علم الدين فى الصين
والعلم بالعقل علم لا يشط به عن أهله فلو ات البين فى البين
ففى حديث ابن عمران لنا عبر فانظر إلى شأن موسى صنو هرون
مارام سعياً إلى معقوله حقبا فعنده العقل بل عند الشياطين
بل رام مكنون علم ليس يدركه فهم العقول بمعلوم البراهين
مواهب من يقين غير ممكنة للخلق تهجم فى يسر وتهوين
وواردات من الايمان ليس تطيق النفس جحد هدى منها وتبيين
تكون عند وقوع الخارقات وعند الفكر منها وبالاخبات واللين
وبالتضرع عن ذل ومسكنة تمكن العبد منها أى تمكين
به اطمأن خليل الله حين دعا اللـ موتى فأحى له الاطيار فى الحين
ومؤثر الحق أغناه بغير غنا ثعبان موسى المثنى فى الفراقين

وذا دليل كليم الله فى الشعرى ... وجحة الله فى بعث الميامين

وقوم عيسى أرادوا منه مائدة ... ليطمأنوا بها لا وضع قانون

وعلل الله فى القرآن ودهم ... لنا وعرفانهم بالسمع واللين

وقوم أحمد لما جاء ذكرهم ... أغنت طواميه عن طل المساكين

وكان أعظم فى الاسلام مرتبة ... من كل مامر فى ماضى الاحايين

وأى معجزة دامت مكلمة ... لنا بكل المعانى والبراهين

فلم يجبهم أمين الله مكتفيا ... به إذا لم يكن فيهم بمأمون

وانظر كلام على فى وصيته ... ريحانة المصطفى خير الرياحين

وسائر الآل قد أوصوا من العلم الـ ... منصوب فينا إلى الهادى بصفين

وأم موسى اطمأنت حين ما طرحت ... موسى بوحى وحق غير مظنون

أمثل هذا من التدقيق مكتسب ... أم من ابانة قلب غير مأفون

ومريم حين جاء الروح فى مثل ... لها بسر من الرحمن مكنون

بأى شىء من الاسباب نزهها ... فى المهد أى مزكى الذات ميمون

بالخوض فى جدليات الاوائل أم ... بالاعتزال وذكر الله والدين

ومثله فى جريج والرضيع وفى الـ ... أخدود وهى صحاح فى الدواوين

وفتية الكهف قد قص الاله لنا ... حديثهم وأحاديث الميامين

هذى الخصائص والمعقول نعمته ... مبذولة بين مهدى ومفتون

فواضح العقل معروف وغامضه ... مواقف ومجازات لذى الدين

إن البصائر كالابصار ليس ترى الـ ... خفى جدا سوى رجم وتظنين

لذا تخالف أهل العقل واضطربوا ... فيه كعادتهم فى كل مظنون

قليت ذا العلم من بعد الرسوخ به ... واعتضت بالذكر منه غير مغبون

ما فيه الاعبارات مزخرفة ... اتى بهن ابن حزم بالتبايين

كم من فتى منطقي الذهن ماخطرت ... بالبال منه اصطلاحات القوانين

وكم فتى منطقي كافر نجس ... كالكلب بل هو شر منه في الهون

يرى وساوس أهل الكفر منقبة ... فهما ويسخر من طه ويس

كذلك الرسل لم يعنوا بذاك إلى ... محمد من سليل الماء والطين

بل اكتفوا بالذى في العقل مع نظر ... سهل بغير شيوخ كالاساطين

مع اعتراض شياطين الخصوم لهم ... وشهرة الطعن في كل الاحايين

وربما كان في التدقيق مفسدة ... للقلب أو لافتراق الناس في الدين

مثل الغلو بافعال الجوارح كالا ... وصال والاختصاء خوفا من العين

والله أعلم والرسل الاكارم من ... شيوخ جبة(١) قطعا غير تخمين

وانما ذكرت هذه الابيات لانها لم تحفظ في غير هذا الموضع مع غرابة معناها فانى إنما أخذته من كلام أمير المؤمنين صلى الله عليه وسلم في كلامه المشهور لكميل بن زياد حيث قال عليه السلام في وصف العلماء: هجم بهم العلم على حقيقة الامر فاستلانوا مااستوعره المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ووجه الاخذ منه أن لفظ الهجوم إنما يستعمل فيما حصل دفعة واحدة موهبة من الله من غير كد الخواطر في الدقائق والتولج بالانظار في مضايق المزالق. وقال في ضياء الحلوم يقال هجم

(١) بضم الجيم وتشديد الموحدة قرية بالعراق منها أبو على وأبو هاشم المعتزليان وهما المرادان هنا اه

الرجل القوم إذا أتاهم بغتة . وهجم على العدو هجوماً ، وهجم على ما فى نفس فلان *وذكر بعض العارفين فى شرح كلامه عن ابن تيمية قصة مضمونها : أن الشيخ عبدالقادر الجيلانى أو نظيره وصل إلى الرى وكان بمنزلة عظيمة فى الصلاح والكرامات والمكاشفات فتلقاه الناس متبركين به وكان من جملة من تلقاه الرازى فلم يزده على الناس فى الاكرام . ولم يرفع مرتبته على سائر من تلقاه من العوام فلما استقر الشيخ عبد القادر فى رباط من ربط الصوفية قصده الرازى وخلا به وأخبره أنه عالم البلد وأنهم يعتقدون فى الشيخ . أنه لا يهين أحدا ولا يرفعه الا لمعرفته سريرته وانه ان لم يميزه عن العامة بنوع من الاكرام حسبوا أنه قد كشف له عن باطن أمره حال قبيح وفى هذا مفسدة

فقال الشيخ وأى العلوم علمك فقال علم التوحيد أمليت فيه قبل وصول الشيخ ثلاثين برهانا أو قريبا من ذلك فقال الشيخ ليس ذلك بالتوحيد قال الرازى فأفدنى ياسيدى قال الشيخ التوحيد واردات ترد على نفوس تعجز النفوس عن ردها قال فجعل الرازى يتحفظ هذه الكلمات ويرددها حتى خرج من عند الشيخ. وفى هذا المعنى قول الله عز وجل (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام . وقوله لولا ان ربطنا على قلبها). وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (أن تجعل القرآن ربيع قلبى . ونور صدرى . وقوله يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك) وفى نقيض ذلك قوله تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ، وقوله فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم) . وقوله (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل (ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان أنتم الا مبطلون)

كذلك يطبع الله على قلوب الذين لايعلمون فاصبر ان وعد الله حق ولايستخفنك الذين لايوقنون)

ومما يقوى قول أهل الاكتفاء بالجمل وطريق السلف قوله تعالى (الم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين) وقوله تعالى (قالت لهم رسلهم أفى الله شك فاطر السموات والارض) وقد تقدم ذكرها وقوله تعالى (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) فانه الظاهر من جهة البصائر الجلية الجملية والباطن من جهة الابصار والتفاصيل الخفية فلو خفى من الجهتين معاً لكان باطنا من كل وجه غير ظاهر من كل وجه ويوضحه من السنة على صحتها حديث (كل مولود يولد على الفطرة وانما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) بل قد ورد القرآن بان ذلك هو الفطرة فى قوله تعالى (فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) ويؤيده ان من عاصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الكفار قد ذكروا فيه أنه ساحر وكرروا ذلك ولهجوا به فلم يحرر النبي صلى الله عليه واله وسلم ولا أحد من أصحابه رضى الله عنهم جواب ذلك بذكر الفروق بين السحر والمعجز بل نظموا قولهم انه ساحر فى نظام قولهم انه لمجنون وكذب ساحر صانه الله عن ذكر ذلك لعلمهم بتعمد الكفار للعناد والبهتان فى جميع ذلك ومن ذلك اسمه تعالى الحق المبين فانه حق فى نفس الامر مبين لكونه حقا بمصنوعاته وألطافه فى تعريف خلقه، كل بما يليق بحاله سبحانه وتعالى

قالوا يقال للمخالف ماتقول اذا وردت شبهات الملحدين وقد ساعدك الناس على اهمال النظر فى علم الكلام وهل هذا الا يكيد فى الدين

والجواب يتم بالكلام في مقامين

المقام الاول دفعنا للشكوك الواردة عن نفوسنا وهو أسهل المقامين لانه لا مفزع حينئذ الا الى نظر العقل المخلوق كاملا وامداد الرب له بالهداية وهما حاصلان بفضل الله سبحانه من غير حاجة الى علم الكلام كما حصل للسلف والذين ابتدعوا علم الكلام ولا يحتاج في هذا المقام الى تحسين العبارة وقد طولت الكلام في هذا المقام في العواصم

وأربدهنا وجهين: أحدهما ماذكره السيد المؤيد بالله في الزيادات وقد تقدم قريباً منقولا بحروفه وثانيهما أن المتصور وروده مجهول العين ويستحيل الجواب التفصيلي على شبهة ترد في المستقبل مجملة لم تتعين ولا يغني علم الكلام هاهنا وإنما ينفع علم الغيب، ومن الجائز بالاجماع أن ترد هذه الشبهة على دقائق علم الكلام وتحير المبرز فيه وتبلد المعجب به وربما تولدت من تدقيقه على قدره وكان بالنظر فيه كالباحث على حتفه بظلفه

وبيان هذا أن مثل المستعد للشبهة المجهولة بتقديم النظر في الدلائل مثل من يستعد للسموم القاتلة بشرب الادوية الحادة التي ربما قتلت شاربها حين لا يجد ضدا يدفع طبيعتها ويستحيل تقديم التداوي من داء لم يتعين ولم يعرف أهو من قبيل الحرارة أو البرودة أو غيرهما من الطبائع أو هو متركب من الطبيعتين. وربما ورد داء يعجز عنه الطبيب الماهر باتفاق الاطباء ولذلك تجد أكثر الضالين في أنفسهم المضلين لغيرهم من أهل النظر وأكثر أهل السلامة باقرار أهل النظر من أهل الجمل ولذا قال أبو القاسم البلخي في مقالته في ذكر العامة هنيئا لهم السلامة ومن ثم لم يرد عن الرسل عليهم السلام

الخوض الكبير فى علمي الطب والكلام .

وخلاصة الكلام أنه لا بد من تجويز شبهة لم يتقدم تحرير جوابها وإن خاض فى الكلام ألف عام وهذا متفق عليه فما كان أن يصنعه المتكلم والسلف صنعه كل مكلف

﴿ المقام الثانى ﴾

(فى هداية الخصوم والكلام فيه من وجوه)

(الاول) أن الحجة عليهم لله سبحانه قد تمت قبل نصبنا ونصبكم للبراهين بما خلق الله لهم من العقول وأرسل إليهم من الرسل . وبين لهم ما فى كتبه الكريمة من الادلة ، فكما انهم لو ماتوا قبل مناظرتكم لهم حسن من الله تعالى تعذيبهم لتقدم كمال الحجة عليهم . فكذلك يحسن منا قتالهم وقتلهم قبل مناظرتهم . وإنما ورد فى الشرع دعاؤهم الى الاسلام قبل القتال فلم يوجبها أحد بالاجماع . ومن جحد آيات الله وبراهين القرآن الجلية فهو لدقائق الكلام أجحد . ومن قبولها أبعد . ولكن المبطلين كما حكى الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله تعالى (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) وقال تعالى حاكيا عن موسى عليه السلام (قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وانى لأظنك يافرعون مثبورا) وقال تعالى (قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السموات والارض) قالوا ذلك لما قال لهم الكفار (إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفى شك مما تدعوننا اليه مريب) وفى قول الرسل عليهم الصلاة والسلام (فاطر السموات والارض) تنبيه على الدلالة على الله بذلك وانه كاف لا يحتاج الى

زيادة عليه . فان كان مرادكم الفصل بين المختلفين وجمع، كلمة العالم أجمعين ،فذلك غير ممكن لاحد من المخلوقين . ولا يقدر عليه الا رب العالمين . كما قال سبحانه وتعالى فى كتابه المبين (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء شهيد) ولهذا سمى الله تعالى يوم القيامة يوم الفصل

الوجه الثانى أن فى المتكلمين من المعتزلة وغيرهم طوائف لايوجبون النظر فى علم الكلام منهم أهل المعارف الضرورية ولا يلزمهم ترك النظر مطلقا فكذلك نقول فان قيل فيم ينظر الناظر (قلنا) فيما أمر الله بالنظر فيه وفيما نظر فيه السلف. وإن كان المنظور فيه أمراضروريا. فان معنى النظر فيه استحضار تصوره ودوام التذكر له وترك السهو والغفلة عنه ولذلك شرع الفكر فى الموت والمرض ونحوهما مع انها أمور معلومة بالضرورة فالغفلة عنها أقبح غفلة وأضرها قال تعالى (أولا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين وقال تعالى (قل سيروا فى الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) وقال تعالى (قل إنما أعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة) وقال تعالى (انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه) ومن ثم حسن الخبر بالموت بل دخول المؤكدات على الخبر فى قوله تعالى (انك ميت وانهم ميتون) وقال (تعالى ثم إنكم بعد ذلك لميتون) فان الاخبار بالمعلومات لاتصح ودخول المؤكدات على الاخبار بها لايحسن لولا أنه نزل المخاطبين لشدة غفلتهم عن هذه المعلومات منزلة الجاحدين المنكرين لها كما ذكره علماء المعانى فى قول الشاعر:

جاء شقيق عارضا رمحه ان بنى عمك فيهم رماح

وغاية ما اشتملت عليه كتب الدقائق المبكية والمواعظ المشجية هو التذكير بالضروريات فكيف يقال فيمن ترك النظر فى علم الكلام والتعمق فى دقائقه إنه يلزمه اهمال الفكر والنظر فيما ورد فى القرآن والخبر والأثر ولقد صنف الجاحظ وهو ممن يقول إن المعارف ضرورية كتاب العبر والاعتبار فأتى فيه بما يقضى له بعلو القدر فى العلم وتعمقه فى التفكر فى عجائب المخلوقات الضرورية وكذلك النظر فى علم التشريح وعجيب خلق الانسان والتأمل لما يدرك من ذلك بالعيان ، وقد حث الله تعالى على النظر فى المشاهدات قال تعالى (فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيى الارض بعد موتها) وقال تعالى (أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شىء بصير) وقال تعالى (ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير) وقال تعالى (أو لم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم اليهم لا يرجعون) وقال تعالى (وأن لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا) الآيات وقال تعالى (خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم) الآية

لكن المخالف يقول ان المراد بالنظر فى هذه الأمور نظر مخصوص ينبنى على مقدمات مرتبة مركبة تركيباً مخصوصاً على وجه ينتج العلم على سبيل الاختيار وغيره يقول إن المراد بالنظر الفكر الذى يهجم على القلوب بعد

صرف اليقين ورسوخ الايمان وتعظيم المعبود أو احدهما ويتفاوت الحاصل من ذلك تفاوتا لا يقف عندحد ، وربما أبكى أو اقلق أو أصعق على حسب حكمة الله تعالى فيما يهبه للعبد عقب النظر وعدم الاختيار فيه عقب النظر وتفاوته معلوم ـ وعلى هذا ماقال الشيخ مختار بن محمود المعتزلى فى كتابه المجتبى فى حد حقيقة النظر: انه تجريد العقل عن الغفلات . وحكى عن شيخه محمود الملاحمى انه لايشترط فى العلم بالله ان ينبنى على المقدمات المنطقية والاساليب النظرية كما سيأتى ان شاء الله تعالى وكيف ينكر هذا ويستبعد وقد حكى الله سبحانه وتعالى عن الهدهد وهو من العالم البهيمى انه وحد الله تعالى* واحتج على صحة توحيده بذلك حيث قال سبحانه حاكيا عنه (ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والارض) يعنى المطر والنبات فاحتج بحدوث هذين الامرين المعلوم حدوثهما مع تكررهما وحاجة جميع الحيوانات اليهما مع أنه ماقرأ فى المنطق ولا عرف علم الكلام . وقد قرر الله سبحانه وتعالى كلامه وحسنه ، فكيف لايحسن مثله من انسان ناطق عاقل مكلف مخاطب . وسوف يأتى الدليل على بطلان قول من تأول كلام الهدهد * وتوضيح الأمر فى ذلك قال الله تعالى « قتل الانسان ما أكفره، من أى شىء خلقه ، من نطفة خلقه فقدره » وحاصل هذا أن النظر عند أهل المعارف أو بعضهم شرط اعتبارى ووقوع العلم واليقين بعده ، كوقوع الرقة والبكاء والخشوع ونحو ذلك مما هو من فعل الله سبحانه وتعالى ، ونفعه معلوم وان لم يقع على ترتيب

أهل المنطق : ومستند العلم التجربة الضرورية فانه يقع للصالحين ممن لايعرف ترتيب المقدمات بذلك النظر من اليقين والخشوع مالايقع للمتكلمين . بل قد قال القاسم عليه السلام مارأيت كلاميا قط له خشوع الجمل الجمل

وقد اشتملت خطب أمير المؤمنين ومواعظه وسائر الأئمة على أدلة التوحيد من غير ترتيب مقدمات المنطقيين ولا تقاسيم أساليب المتكلمين ودرج السلف على ذلك. وكان مما استجادوه وسار بينهم قول زيد بن عمرو ابن نفيل رحمه الله تعالى :

رضيت بك اللهم ربا فلن أرى ... أدين إلها غيرك الله ثانيا
وأنت الذى من فضل منٍّ ورحمة ... بعثت إلى موسى رسولا مناديا
فقلت لموسى اذهب وهرون فادعوا ... إلى الله فرعون الذى كان طاغيا
وقولا له هل أنت سويت هذه ... بلا وتد حتى اطمأنت كما هيا
وقولا له هل أنت رفّعت هذه ... بلا عمد ارفق اذا بك بانيا
وقولا له هل أنت سويت وسطها ... منيرا إذا ماجنه الليل هاديا
وقولا له من مرسل الشمس غدوة ... فيصبح مامست من الارض ضاحيا
وقولا له من ينبت الحب فى الثرى ... فيصبح منه البقل يهتز رابيا
ويخرج منه حبه فى رءوسه ... وفى ذاك آيات لمن كان واعيا

فهذا أسلوب الانبياء والاولياء والأئمة والسلف فى النظر. وخالفهم بعض المتكلمين وأنواع المبتدعة ، فتكلفوا وتعمقوا وعبروا عن المعانى الجلية بالعبارات الخفية، ورجعوا بعد السفر البعيد الى الشك والحيرة والتعادى

والتكاذب وقد اعترف أكثر المتكلمين بالوقوع فى الحيرة والأمور المشكلة المتعارضة فقال ابن أبى الحديد وهو من كبراء المعتزلة بعدعظيم توغله فى علم الكلام :

فاذا الذى استكبرت منه هوالـ ... جانى على عظائم المحن
فظللت فى تيه بلا علم ... وغرقت فى بحر بلا سفن

وقال الشهرستانى فى أول نهايته:

وقد طفت فى تلك المعاهد كلها ... وسيرت طرفى بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعا كف حائر ... على ذقن أو قارعا سن نادم

وقال الرازى فى مثل ذلك :

العلم للرحمن جل جلاله ... وسواه فى جهلاته يتغمغم
ماللتراب وللعلوم وانما ... خلقت(١) لتعلم أنها لا تعلم

وله أيضا:

نهايات إقدام العقول عقال ... وأكثر سعى العالمين ضلال

وقال صاحب كتاب الامام :

تجاوزت حد الأكثرين الى العلا ... وسافرت واستبقيتهم فى المراكز
وخضت بحارا ليس يدرك قعرها ... وسيرت نفسى فى فسيح المفاوز
ولججت فى الافكار ثم تراجع اخـ ... تيارى الى استحسان دين العجائز

وللشيخ العارف القدوة عمر بن محمد السهروردى كلام جيد فى هذا المعنى ذكره فى الباب العاشر من كتابه عوارف المعارف ومنه:

---

(١) الضمير فى خلقت للأجسام المخلوقة من التراب ، والمعني ما للاجسام الترابية المظلمة ودرك نهايات العلوم النيرة اه مصححه عيد الوصيف

ان الملك ظاهر الكون، والملكوت باطنه، والعقل لا يدخل الملكوت ولا يزال مترددا فى الملك ، ولهذا وقف على برهان من العلوم الرياضية ، والعقل لسان الروح، والبصيرة التى هى الهداية قلب الروح ، واللسان ترجمان القلب. فكلما ينطق به الترجمان معلوم عند من يترجم عنه . وليس كل ماعند الذى يترجم عنه يبرز إلى الترجمان . فلهذا المعنى جزم الواقفون مع مجرد العقول العرية عن نور الهداية التى هى موهبة من الله تعالى عند الانبياء وأتباعهم الصواب وأسبل دونهم الحجاب لوقوفهم مع الترجمان، وحرمانهم غاية البيان اه مع اختصار بعض ماذكره نفع الله بعلومه . وكلام هذه الطائفة فى مثل هذا الكلام ذوق لاسبيل الى كشف صحته إلا بالتجربة . وهو نظير كلام الاطباء فى الطب.

﴿ الثالث ﴾ أنها وردت نصوص تقتضى العلم أو الظن أن الخوض فى علم الكلام على وجه التقصى للشبهة والاصغاء اليها والتفتيش عن مباحث الفلاسفة والمبتدعة المشكلة فى كثير من الجليات مضرة عظيمة ممرضة لكثير من القلوب الصحيحة . ودفع المضرة المظنونة واجب عقلا وقد شهدت بذلك التجارب مع النصوص وضلّ بسببه اثنتان وسبعون فرقة من ثلاث وسبعين فرقة وهذه الاشارة بالنصوص اشارة الى مجموع أشياء كثيرة:

(منها) النواهي عن البدع (ومنها) النواهى عن المراء مطلقا وهو

مايظن أنه لايفيد بخلاف المجادلة بالتى هى أحسن (ومنها) النواهى عن المراء فى القرآن (ومنها) النواهى عن المراء فى القدر خاصة (ومنها) النواهى عن التفكر فى ذات الله تعالى (ومنها) الاوامر عند الوسوسة بما ينافى طرائق أهل الكلام وفى ذلك خمسة عشر حديثاً فى الكتب الستة ومجمع الزوائد أشرت الى بيانها فى العواصم (ومنها) أحاديث الاسلام والايمان المتواترة التى تقتضى قواعد الكلام منافاتها إلا مع التأويلات المتعسفة ويشهد لذلك من كتاب الله تعالى قوله تعالى «إن الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم إن فى صدورهم إلا كبر ماهم ببالغيه فاستعذ بالله انه هو السميع البصير» فهذا مطابق لما ورد فى الحديث من الاستعاذة بالله تعالى عند السؤال عن الشبه وقال تعالى «وقال الذين لايعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون» وقال تعالى «قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ» وقال تعالى «لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل» ولم يقل بعد المتكلمين، والحمد لله رب العالمين* وكيف يطمع الجدلى فى هداية المعاندين واعترافهم له، وقد حكى الله اصرارهم على المجاحدة بقوله (كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين لايؤمنون به وقد خلت سنة الاولين * ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون) بل حكى الله سبحانه اصرارهم على الجحد والعناد يوم القيامة بما لايمكن تأويله وذلك قولهم لجوارحهم حين جحدوا فأنطقها الله بالشهادة عليهم فقالوا لجلودهم لما شهدتم علينا

قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء . فمن بلغ هذا الحد فى اللجاج كيف يجب فى النظر الاشتغال بمناظرته بعد أن جحد الرسل وماجاءت به من أبين الآيات، ولعلم الله تعالى بذلك، قال لرسوله خاتم النبيين ومفحم المبطلين والحجة الكبرى على المعاندين صلوات الله عليه وعلى آله وعلى جميع النبيين (وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم * فان جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون) وقال « فان حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد » فهذه هى المجادلة بالتى هى أحسن المأمور بها وقد حكى الله سبحانه وتعالى مجادلة الانبياء فى كتابه لأنواع الجاحدين فلم يكن فيها شىء يتوقف على معرفة دقائق الكلام والمتكلمين

وقد بسطت هذا المعنى فى العواصم فمن لم تكفه هذه الاشارة فليطالعه هنالك والله الموفق وبيده الحول والقوة

ولما فرغت من هذا القدر فى هذا المختصر بلغنى سؤال يتعلق به من بعض المسترشدين فكملت بالجواب عليه الفائدة بمن الله تعالى ورأيت الحاقه به واتصاله لائقا وهو هذا:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى من علينا بالتآلف بين قلوبنا بجامع الايمان ، وأمرنا بالتحاب والتعاون بقدر الامكان ، وخص من عموم ذلك ماورد من الامر بالانفراد فى آخر الزمان ، رحمة للمؤمنين وتيسيرا من الرحمن، ونهانا عن التفرق فى دين الاسلام والابتداع، وألزمنا الاقتداء برسوله صلى الله عليه وآله وسلم والاتباع ، خصوصاً مذ قال

تنصيصا وتنبيها (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) فكان فى جوامع ما جاء به المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم من الزواجر (لقد كان لكم فى رسول أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) وأمره بالاعراض عن الجاهلين، ونزهه سبحانه للمقتدين من تكلف المتنطعين فقال حاكيا عنه (وما انا من المتكلفين) فمن ثم لم يتكلم فى الروح وقد عولت الخصوم عليه تعويلا ، حتى نزل فى ذلك (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا) وربما ترك الجواب مع وضوح ما سئل عنه مما لا يحتاج، كراهية لما لا يفيد من الجدال واللجاج ، كما فعل نبينا مع ابن الزبعرى عليه أفضل الصلاة والسلام وآله الكرام حين تعرض للقدح فى كلام الملك العلام (هذا) وهو المبعوث رحمة للعالمين، والمنصوب لبيان مشكلات الدين، والموصوف بالخلق العظيم والمعلوم انه على الصراط المستقيم، وتلته الصحابة رضى الله تعالى عنهم فأحسنوا فى الاقتداء بخاتم الرسل وأقروا عمر بن الخطاب على مثل صنيعة ابن عسل(١) انتهاء بنهيه وطاعة لأمره وخوفا من الدخول فى وعيد الذين يخالفون عن أمره، وكيف لا يحافظون على ذلك وقد قال سبحانه تبجيلا له وتكريما (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا [illegible]) فلولا ما استثناه الله سبحانه من المجادلة بالتى هى أحسن . على [illegible] الآيات والآثار والعرف المستحسن . لتركوا الجلى كما تركوا الخفى عملا باطلاق النهى الصادر من اللطيف الخبير . والصلاة والسلام [illegible] على صاحب بيعة الرضوان

---

(١) كذا وفي أخري بضيع بن عسل . وأخرى بن يصنع عسل اه مصححه

وعلى آله حماة الاسلام. والهداة الى الايمان، ما كر الجديدان واعتقب الملوان.

(وبعد) فانها لما وصلت إلى الاسئلة الخفية عن وجه تتجنبي لمناهج أهل الكلام الخفية. صادفت مني قلبا قد غلق أبواب الدقائق. وترك الاستعداد للقاء فرسان هذه الحقائق. وصم عن الداعي اليها مسمعا. ولم يتمن ما تمنى ورقة بن نوفل من كونه فيها جذعا. وكيف وقد رجحت الصوارف عنها وجاء المثل: حسن قدح ليس منها. ومن أعظم الصوارف دنوا لاجل، والهم بالاستعداد للقاء الله تعالى عز وجل، فان لكل مقام مقالا. ولكل حال أعمالا. وإن كنت لم أفعل جميع ما وقع به الاهتمام. وما أملت إيثاره بين يدى الحمام. فالهم القوى كاف فى الصرف عن الاقبال. فكيف وقد تشاغلت ببعض ما تعلقت به الآمال. وتعللت على أكرم الاكرمين وأرحم الراحمين بالوقوف فى أبوابه. ومداواة قاسى طباعى بلطيف خطابه. وإيثارى فى خاتمة عمرى لسنة رسوله وكريم كتابه، ثم لزمت البيت وآثرت الخمول. وتركت لو تركت الفضول. وتمثلت بقول الزمخشرى رحمه الله حيث يقول:

أطلب أبا القاسم الخمول ودع ... غيرك يطلب أساميا وكنى
شبه ببعض الاموات شخصك لا ... تبرز إن كنت عاقلا فطنا
علك تطفيء ما أنت موقده ... إذ أنت فى الجهد تخلع الرسنا
إدفنه فى البيت قبل ميتته ... واجعل له من خموله كفنا

وعملت على كلام السيد العلامة الامام المؤيد بالله فى استحباب ترك ما لا احتاجه من الخوض فى علم الكلام. وترك احتجاجى بما لا ينازع فيه عاقل.

ولايخالف فيه الا جاهل أو متجاهل ، من ايثار الضروريات اليومية على الحاجات الاملية ، فان الضرورية بلاقيد أقدم من الحاجية . كيف إذا تعينت الضرورية وتضيقت . وتأخرت الحاجية وتوسعت . وعلى ذلك درج السلف الصالح، ومن اقتدى بهم من الناظرين فى ترجيح متعارضات المصالح * ومن الصوارف عن ذلك شدة المحبة لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم . وعلى ذلك من الاثر ما لاينكره منصف ولايجحده الا متعسف . ولاشك أن كل مسلم يحب كلام الله تعالى ويعظم كلام رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولكن للمحبة والتعظيم مراتب متفاوتة ومقامات متباينة . ولا ريب أن بعض الفنون أحب إلى بعض الناس من بعض . بل بعض كتب الفن الواحد أحب إلى بعض أهله لما فيه من الخواص

وإذا علمت بانه متفاضل   فاشغل فؤادك بالذى هو أفضل

وقد وضعت كتابا فى تفضيل الاقبال على هذين العمودين والاستضاءة بأنوار هذين النيرين . وذلك من دلائل شغفى بهما ، وذمى لمن استقصر قدر معارفهما ، وبغى سبيلهما عوجا ينفر عنه قاصديهما ، ومن ولع بشىء ولع بتمهيد الوسائل اليه ، وقطع شبه الصادقين من التعويل عليه ، ولم يكد ينتفع بسواه ، ولا يهتدى الا بهداه ، وهذا معروف فى طبائع المخلوقين ، كما قال بعض المحبين:

ولو داواك كل طبيب داء   بغير كلام ليلى ما شفاكا

فاذا تقرر هذا فى غير حب الله سبحانه فالذين آمنوا أشد حبا لله وسيأتى كلام الهادى فى الحث على ذلك ، والتفضيل لهذا المسلك على

سـائر المسالك ، وخشيت أن أقطع العمر فى الوسـائل وما وصلت الى المتوسل اليه ،وتعوقنى العوائق والعياذ بالله عما لا يعول إلا عليه، فأكون كمن بالغ فى الوضوء وابتدع، حتى خرج وقت الصلاة وضاق عليه ما اتسع*
وقد رأيت الزمخشرى رحمه الله خص هذين العلمين الشريفين بالتوسل بهما الى الله سبحانه فى رقائق أشعاره ولم يذكر فى توسله غير الكشاف والفائق من محاسن علومه وآثاره فأحببت أن أختم عمرى من طيبهما بما هو أحسن من ختام المسك. وأستحضر من مقدماتهما ما ينتج الرفق والنسك، وقرعت فى أوقات الرقة أبواب المنح،ومن دق باب كريم عليه فتح،ولا ينبغى أن يضرب عما عن ويجتنب فنى الحديث (يستجاب للعبد ما لم يقل قد دعوت ودعوت فلم أجب)ولا يرد على هذا مناقضته بسوء ما أتاعليه من الحالة بالنظر الى الاخبار.فذلك هو الموجب للاهتمام باقرب الطرق إلى النجاة من النار،والتشبه بما كان عليه الابرار من العزلة والفرار . والاشتغال بالقرآن والآثار . والاذكار والاستغفار. بلسان الانكسار والاضطرار:

وهم الاساة فناد فى عرصاتهم   أضحى ببابكم العليل فرضوا

ومن الصوارف عن ذلك ،الموعرة لسلوك هذه المسالك،عدم وجدان الصديق الصدوق البرى من الجفا والعقوق ، القائم بالأخوة من اللوازم والحقوق،ميمون الخلائق،مأمون البوائق،ربانى الهمة رهبانيها ، برهانى المعارف قرآنيها

صموت إذا ما الصمت زين أهله   وفتاق اكمام الحديث المحكم

وعى ماوعى القرآن من كل حكمة ونيطت له الآيات باللحم والدم

وما تركت الطلب حتى طال ارتيادي له بالجد والجهد . فكنت كلما وجهت أملي الى وجهة لم ألق إلا بنى سعد لعدم الحظ لا لعدم المطلوب. فكم في الباب من علم منصوب، ووجيه محبوب . وصادق مجذوب . حتى عاد البصر خاسئاً حسيراً . كانما سمته أن يريني في خلق الرحمن تفاوتاً وفطوراً. ولا مني في الطمع كل عارف نصيح ، وأنشدوني في ذلك كل قول فصيح ومعنى صحيح: فمن ذلك قول الزمخشري :

تيممت أسأل من عنّ لي من الناس هل من صدوق صديق

فقالوا عزيزان لا يوجدا ن صديق صدوق وبيض الانوق

وقول الآخر :

صاد الصديق وكاف الكيمياء معا لا يوجدان فدع عن نفسك الطمعا

ولم سعى لهما قوم وكم جهدوا فما أظنهما كانا ولا اجتمعا

وقول الآخر :

من لك بالمهذب الندب الذى لا يجد العيب إليه مختطى

وقول الاخر :

ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث أى الرجال المهذب

وقول الآخر وهو الذى اطرب الرشيد :

غد يرى من الانسان لا إن جفوته صفا لى ولا إن صرت طوع يديه

وانى لمحتاج إلى ظل صاحب يرق ويصفو ان كدرت عليه

وأحسن منه :

ومن عدم الانصاف أنك تبتغي الـ مهذب فى الدين ولست المهذبا

ومازلت فى زمن الحداثة وايام الغزارة أسد سمعى عن كل نصيحة. وأردبطبعي فى هذا كل حجة صحيحة، وحبك الشيء يعمى ويصم . ولا ينجو من الهوى الا من عصم. حتى اسفر لى وجه الخبرة عن أحوال الرجال .فنادى مؤذن التجارب الصلاة فى الرحال، وأمر الفصحاء برفع الاصوات بالنذارة من كل منارة، فتارة وعيت، فتولّ عنهم فما أنت بملوم (واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا. وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيء لكم من أمركم مرفقا) وتارة أسمع (يوشك أن يكون خير مال الرجل المسلم غنم يتتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر . يفر بدينه من الفتن ، إئتمروا بينكم بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع عنك أمر العامة واعتزل تلك الفرق كلها . ولو أنك تعض على جدر شجرة حتى يأتيك الموت وأنت على ذلك . والزم بيتك وخذ ماتعرف واترك ماتنكر . ليسعك بيتك وابك على خطيئتك)

وتارة أتأمل قول على عليه السلام : ووالله لولا رجائى الشهادة عند لقاء عدوى لو قد حم لى لقاؤه لشخصت عنكم ثم لا أسأل عنكم مااختلف جنوب وشمال، وشاع هذا المعنى وذاع . حتى نظمه البلغاء على أساليب تهتز لها الطباع .وتلتذ بها الاسماع . مثل قول بعضهم :

كيف التخلص والبسيطة لجة والجو أسهم بالمصائب متجم

أسرج وألجم في الفرار فكلهم ... فيما يسوءك مسرج أو ملجم

وقوله :

نهيتك عن خلاط الناس فاحذر ... اقاربك الاداني واحذرنّي

صديقي ما هويت لك اقترابا ... وصنتك عن مخالطتي فصنّي

وقوله وأجاد فيه :

وماعفت وردى لارتواء وجدته ... بنفسي ولكن المياه أجون

فلا تشغلني بالحديث وخلني ... وأشجان قلبي فالحديث شجون

فعقدت على ذلك اعتقادى . وعزمت على لزومه بعد أن همت في كل وادى(١) وقنعت من الغنيمة بالاياب . حتى سلمت في سفرى من الذئاب المدلسة بلبس الثياب. وانها والله بدليلي العقل والحس، أخبث نوعى هذا الجنس . لاسيما من كان ظاهره بالزهادة متحليا . وباطنه من حلية الاخلاص متخليا ، وقد أبدع الزمخشرى وأجاد في قوله في هذا الجنس من العلماء والزهاد:

إني على ماأرا لم لا احذركم ... معرة اللص(٢) والاكراد والفسقة

لكن أحذركم من ينبرى لكم ... في هيئة الزهد لكن همه السرقة

صلاته الرمح والتسبيح أسهمه ... وصومه سيفه والمصحف الدرقة

فبقيت في هذه المدة المديدة سنين عديدة .

قد اعتزلت الرافضى جانبا ... والناصبي والمجترى والمجبر

واعتضت عن خطاب كل جاهل ... خطاب فكرى أو خطاب دفترى

وقلت لا تفتريا فى خبرى ... فقد نبذت كل خل مفتر

(١) أثبتت ياء المنقوص للسجع (٢) وفي القاموس أمعره سلبه ماله اه مصححه

و قد قلت فى ذلك مجيبا على من لام وعاب ، من الاهل والاحباب

لامني الاهل والاحبة طرا فى اعتزالى مجالس التدريس
قلت لا تعذلوا فما ذاك منى رغبة عن علوم تلك الدروس
هى رياض الجنان من غير شك وسناها يزرى بنور الشموس
غير أن الرياض تأوى الافاعى وجوار الحيات غير انيس
حبذا العلم لو أمنت وصاحبـ ـت إماما فى العلم كالقاموس
غير انى خبرت كل جليس فوجدت الكتاب خير جليس
ورضيت المروى عن جدى القا سم من جامع علوم الرسوس
فدعونى فقد رضيت كتابي عوضا لى عن أنس كل أنيس

ولما لم أسلم من القيل والقال ، بعد الفرار والاعتزال ، أعجبنى أن أصل هذه الابيات بقول من قال :

لو تركنا وذاك كنا ظفرنا من أمانيّنا بعلق نفيس
غير أن الزمان (أعنى بنيه) . حسدونا على حياة النفوس

وهذان البيتان زادهما قائلهما على قول بعض العارفين :

ان صحبنا الملوك تاهوا علينا . واستبدوا بالرأى دون الجليس
أوصحبنا التجار عدنا إلى اللو م وصرنا إلى حساب الفلوس
فلزمنا البيوت نستعمل الحبـ ـر ونطلى به وجوه الطروس
ونناجى العلوم فى كل فن عوضا عن منادمات الكؤوس
وقنعنا بما به قسم الله ولم نكترث بهمٍّ وبؤس

وفى هذا المقام بنيت دور المنى ، وثنيت ببدور الهنا ، وفطمت نفسى عن الطمع فى الناس ، حتى طعمت لذة الياس ، ولم أقل :

ولابد من شكوى إلى ذى حفيظة يواسيك أو يأسوك أو يتألم

ولكن قلت إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله، وأقبلت على ربى وحده بكلى وأخلصت له تفويضى وتوكلى

وكاد سرورى لايفى بندامتى على مامضى من عمرى المتقادم

ولما عز على حق الولد أيده الله لحسن أدبه فى سؤاله، وأكيد محبته وأهله لمحمد وآله، وطول غربته فى طلب العلم بالجهد، ولطيف نظره فى مواضع النقد، قسرت طبعى على الجواب. وإن قل فيه الصواب. فما يكاد المكره على الامر يجود فيه ويحقق. ولا يعلو فيه ويحلق. ولكن الخيرة فى المكاره. ومن ثم جرت البركة فيما عملت وأنا كاره. وقدمت من صفة حالى فى مقام الدقائق مالا يليق بخوافيه، إذ كل إناء يرشح بمافيه، ولن يخلو ذلك من شبه إن عدمت المناسبة لاعدل بذلك سوأة الجدال وقساوته وغلظته وجفاوته، إذ كانت كراهة القسوة المحضة قد تمكنت من قلبى تأثما وبغضة، وكى أعذر فى التقصير. حين أمشى فى هذا الميدان بالباع القصير. قائلا له أيده الله تعالى حين بان عن ملائمة حالى وبعد، زادك الله حرصا ولا تعد

كراهية منى المرا لاتبلدا وتعرف ماعندى بومض حرابى

وملء جفون العين للحل مقنع كملء جفان أو كمل جوابى

وما يلام الامن ترك المقدور من الخير وان قل، وعاند الحق وان جل، وأعوذ بالله من العناد، وأسأله السداد، ولابد قبل الجواب، وبعد خطبة الكتاب، من الايماء إلى أمر لايخفى على ذوى الالباب.

زائد على مافى المبتدأ من التنبيهات . الذى كان يطرد الولد أيده الله فيه أصل البحث عن هذا السؤالات . مثل التحذير من إفتاء الرد والقبول وترجيح العوائدعلى أدلة المعقول والمنقول وذلك أن الخلاف بين الخصمين إذا كان فى الامور الخفية، لم يحسن من واحد منهما أن يتهم الآخر بالعناد والعصبية ووجب اجتناب مايدل على ذلك من التلون فى العلل وإنكار المعلومات لاقامة الجدل، فان حصل الاتفاق مع لين الجانب وسهولة الاخلاق والا احتجا إلى حاكم يقطع الشجار غير متهم بشيء من الجهل والهوى والاستكبار، والاغترار بالطبع المجبول على الاحتقار بمن جاء بمافيه أدنى استنكار. الا ترى أن داود عليه السلام لما أخطأ فى التأويل وكان هو الحاكم والمرجوع اليه فى التنزيل علم الرب اللطيف سبحانه وتعالى أنه قد تعذر على خصمه التوسل إلى عتابه، والتوصل الى الانتصاب من عزيز جنابه، فارسل الله تعالى ملائكته فتلطفوا حتى حكم بالظلم على من فعل مثل فعله وانطلق بالتصريح بذلك مسرعاً اليه بمحض عقله وعدله، ولو سئل عن ذنبه بالتصريح ولم يتوسل اليه بذلك التدريب والتلويح، عارضه بما علق بطباعه من تمهيده لعذره بالتأويل المرجح له ما كان من أمره فلم يؤمن أن يبطىء بالاقرار ولا يبادر بالاعتراف حق البدار

وأصرح من ذلك وأولى بالاعتبار، ماقصه الله سبحانه علينا من استنكار كليمه لما فعله الخضر عليهما السلام بعد الاخبار والاعذار على أن المخبر له بتفضيل الخضر عليه السلام هو الصادق الذى لايجوز عليه الخلف فى الاخبار ما ذلك إلا لغلبة الطبع البشري لما يطرأ عليه من المعارف المخالفة لجبلته البعيدة عن مألفه وعادته فكيف لايتهم المصنف

نفسه، ويوقظ للاحتراز من هذا الطبع القوى حسه، ولا يأنف ان طلبت منه البينة على أقواله والمحاكمة إلى خير أجناسه وأمثاله *

ولما طلب الامام المهدى على بن محمد للمناظرة والاختبار، طلب البداية بنصب حاكم يقطع الشجار عند اختلاف الانظار، وقد تنازع على عليه السلام وأخوه جعفر بن أبى طالب الطيار مع الملائكة الكرام وزيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فما اعترف أحد منهم لخصمه بعد أن أدلى كل واحد منهم بحجته، بل بقى كل على استرجاح حجته حتى حكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحكمه وأثنى على كل واحد منهم بفضله فقال لعلى عليه السلام (أنت منى وأنا منك) وقال لجعفر عليه السلام (أشبهت خلقى وخلقى) وقال لزيد رضى الله عنه (أنت أخونا ومولانا) وهذا مما اتفق على صحته من الاحاديث فلم يكن فى بقاء كل على حجته بعد سماع حجة خصمه ما يدل على عناد، ولا أطالوا الخوض فى المراء على جهة اللجاج ولا على جهة الاسترشاد * أما المراء فانه لا خير فيه لانه اسم لما نظن أنه يفيد، وأما الاسترشاد فانه عبارة عن طلب الرشاد، وهو يحصل فى الظنيات باول امارة، والاشارة تغنى فيه عن تطويل العبارة، والمراد من كل واحد ما قوى فى ظنه. ورجح فى فهمه والنكير عليه بعد ابدائه لمستنده وابقائه عليه خروج عن منهاج السلف الصالح ومخالفة لاجماعهم العقلى فى هذه المسالك، وقد يقوم الود والعدل والتناصف والعقل إذا صفت مواردها عن أكدار المعارضات. وأشرب الخصمان حب النظافة من رذائل القرائن المنفرات. مقام الحاكم العادل الجامع

الكامل فلا ينبغي حينئذ أن يكون أحدهما صاحب قطيعة ولا ريبة، فضلا عن أن يكون صاحب بغض وغيبة، ولا يكون أحدهما صديقا لعدو ولا عدواً لصديق ولا مجهول الخبرة محتاجا إلى تعديل وتوثيق، ولا منقطعا الى خصوم صاحبه في ليله ونهاره ومحله وقراره وتدريبه في العلم وانظاره.

ثم لا يجوز أن يحكم وهو غضبان لان الحكم في الاديان آكد من الحكم في الاموال والابدان وقد علم جرح الثقات بالتهم والإحن هنالك وان خفيت في الدلالة عليها المدارك * وعلى طالب العلم الصادق حين يخلو من الخصومة ويريد أن يحكم بين المتخاصمين كالناظر بالانصاف في مقالة ابي هاشم والامام يحيى وأبي الحسين وابن تيمية وأتباعهم من الطوائف في الاكوان أن ينزل نفسه منزلة الحاكم بينهما بالعدل فلا يحكم لابي هاشم حتى يطب مذهب الامام وأبي الحسين كطلبه(١) ويمعن النظر في مصنفات كتبه ويتعلم ذلك بالقراءة على أئمة مذهبه ويعتبر ذلك بحاله في مذهب ابي هاشم فانه أول ما خلق كان خاليا من معرفة صحته واعتقاد قوته حتى قرأ في كتبه على رجاله، وقطع عمرا في تعرف قواعد أقواله، فصادف قلبا خاليا فتمكنا، فلابد أن يكون في قلبه بطبع البشر ميل اليه، وتعويل عليه كما تقدمت الاشارة اليه في قصة الكليم مع الخضر عليهما السلام

وقرينة هذا أنك ترى الطائفة العظيمة في الازمان الطويلة على مذهب بعض المتكلمين في المشكلات الدقيقة والمعضلات العويصة لا يخالفه منهم

(١) أى لمذهب أبي هاشم يريد أنه لا يحكم بالترجيح بين الثلاثة الا بعد اطلاعه وفهمه لمذاهبهم ضرورة أن الحكم على الشيء مطلقا فرع تصوره اه مصححه عبد الوصيف

ناظر مدقق، ولا يميل عنه في جميع خفيات مداركه محقق، مع مخالفة من هو أعلم منهم له وأخص منهم به كوالده الشيخ أبي علي فانه كثير الخلاف لولده الشيخ أبي هاشم، ماذاك الا لخروج شائبة التقليد من بينهما. ودخولها من غير شعور على من دونهما. ولذلك ترى أكابر العلماء الشيوخ يختلفون كثيراً . وألوف الالوف من الأتباع على منهاج رجل واحد لايخالفونه يسيراً بل يجتمعون على لوم من خالفه . وذم من نازعه *

واعلم ياولدي أني كنت مثلك طالب علم صغير السن ، كثير الجدل . قليل التجارب ، وما كنت مثلي طالب سلامة كبير السن قليل الجدل طويل التجارب . وأعني بقولي طالب سلامة . اني غير ملتفت إلى غيرها من الفوائد على حد قول القائل « رضيت من الغنيمة بالاياب » ولذلك قيل « طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم » والمجرب لايعدل بالسلامة ولا يرتاع من عدوان الظلامة والملامة ،

ومن كملت فيه النهى لايسره نعيم ولا يرتاع للحدثان

فأنت في مناظرتك تطلب مني تجريب المجرب . ومالي داع بعد تقديم تجربتي إلى تجريب لولا محبة الاسعاف لك على سبيل التقرب إلى الله تعالى والتقريب . وربما انتفع غيري وغيرك بما دار بيني و بينك وقد أحسن من قال في طلب المآرب

* أرى غفلات العيش قبل التجارب *

وسوف إن طال بك الزمان ، وجمعت بين البرهان والقرآن ، والاخبات الى الرحمن والزيادة في الايمان ، تذكر ماقلته لك من الفرق بين الحالين ، والتمييز

بين المقامين ، وهـذا مقام لادليل فيه الاالتجربة المنزهة معارفها عن طرو الشبه ،وهو مقام الرياضات والتجربيات،وهى أحد أقسام العلوم الضروريات والمدارك العقليات، يختص بعضها بمن اختص به من العقلاء كبعض المتواترات والـكلام فى هذه الامور وإن طال،فهو مناسب لمقتضى الحال ، فانه أيده الله طول وكثر فى السؤال ، مع أنه من فرسان هذا المجال ، والعارفين بما يحل به الاشكال ، وحينئذ عرفت أنه أراد بسؤاله (١) ما أراده من قال :

نحن أدرى وقد سألنا بنجد أقصير طريقنا أم طويل
وكثير من السؤال اشتياق وكثير من رده تعليل

﴿السؤال الاول عن مرادى بقولى﴾ * :

أصول دينى كتاب الله لا العرض وليس لى فى أصول بعده غرض

وقد طول أيده الله فى التقاسيم وايراد الادلة علي كل ما يمكن ذكره وكان يكفيه فى ذلك سؤال الاستفسار ، وهو أول مايراد عند النظار ، وتطويله أيده الله فى ذلك مما أفاد فيه وأجاد ، ودل على ماله من الانتقاء والانتقاد .لـكنه فى غير محل النزاع ، وفيه تعريض بإنكار منكر لجميع تلك الانواع، كما ذكره أهل علم المعانى فى دلالة دخول المؤكدات فى الاخبار،على أن المخبر بذلك من أهل الجحد والانكار

ومع تطويله أيده الله فى السبر والتقسيم ، وتوكدذكائه فى ملاحظة كل صحيح وسقيم ، فانى أعاتبه فى ترك جليات المحامل الجميلة ، التى بهـا تنقطع الخصومة بيننا فى هذه المسئلة الجليلة مع انها أجـلى من أن تخفى على من

(١) أى السؤال الاول عن المراد بقوله عليه السلام أصول ديني كتاب الله الخ .

عرف بعض ماعلمه الله سبحانه وسلك سبيله التى طلب فيها أن يرضى الله تعالى *

وبيان ذلك أن الاشكال انما نشأ من اعتقاده أن اللام فى العرض لا تفيد شيئاً غير العموم ، من جميع فوائد المنطوق والمفهوم ، وهو أجل من أن يجهل احتمال خلاف ذلك عند جميع أهل العلوم * فان للام أربعة معان مشهورة عند أهل العربية والمعانى والبيان وأوضحها وأشهرها وأثبتها وأكثرها (افادة العهد) الذى قصدته فى أبياتى ، ودلت عليه القرائن من كلامى وغير كلامى ، وقد تكون (للماهية) كقولنا الرجل خير من المرأة

وقد تكون (بمعني النكرة) حيث يكون لمعهود فى الذهن وليس بمعهود فى الخارج ولا هو للماهية كقول القائل ادخل السوق فانه لم يرد الماهية لانها لا تدخل ؛ ولا أراد كل سوق ولا سوقا معينا فهو فى معنى النكرة

وقد تكون (للعموم) على اختلاف كثير فى ذلك وهو رابع معانيها وأخفاها حيث اختلف فيه أهل العلم عامتهم وخاصتهم من جهتين

أما العامة فانهم اختلفوا هل للعموم صيغة تخصه أم لا ؟

وأما الخاصة فان المثبتين لصيغ العموم اختلفوا هل تفيده مع دخولها على الجمع ذكر ذلك الجوينى فى كتابه البرهان ، وتقصى الخلاف فى ذلك السبكى فى جمع الجوامع ولفظه : أوجز ماعلمت فى هذا فلنكتف به

قال فيه والجمع المعرف باللام للعموم مالم يتحقق عهد خلافاً لابى هاشم مطلقاً ولامام الحرمين اذا احتمل معهوداً . والمفرد المحلى مثله ، خلافا

للامام مطلقاً ولامام الحرمين اذا لم يكن واحده بالتاء اه ويعنى بالمحلى : المحلى باللام أى المعرف به وبالامام : الفخر الرازى

ولنجم الدين فى كلامه على مقدمة ابن الحاجب اضطراب فيما تفيده اللام الجنسية وكلام مختلف ومناقشة لابن الحاجب ، وهذا أجل مايحتمله كلامى ، وهو المحمل الاول فان قلت هذا صحيح إلا أنها لم تدل عليه قرينة فالجواب من وجوه : أحدها أن القرينة على ذلك ظاهرة من كلامى وكلام غيرى ـ أما من كلام غيرى فان العرض الذى جرت عادة المتكلمين باختصاصه واختياره للاستدلال هو العرض الكونى دون السمعى والذوقى واللونى *

والكونى هو المنقسم إلى الحركة والسكون والاجتماع والافتراق والكون المطلق ، وزاد أصحاب أبى الحسن فيه البعد والقرب ، فهذا الجنس من الاعراض هو المذكور فى صدر كل كتاب من كتب الكلام حتى فى المختصرات كالمسائل الثلاثين ، وحتى ذكره أيده الله فى أسئلته هذه المختصرة وخصه بالاحتجاج به دون غيره كما اختصه بذلك سائر المتكلمين

حتى ذكر ابن متّويه فى المحيط سؤالا فى ذلك ، فمن لفظه فيه . قوله فهلا سلكتم فى ذلك غير الدلالة التى تذكرها مشايخكم من البناء على الدعاوى الاربع ، وإذا أبيتم إلا أن تصدروا الكتب بذكرها فما فيها من زيادة الفائدة على غيرها إلى آخر ماذكره ، وإنما قصدت الاستشهاد بكلامه على ماادعيت من أن دليل الاكوان هو المعهود فى الاستدلال بالاعراض على حدوث الحادثات ، وأما مايدل على ذلك من كلامى فهو انى عطفت

الـكلام على هذا البيت بالاسئلة القادحة فى دليل الأكوان بخصوصه .
ولو أردت ابطال جميع الاعراض وهى عامة لم يكف بطلان بعض خاص منها ، ولا يخفى مثل ذلك على أحد ، ويسمى هذا الجنس من الأعراض بالأكوان لانه مأخوذ من كون الجسم فى المكان *

﴿ المحمل الثانى ﴾ ان أكون ماأردت العهد بادخال اللام على اسم الجنس فانه لا يتعين التعمم بذلك أو لا يتبين لان شرط التعميم فى ذلك عند من ذهب اليه أن يكون فى الاثبات دون النفى ، لان قولنا ماجاء الرجال لا يفيد أنه ماجاء رجل واحد وانما يفيد نفى المجىء عن جماعة الرجال بخلاف قولنا جاء الرجال بالاثبات ، وهذا واضح ، وقد نص عليه البيضاوى فى كتابه المنهاج فى أصول الفقه * وذكره أهل المعانى والبيان الا فى صورة واحدة وهى اذا تقدم لفظ كل مضافا الى مفرد مثل كل رجل لم يقم ، فانه يتوجه الى الافراد دون الشمول ، بخلاف مالو قدم النفى فقلنا لم يقم كل رجل فانه ينصرف الى الشمول ولا يدل على انتفاء المجىء عن كل فرد ، وقد اضطرب صاحب التلخيص فى الفرق بينهما ، وتوهم بعضهم ان العلة مجرد تقديم المسند اليه وتأخير النفى وليس كذلك فانك لو قدمته وجعلته جمعا لا نصرف الى الشمول كقولنا كل الرجال لم يقوموا ، وانما هو عرف لغوى مقيد بقيدين أحدهما تقديم المسند اليه ، وثانيهما افراده مؤكدا بكل

وأحسن ماوجه به أنه حينئذ نفى لفعل الكل أى لفعل كل واحد وقولنا لم يقم كل أحد نفى الكل عن الفعل . وهذا الثانى ، هو الذى دل عليه الباب لم يخرج منه الا تلك الصورة الواحدة وجميع الامثلة وان

كررت من هذه الصورة كقوله صلى الله عليه وآله وسلم (كل ذلك لم يكن) وقول أبي النجم

قد اصبحت أم الخيار تدعى على ذنبا كله لم أصنع

برفع كل ولو نصب انصرف الى الشمول كانه يخص المبتدأ والخبر وكذلك يجب افراد الخبر من قولنا كل رجل قائم ويمتنع قائمون وهو يحتمل زيادة في النظر والله الفتاح ومنه :

ما كل مايتمنى المرء يدركه تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن

ومنه ماجاء القوم كلهم ولم آخذ كل الدراهم وكل الدراهم لم آخذ ، النفى فيه متوجه الى الشمول خاصة كما قاله عبدالقاهر ، وقولنا ماجاء القوم كلهم مما نص عليه عبد القاهر وهو نظير قولي لا العرض متى كان بمعنى الاعراض كلها الا انى لم أوكده بكل ، وكل في هذا الموضع للتوكيد لا للتأسيس قطعا وفاقا لانها متاخرة فلا يخل سقوطها بمعنى ماقبلها ولا بغيره بدخولها

قال صاحب التلخيص ويفيد (يعنى نفي الشمول) ثبوت الفعل أو الوصف لبعض أو تعلقه به ، وقد نقل الجويني في باب العموم من البرهان عن سيبويه أنه يجوز ان يقول مارأيت رجلا قائما وإنما رأيت رجالا ، وهذه الصورة التى جوز سيبويه فيها ماجوز هى أصرح عموم النفى فكيف مانحن فيه

ويوضح ماذكرت انك إذا قلت في النفي ماجاء رجل أفاد العموم فاذا جعلت الرجال موضع رجل تغير المعنى فيتغير العموم وقد ذكره

مختار فى المجتبى وقال هو مثل ماجاء عشرة رجال لا يفيد نفى مجىء التسعة فما دونها وأجاب عن قوله تعالى (لاتدركه الابصار) بان العموم مستفاد من معنى المدح كقولنا فلان لا يفعل القبائح فانه يعلم من معنى المدح انه لا يراد أن يفعل بعضها

﴿المحمل الثالث﴾ لو قدرنا انه لم ترد اللام الا للعموم وانه فى كلامى يفيد العموم بالاجماع فلا شك ان العموم يختص بالقرينة ولا سيما الجلية المتصلة به، وفى كلامى قرينتان لذلك، احداهما ما قدمته من عطفى على ذلك بالاحتجاج على بعض أنواع الاعراض، ولا سيما أن تلك الاعراض التى ذكرتها هى المعهودة المشهورة *

فالتخصيص بها كثير قريب حتى منعت الحنفية من ارادة غير المعهود كما هو مذكور فى موضعه من كتب الاصول، وثانيتهما تقديمى الاحتجاج بكلام الله وهو من الاعراض فانه ظاهر فى ان قدحى فى بعضها وإن اثبت بلفظ عام كما يعرف ذلك فى قول من قال: ربى الله لا إله إلا هو أوقال الله ربى لا الارباب، أوقال أهلى بنوهاشم لا الناس وامثال ذلك فهاتان قرينتان قد حققتا هذه اللفظة الضعيفة الدالة على العموم أولا وآخرا كيف مع ماحفها من القرائن من بين يديها ومن خلفها ومتصلا بها ومنفصلا عنها

ولقد وجدت أيدك محملا سائغا للامام يحيى بن حمزة المؤيد بالله فى قوله ان

اجماع المتأخرين لا يصح مع أنه قال لا يصح قطعا بالضرورة على جهة التحقيق هذه ألفاظه عليه السلام فى كتابه المعيار، فأمكنك تأويل القطع والضرورة والتحقيق بالتجوز بها عن الاستبعاد الذى ليس بحجة عند أحد من المحصلين كما سيأتى، وما أمكنك أن تصرف كلامى عن جهة العموم والشمول والاستغراق المحقق بوجه من وجوه الاشتراك الذى فى اللام ولا وجه من وجوه المجاز الذى يدخل العموم المجمع عليه وأنا أحوج الى الحمل على السلامة من الامام عليه السلام وان كان أحق به منى ، وذلك لنقصانى وكماله وكون الكل حاملا له على السلامة مسلما له منصبه من كمال مناصب العلم والامامة، وقليل من يحملنى على السلامة فحملى على ذلك كالصدقة على الفقير البائس، بل قد رأيت المسئلة لا تزال دائرة بين علماء الاسلام لا نكارة فيها ولا متعرضاً لافرادها بالبحث والتأليف حتى اذهب اليها ولحظتها احداق النظار وتواترت فيها التآليف بالانكار ما ذلك الا لما وعد به الصادق الامين صلى الله عليه وآله وسلم من عود الدين غريباً كما بدأ، وحسبى الله وكفى لا اشرك به أحدا.

﴿ المحمل الرابع ﴾ لو قدرنا النزاع فى جميع ما تقدم مادل كلامى على نفى ذوات الاعراض على جهة النصوصية وان فى كلامى ما يستلزم التوقف فى ماهية بعضها، وإنما منصوص عبارتى هذه فى هذا البيت ان الاعراض ليست أصول دينى ، ويجوز فيما ليس أصلا لدينى أن يكون ثابتا فى نفسه لكننى مع ثبوته لم أبن نظرى عليه لاستغنائى عنه بما هو أجلى منه وأولى كما أشرت اليه فى أبياتى حيث قلت :

ومالهم عن دليـل المعجزات أما

فى طلعة الشمس عن نور السهى عوض

فجعلت دليل المعجزات أقرب وأقوى وأجلى، وأقطع للحجاج وأولى كما أعتمدها ان شاء الله تعالى عند القصد الى افحام الخصوم وقطع اللجاج وكـذلك الاستدلال بما فى هذا العالم من عجائب المصنوعات ، وغرائب المخلوقات ومافى جميعها من الاحـكام والاتقان المعلوم بالفطر حاجته الى صانع أحكمه وعليم قدره وهذان الطريقان صحيحان ؛ اما الاستدلال بالمعجز فلا أعلم فيه خلافا، وأما الاستدلال بالاجسام من جهة الاحكام فـكذلك لا أعلم وجها للخلاف فيه ،الا ان فى عبارة ابن متويه اشعارا بخلاف أبى هاشم وحده فى ذلك وما هو عندى بصحيح عنه ان شاء الله تعالى كما دل عليه ابن متويه فى أوائل المحيط وذلك يأتى قريبا ان شاء الله تعالى *

وهذان الامران هما مرادى بقولى *أصول دينى كتاب الله لا العرض* أعنى الاستدلال على أصول دينى باعجاز القرآن واحكام خلق المخلوقات لجلائهما لا العرض الـكونى لاستغنائى عنه مع كثرة الشـبه فيه كما نص عليـه ابن متويه فى أوائل المحيط ، وقد قال الامام يحيى بن حمزة من أئمة العترة وكثير منهم عليهم السـلام، والشيخ أبو الحسـين وكثير من أئمة الـكلام ، والشيخ ابن تيمية وكثير من أصحابه من جميع طوائف الاسلام بأن الاكوان غير ذوات حقيقة ، قال الشيخ العلامة مختار بن محمود المعتزلى فى كتابه المجتبى فى خاتمة أبواب العدل ان ذلك مذهب اكثر شيوخ المعتزلة

من البصرية والبغدادية ، وانهم يقولون بانتفاء الاكوان ، ولم يحك القول بثبوتها إلا عن أبي هاشم وأصحابه ، وذكر أن لهم فى ذلك خبطا كثيراً ومغالطات وترددات لا تندفع الا بتحقيق ما ذكره، ثم ذكر الادلة فى ابطال قولهم وطول وجود ، فمن أحب الانصاف حقق أدلة الجميع . وكان أبو هاشم رحمه الله يقول : إن الاكوان ثابتة بالضرورة ثم رجع عن ذلك ، وكان والده أبو علي يقول: انها محسوسة بالعين وبغيرها من الحواس ذكر ذلك عنهما ابن متويه فى المحيط. وهذا غاية الاضطراب فى دليل الاكوان وإذا حملا على السلامة والجلالة مع هذا الاضطراب العظيم فيما هو عند أحدهما من المحسوسات المشاهدات وفيما قطع أحدهما على أنه كان مخطئا قطعاً فى دعوى أنه من الضرورات وأن والده مصر على الخطأ المقطوع به فى أنه من المحسوسات الجليات ، فحملي ان شاء الله على السلامة أيسر من ذلك وأسهل على من سلك هذه المسالك *

وكيف يستنكر الشك مني فيما اضطرب فيه الشيخان هذا الاضطراب حتى تردد أبو هاشم فيما كان قاطعا أنه من الضروريات واعترف آخرا أنه كان أخطأ خطأ قاطعا فى قوله إنه من الجليات وحتى استمر على التنازع فيما هو عند أكثرهما من المشاهدات مع خلاف عيون النظار لهما فيما اتفقا عليه ، وأعجب من هذا وأغرب حصر السائل أيده الله جميع طرق معرفة الرب الجليل المسمى بالحق المبين ، فى هذا الامر المشكل عند من يصححه من الاقلين، الباطل عند من ينكره من الاكثرين والمحققين

وإذا جاز الخطأ على أبي على فيما يقطع فيه أنه من المشاهدات وعلى أبى هاشم فيما كان يقطع على أنه من الضروريات فالخطأ عليهما فى الاستدلاليات الخفيات أقرب، وحصر الطرق الى الله تعالى فى هذا الامر الخفى أغرب وأعجب ،وليس القصد بهذا خفض رفيع منزلتهما ولا القدح فى عظيم علمهما ، وانما القصد أمران : أحدهما تهوين أمر المخالفة فى هذه الدقائق على السائل، وأن المخالف فيها جدير أن يسلك به مسالك من تقدمه من المختلفين فى هذه المسائل فى تطلب وجوه المحامل، وأن لا يخص بذلك الاوائل ، وثانيهما ان لا يرجحا على جميع من خالفهما من الأئمة وعلماء الامة ، ولا نغتر بكثرة مقلديهما فى هذه البلاد ، ممن ادعى أنه لا يقلد فى الاعتقاد، وهو لهما أو لاحدهما أو لمن لا يساوى آثارهما أتبع من الظل، وأطوع من النعل؛ بل كيف لنا أن لا نعارض بهما رحمهما الله الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام والبراهين العظام، وما أشد كراهتهما لذلك ، وللسالكين هذه المسالك،فلو اقتدى بهما مقلدوهما ما قلدوهما ولو لم يقلد وهما لاختلفوا كما اختلفا، وتحيروا وترددوا كما تحيرا وترددا، على ماجرت به العوائد فى احوال الخائضين فى هذه الدقائق والله أعلم

﴿ فصــل وفى كلام السائل أيده الله ﴾ تنبيه لى على أن اعتمادى على النظر فيما نبه عليه القرآن من الادلة الجسمية لا يصح الا مع اثبات العرض الكونى بخصوصه وقد كبر على اذ يكون مثله من طلبة العلم المنقطعين اليه مع فرط ذكائه وشدة رغبته وطول غربته يظن مثل هذا الظن، خصوصا من المدققين المحققين فى هذا الفن ؛ ولقد خشيت أن يكون هــذا الذى ذكره أيده الله قد شاع فى أهل العصر فأحببت أن أذكر من نصوص مشايخ المعتزلة وأئمة الاســلام وأدلتهم مايعــلم به بطلان ذلك

وأورد بعض ألفاظهم وأنسبها إلى مواضعها المعروفة ليعلم باختبارى بالبحث عنها صدق كلامى . فانى الآن مخاصم ولا يصح أن أحكم لنفسى ولا أزكيها بل أحيل النظر فى الرواية الى مواضع النقل ، وفى الدلالة إلى محض العقل ، وجزى الله السائل عن المسلمين خيرا لقد نبه على أمر ما حسبت أن أحداً يشك فيه ،والله يأجرنى على بيانى له ان شاء الله تعالي ، وبيان ذلك يظهر فى مقامين :

﴿المقام الاول﴾ فى بيان الحجة على الله تعالى من غير طريق الاكوان ومن قال بذلك) قال الشيخ المحقق أبو محمد الحسن بن أحمد بن متويه فى باب اثبات المحدثات الدالة على الله فى كتابه المحيط مالفظه : والمعتبر فيما نجعله دليلا على الله تعالى هو ماله صفة مخصوصة (الى قوله) فى بيان ذلك إنه ما يتعذر على القادرين بقدره ، فكلما اتصف بهذه الصفة : فهو دليل على الله سبحانه وتعالى . فاذا أردت كشف هذه الجملة قلت : إن الذى يدل عليه إنما هى أفعال الحوادث ، وكلها لاتخرج عن أن تكون جوهراً أو عرضاً ، فما كان من باب الجواهر فهو دليل على الله تعالى لامحالة، لتعذره على القادرين بقدره وما كان من باب الاعراض فانه ينقسم ، إلى قوله بعد أن ذكر ثلاثة أسئلة وجوابها : فالذى ذكره أبو هاشم فى الجامع الصغير وغيره أن لا طريق يستدل به على حدوث الجسم إلا بالبناء على الاصول الاربعة ، وذكر أن باقى العرض لا يمكن به الاستدلال على حدوث الجسم ، قال ابن متويه : ولكن الذى عليه شيوخنا وأشار اليه فى الكتاب أن الاستدلال بغيره صحيح،وهو أن فى القول بعدم الجسم إثباتاً له فيما لم يزل على صفة واجبة

من هذه الصفات من نحو كونه في جهة مخصوصة، إذ لا يجوز أن يقال: إنه فيما لم يزل يحصل في جهة، وقد كان يجوز أن يكون في أخرى بدلا منها، لان قدمه يوجب أن يكون في جهة معينة لا يصح انتقاله عنها، وقد عرفنا أن من حكم تحيزه صحة تنقله في الجهات، وإنما يجب كونه في جهة ما لا بعينها فلا يصح إذاً أن تكون قديما ويجب أن تكون هذه الصفة متجددة له، وهذا يوجب تجدد الوجود له أيضاً، يبين هذا أن كونه كائناً اذا كان متجددا، وتحيزه لا يظهر إلا بذلك وجب تجدد التحيز له، ووجوده لا ينفك عن تحيزه، فيجب تجدد وجوده أيضاً، فهذه طريقة يمكن سلوكها اه كلام ابن متويه بحروفه، وفيه ما ترى من نسبة أبي هاشم في هذا إلى الشذوذ، وهذا كلام أحرص أصحابه على نصرته، وهذا شذوذه بالنظر الى أهل مذهبه المشغولين بأقواله وكتبه فكيف شذوذه بالنظر الى سائر أهل الكلام، بل بالنظر الى السلف الكرام وسائر علماء الاسلام، وقد اختار ابن أبي الحديد في شرح أول خطبة في نهج البلاغة الاستدلال على حدوث الاجسام بتركيبها لاستلزامه أنها ممكنة غير واجبة وان واجب الوجود غير ممكن، والاستدلال على حدوث الاعراض بافتقارها الى الاجسام، وواجب الوجود غير مفتقر، وذكر غير هذا من الادلة دون دليل الاكوان، فلم يذكره ولم يعرض به ولم يلتفت اليه، وهو علامة المعتزلة وخاتمة محققيهم ومن المعظمين لأبي هاشم، ثم ننتقل من أخص خواصه من الجبائية والبهاشمة الى سائر شيوخ الاعتزال مثل أبي الحسين وأصحابه، وقد ذكروا في حصر الادلة على

الله على جهة الاجمال أنها ستة أجناس كل جنس يشتمل من الأنواع على مالاحصر له ولا حد،ولا حساب له ولا عد ، وهذه الستة الاجناس (الاول) امكان الذوات (الثانى) حدوث الذوات (الثالث) مجموعهما (الرابع) إمكان الصفات (الخامس) حدوث الصفات (السادس) مجموعهما ، فمن ذكر هذه الاقسام وأجاد الكلام فى كل واحد منها الشيخ العلامة الزاهد المحقق مختار بن محمود فى كتابه المجتبى (قلت) وقد ذكر العلماء تقسيم بعض هذه الاجناس على جهة الاجمال أيضاً لكنه أبسط قليلا من هذا ذكرته لتنبيه الناظر على عظيم ملك مالكها ولطيف حكمة خالقها وعظيم إحكام صانعها، وأخصر ماقيل فى ذلك أن نقول: الممكن إما أن يكون متحيزاً ،أو صفة للمتحيز، أو لامتحيزا ولا صفة للمتحيز،هذه ثلاثة أقسام :

(الاول) المتحيز وهو إما أن يكون قابلا للقسمة أولا (الثانى) الجوهر الفرد عند من يقول به (والاول) الجسم عند من لايشترط تركيبه من ثمانية جواهر ، والمشترطون لذلك هم المعتزلة أو جمهورهم ، وذكر مختار أنه بحث لغوى وهو : إما أن يكون من الاجسام العلوية وهى الافلاك والكواكب والعرش والكرسى واللوح والقلم وسدرة المنتهى والجنان وإما أن يكون من الاجسام السفلية ، وهى إما بسيطة وإما مركبة،فالبسيطة العناصر الاربعة :الارض والماء والنار والهواء ، وقد قيل إنها كلها كرية ولم يصح هذا فى السمع ولا طريق له سواه ، وأما المركبة فهى المعادن ثم النبات ثم الحيوان على كثرة أقسامها (والثانى) وهو الذى يكون صفة

للمتحيز هو الأعراض وقد ذكروا منها مايقارب أربعين جنساً ، والثالث وهو الذى ليس بمتحيز ولا صفة لمتحيز هو الارواح عند بعض أهل الكلام، وإرادة البارى سبحانه وتعالى عند البهاشمة من المعتزلة* ومن أهل المعقولات من يدخل فى الأرواح الأجسام اللطيفة يقسمها إلى سفلية وعلوية ، والسفلية إما خيرة وهم صالحوا الجن وإما شريرة خبيثة وهم مردة الجن والشياطين، وإما علوية وهم الملائكة عليهم السلام، وقد دخلت جهنم ودركاتها فى عنصر النار نعوذ بالله منها كما دخلت البحار وعجائبها والامطار وسحائبها فى الماء، قالوا فهذه اشارة جملية الى تقسيم موجودات العالم، ولو أن الانسان يكتب ألف ألف مجلد فى شرحها لما وصل الى مرتبة من مراتبها* وهذا العالم كله جواهره وأعراضه وعلويه وسفليه مشتمل على الحكمة والاحكام والتدبير والاتقان ، محدث بمادته وصورته يدل كل شىء منه على انفراده على خالقه سبحانه كما قال القائل :

وفى كل شىء له آية تدل على أنه واحد

وعلى ذلك دلت العقول والآيات ، اما الآيات فقد ذكر صاحب الوظائف على مذهب السلف أن فى القرآن قدر خمسمائة آية فى كتاب الله تعالى، ولنذكر شيئاً يسيراً من الآيات المنبهة على الادلة على الله تعالى مما نطق به القرآن، وعضده البرهان ليظهر للسائل أيده الله أنه يوجد طريق غير طريق الاكوان ﴿ الآية الاولى ﴾ (هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون، ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات، ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون)

﴿الآية الثانية﴾ « وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » (الثالثة) وماذرأ لكم فى الأرض مختلفا ألوانه إن فى ذلك لآيات لقوم يذكرون) ﴿الرابعة﴾ «والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون» ﴿الخامسة﴾ «أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون » ﴿السادسة﴾ « أم من جعل الارض قرارا وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزاً أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون » ﴿السابعة﴾ «أم من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أإله مع الله قليلا ما تذكرون » ﴿الثامنة﴾ «أم من يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون » ﴿التاسعة﴾ « أم من يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » ﴿العاشرة﴾ « ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون » ﴿الحادية عشرة﴾ « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » ﴿الثانية عشرة﴾ « ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين ».
(الثالثة عشرة) «ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون » (الرابعة عشرة) «ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيى به الارض بعد موتها ان

فى ذلك لآيات لقوم يعقلون. (الخامسة عشرة) «ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الارض إذا أنتم تخرجون. (السادسة عشرة) «وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين. فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين» (السابعة عشرة) «أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج (الثامنة عشرة) «والارض مددناها وألقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب» (التاسعة عشرة) «وأنزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد» (العشرون) «والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج» (الحادية والعشرون) «قتل الانسان ماأكفره من أى شىء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فأقبره» (الثانية والعشرون) «فلينظر الانسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وابا متاعا لكم ولانعامكم» (الثالثة والعشرون) قول نوح لقومه «مالكم لاترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا. ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا. وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا» الآيات (الرابعة والعشرون) «ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه فى قرار مكين إلى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون ويل يومئذ للمكذبين»

ومما هو أوضح فى هذا قوله تعالى فى هذه السورة «ويل يومئذ للمكذبين. فبأى حديث بعده يؤمنون» (الحجة الخامسة والعشرون) ماذكره الله

تعالى فى أول سورة النبأ . وما أعظم الحجة بقوله سبحانه فيها «وبنينا فوقكم سبعا شداداً وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا» لانها مشاهدة كما نبه عليه فى قوله تعالى «الذى رفع السموات بغير عمد ترونها» ولا شك انها وسائر العالم العلوى والسفلى(١) فى الهواء باجماع العقلاء وإقرار الجاحدين. وفيه غاية الثقل. وطبع الثقيل الهوى إلى الاسفل لولا أمسكه الله عزوجل الى أمثال ذلك مما يطول ذكره . والقصد التبرك والتشفى بذكر الله تعالى وذكر آياته ، وليس من الواجب أن لاتخاطب به الامن هو أهله . فان الخطيب يوم الجمعة المشروعة باجماع المسلمين يخاطب كبراء المسلمين بذلك على جهة التذكير . وكم من مذكر لأذكر منه ، وحامل فقه الى أفقه منه . والاعمال بالنيات * وليس فى شىء من هذه الآيات وأمثالها ماتنبنى صحة الدلالة فيه على ثبوت العرض الكونى . والذى يدل على ذلك وجوه (أحدها) خلو تفاسير القرآن من التنبيه على ذلك فى تفسير هذه الآيات وأمثالها بخصوصها من لدن الصحابة الى يوم الناس(٢) هذا (ثانيها) أنه لاخلاف بين المسلمين والكافرين فى كمال عقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكمال فهمه أما المسلمون فظاهر، وأما الكافرون فعندهم أنه بكمال عقله وحلمه استمال لخلائق. واستقل بهذه المرتبة الكبرى، فكيف يشتمل الكتاب الذى جاء به على أدلة قاصرة مافيها دليل واحد يشفى ولا يكفى !! وكيف لم يقدح بذلك أحد من اهل عصره لامن اعدائه ولا من أصدقائه مع مافى الفريقين من الاذكياء

---

(١) كلمة السفلى ثابتة فى ثلاث نسخ خطية ولعلها زائدة او العالم السفلى وهو الارض وماعليها فى الهواء كالعلوى ولولا امساك الله لها لهوت اه مصححه عيد

(٢) يريد يوم القيامة اى ويستمر ذلك الى يوم يقوم الناس لرب العالمين اه مصححه

النبلاء حتى يأتى بعض الشيوخ المتأخرين بعد ثلثمائة سنة من الهجرة فيستدرك على الله ورسله صلوات الله عليهم أجمعين * وجميع العقلاء ما كانوا عنه غافلين . (وثالثها) ما يأتى من تحرير الدليل العقلى فى كلام السيد المؤيد بالله عليه السلام * ثم انا نظرنا الى هذه الطريقة المسماة بطريقة الاحوال فوجدنا الاحتجاج بها هو سنة الانبياء والاولياء والاسلاف الصالحين . وكم احتج الله بها على عباد الاصنام من الاجسام، وكم احتجت عليهم الرسل الكرام صلوات الله عليهم فاذكروا فى شىء من ذلك دليل الاكوان * إما لخفائه أو لبطلانه ، ألا ترى أن الله تعالى احتج على بطلان ربوبية العجل بانه لا يرجع اليهم قولا ، وإبراهيم احتج على قومه بقوله أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون . وبقوله بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون . وقال تعالى فى الاحتجاج على ذلك «والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون . أموات غير أحياء وما يشعرون ايان يبعثون» وكذلك احتج موسى صلوات الله عليه على فرعون وهو مدع للربوبية بالآيات دون الاكوان فقال تعالى «ولقد آتينا موسى آيات بينات فاسأل بنى اسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون انى لأظنك ياموسى مسحورا قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء الارب السموات والارض بصائر وانى لأظنك يافرعون مثبورا » وكذلك الأئمة عليهم السلام أما على عليه السلام فكلامه فى النهج معروف وله فى ذلك خطبة الاشباح التى لم يعلم لاحد ما يقاربها فكيف ما يماثلها، ومن كلامه عليه السلام فى أول خطبة من النهج : فبعث فيهم رسله ليستادوهم ميثاق فطرته إلى قوله ويروهم آيات المقدرة من سقف

فوقهم مرفوع، ومهاد تحتهم موضوع . ومعايش تحييهم . وآجال تفنيهم .
وأوصاب تهرمهم، وأحداث تتابع عليهم ، ولما كان كلامه عليه السلام معروف
الموضع في النهج لم أستكثر منه خوفا من الاملال ، والارشاد الى
موضعه كاف لا سيما مع مطالعة شروحه كشرح الامام يحيي عليه السلام وشرح
ابن أبي الحديد رحمه الله وجزاه عن آل على خيرا ، فلقد أفادوا أجادو وينبغى
أن ينظر فى كلامه فى هاتين الخطبتين خصوصا * وقد احتج ابن أبي الحديد فى
شرح الخطبة الاولى بدلالة التركيب . كما احتج بها على عليه السلام ولم
يتعرض للاكوان بتصريح ولا تلويح ولكل من الأئمه عليهم السلام فى
هذا المعنى كلام تركت سياقه كذلك خوف الامـلال . ولكنى أذكر
اليسير من كلام عيونهم * قال القاسم بن ابراهيم عليه السلام ما رأيت كلاميا
قط له خشوع الجمل الجمل رواه عنه محمد بن منصور ، قال الهادى عليه السلام فى
كتابه المسمى بكتاب البالغ المدرك يجب على البالغ المدرك : ان تنظر الى هذه
الاعاجيب المختلفات المدركات بالحواس من السماء والارض وما بث فيها من
الحيوانات تعلم انها محدثة لظهور الاحداث فيها معترفة بالعجز على أنفسها انها
لم تصنع شيئا ولم تشاهد صنعتها وتعجز أن تصنع مثلها . وتعجز أن تصنع ضدها
فلما شهدت العقول أن هذا هكذا ثبت أن لها مدبرا حكيما . ومعتمدا
اعتمدها وقاصدا قصدها ليس له شبيه ولا مثيل اذ المثل جائز عليه ما يجوز
على مثله من الانتقال والزوال والعجز والزيادة والنقصان إلى قوله عليه السلام
واجب على كل عاقل ان ينظر فى نجاته ولن ينتفع ناظر بنظره الا بسلامة قلبه من
الزيغ وطهارته من الهوى وبراءته من إلف العادة التى عليها جرى ، والقصد
بإرادته ونيته الى العدل والنصفة وإصابة الصواب وترك التقليد ويكون

طالبا لقيام الحجة لازماً لمنازل القرآن متمسكا به مؤثرا له على ماسواه ملتمسا للهدى فيه فلن يعدم الهدى من قصده لان الله جل جلاله ضمن لمن اتبع هداه أن لايضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة فبمثل هذه الشروط يستبان البرهان ويستشف الغامض من الصواب وتستبان دقائق العلوم وتهجم به على مباشرة اليقين بربه فتهتك الشكوك عن قلبه *وقد شرحه السيد الامام أبو طالب عليه السلام بجود شرحه وقال عليه السلام : وتبرأ الهادى عليه السلام فى خطبة كتاب الاحكام من كل معتزلى غال وفى كتاب الجامع الكافى من هذا ما ليس فى غيره فليطالع فيه أوفى الكراريس التى نقلتها منه وأشهدت على ذلك خوفا من تهمة المتعصبين *وقال الامام الناصر للحق الحسن بن على بن الحسين بن على بن عمر الاشرف بن على ابن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام فى كتاب البساط: وشهادة كل مصنوع بان له صانعا مؤلفا، وشهادة كل مؤلف بأن مؤلفه لايشبهه، وشهادة كل مؤلف بالاقتران والحدوث، وشهادة الحدث بالامتناع من الازل فلم يعرف الله تعالى من وصف ذاته بغير ماوصف به نفسه، وحكى عنه مصنف المسفر أنه قال: المفروض معرفة الاسم والمسمى وأن الاسم غير المسمى لان المسمى يعرف بالصنع والدليل، والاسم يعرف من طريق السمع، وقال فى كتاب الكنز والايمان. ثم انصدعت من هذه الامة طائفة نحلت باسم الاعتزال الى قوله بعد ذكره لكثير من تعمقهم حتى خاضوا فى صفات ذاته وضربوا له الامثال وقد نهى الله سبحانه عن ذلك بقوله تعالى «فلاتضربوا لله الامثال» وقوله «إنما حرم ربى الفواحش» الآية إلى قوله «وأن تقولوا على الله مالاتعلمون» وبالغوا فى خلاف ذلك ولم يرضوا حتى تعدوا إلى الكلام

فى كل مالايعلمون ولا يدركون رمياً بعقولهم وحواسهم من وراء غاياتها إلى قوله وتكلموا من دقائق الكلام بما لم يكلفوا وبما لعل حواسهم خلقت مقصرة عن دركـ حقيقتها وعاجزة عن قصد السبيل بها ومن شعره عليه السلام فى هذا المعنى قوله فيها:

قد اعتدى الناس حتى أحدثوا بدعاً
فى الدين بالرأى لم تبعث بها الرسل
حتى استخف بحق الله أكثرهم وفى الذى حملوا من حقه سعل

وقوله :

لجاهد وقلد كتاب الآله لتلقى الآله اذا مت به
فقد قلد الناس رهبانهم وكل يجادل عن راهبه
وللحق مستنبط واحد وكل يرى الحق فى مذهبه

وللقاسم بن على عليه السلام كتاب الأدلة من القرآن على توحيد الله وصفته قال فيه ولابد من معارض لنا فى علم القرآن ممن اكتفى بافانين الكلام إلى ماذكره من كون القرآن معجزة وصنعا لله تعالى يدل عليه كسائر مصنوعاته ، ذكر هذه الاشياء وأضعافها السيد العلامة الامام المقتصد والعالم المجتهد ، نور الدين أبو عبدالله حميدان بن يحيى بن حميدان بن القاسم ابن الحسن بن ابراهيم بن سليمان بن القاسم بن على بن محمد بن القاسم بن ابراهيم من مجموعه المعروف من المنتزع الثانى فى ذكر بعض مااختلف فيه أهل علم الكلام من الاقوال فى الذوات والصفات والأحكام وهو المجموع الذى كتب عليه جماعة من أئمة العترة عليهم السلام انه معتقدهم منهم الامام أحمد بن الحسين والمنصور بالله الحسن بن محمد أخو الأمير

الحسين مصنف شفاء الأوام والامام المطهر بن يحيى والامام محمد بن المطهر إلا أن الامام محمد بن المطهر استثنى الجوهر قال فان لى فيه نظراً ، والحسن ابن محمد استثنى الارادة فانه كان يتوقف فى كيفيتها * والمراد ان هؤلاء كلهم سلكوا طريق الاستدلال بالاجسام المحكمة المعبر عنها بالصنع وحكموا بما تحكم به العقول من دلالة المصنوع المحكم على صانعه الحكيم وأن هذه الطريقة هى التى كان عليها الصدر الاول الذين شهد لهم الرسول الصادق الامين بانهم خير القرون بل شهد لهم بذلك كتاب الله تعالى حيث يقول «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر» وقد اجتمع المختلفون على انهم كانوا على الصواب ، ولكن ادعى المتعمقون من أهل كل بدعة انهم كانوا لهم سلفا وأبى الله الا أن يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق وعندى أن البدع كلها معلوم ابتداعها بالضرورة التى لا يستطيع أحد النزاع فيها ولكن كل مبتدع يعتذر لبدعته فمن ترك الاعذار سلك الجادّة الا ترى أن الصوفية لا يستطيعون يدعون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا أصحابه ولا التابعين كانوا يصنعون صنعهم فى السماع لكنهم يعتذرون بانه يصلح قلوبهم ويقويها ولا يقوم غيره مقامه مع وجود الاختلاف فى جوازه بين أهل العلم وتعارض الاخبار فيه ونحو ذلك والملوك لا يقدرون على دعوى أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم والخلفاء بعده كانوا على مثل أحوالهم فى الرسوم الملكية والامور المصلحية لكنهم يعتذرون بفساد أهل الزمان وقصد التهييب والتوصل إلى المصالح على

حسب الرأى تارة وعلى حسب الضرورة أخرى ،وكذلك أهل الوسوسة فى الوضوء من المتعبدين والعارفين وأهل التدقيق فيما لايقع غالبا بين الفرضيين والمتفقهين * وكذلك علماء الكلام والجدليون والمنطقيون لايستطيعون أن يدعوا على السلف أنهم خاضوا فى علمهم ولامهدوا له قاعدة ولو كان شيء من ذلك لنقلوا نصوصهم فى ذلك ولو وافق الجبائيين الصحابة والتابعون فى إثبات الاكوان ومن قال بقول الامام يحيى وأبى الحسين لنقلت أقوالهم فى ذلك كما نقلت فى الفقه والتفسير ولما أطبقوا على تغليق هذه الابواب كما أطبقت الرسل صلوات الله عليهم وخلت عنه كتب الله المنزلة أولها وآخرها ولم يحسن من المسلم المعظم لكتب الله ورسله صلوات الله عليهم والسلف الصالح أن يقطع على قبح حال من تشبه بهم فى هذه الخصلة وإن كان مقصرا فى غيرها فالسيئة لاتقبح الحسنة لصدورهما عن فاعل واحد ، والعاقل يعرف الرجال بالحق ولا يعرف الحق بالرجال * وانما ذكرت الحجة بالكتب والرسل والسلف لان المخاطب بحمد الله يعرف أنهم على الحق وانا كذلك وليس يحسن منا أن نفرض أنفسنا من جملة أهل الجاهلية بعد أن من الله علينا بالاسلام ولو فرض ذلك جاهل لدلته البراهين الصحيحة على ملازمة من ذكرته للحق ، وعلى كل حال فالقصد أن يلحقنى السائل أيده الله وغيره بحكم من قلت بقوله فيما يستحقه : من قال بذلك القول فالنظر إلى ذلك القول

خصوصاً والذى اخترته من هذه الطريقةهو بعينه الذى اختاره المؤيدبالله
فى كتاب الزيادات فى فصل عقده عليه السلام فى سكون النفس ومعرفة الله
واختار فيه الاحتجاج بما فى العالم من الاحكام فان معرفة احتياج الاحكام الى
محكم من العلوم الضرورية الاولية قال لأنه يجوز من طريق الاتفاق أن يسقط
كوز من علو فينكسر ولا يصح من طريق الاتفاق أن يصير الخشب
دواة * والفرق بينهما أن فى الدواة آثار الحكمة ولا يوجد ذلك فى
انكسار الكوز ، فاذا ثبت ذلك فآثار الحكمة فى خلق بنى آدم وغيرهم
من الاشياء أكثر . واحوج الاشياء اليه الهواء ، لانه لو انقطع مات
الانسان سريعا فجعله الله مباحا واسعاً ، وبعد ذلك الماء فالحاجة اليه وإن
اشتدت فهو دون الهواء. وكذلك الطعام بعدهما فان الرجل لا يموت بانقطاعه
يوماً ويومين فلم يوسعه الله سعة الماء والهواء ، وكالمنخرين والفم فان فيهما
مجرى الانفاس ولو أصاب بعضهما شيء تنفس بالآخر ولو علا حتى جنى
عليه الربو تنفس بهما * والفروخ لما لم يجعل الله للدجاجة الشفقة المفرطة
عليها جعلها قوية ناهضة بأمرها تلتقط الحب حين مفارقتها للبيضة، وعكس
ذلك بنوا آدم جعل للوالدين من الشفقة والعطف عليهم ما ترى لانهم
لا ينهضون بامورهم . ولو قال قائل إن هذه التراكيب حادثة فمن اين أن تلك
الاجزاء المركبة حادثة مثلها ؟ قلنا اذا علمنا أن للعالم صانعا يصنعه على هذه
الاحوال صح أن نقول بعد ذلك أن محدث هذه الاشياء المدبر لها والمركب

لها على هذه الاحوال يعرف بطريقة السمع اهـ كلامه وقد صنف الجاحظ فى هذا كتاب العبر والاعتبار وأجاد وأبدع رحمه الله تعالى * وقال المؤيد بالله فان قيل من أين انها من صنع القادر المختار وما أنكرت انها من طبع (١) قلنا الان الطبع ان سلمنا وجوده فانه لا يحصل به الشيء على قدر الحاجة وانما يكون بمقدار قوته وضعفه * الا ترى أن النار تحرق لا على قدر الحاجة بل على قدر قوتها وتقصر عن الحاجة ان ضعفت وكذلك الماء الجارى ، والحكيم يجريه ويقطعه على قدر الحاجة ، وكذلك البناء وغيره يعلم ضرورة وجوده بمتصرف وحصوله به انتهى كلامه * ومن جوز فى بديع خلق الانسان أنه من طبع كمن جوز فى كتابة المصحف المحكم أنه بمنزلة جمود المداد فى الاستناد الى الطابع فهو معاند موسوس لا يداوى بالنظر * وكم قد رأينا موسوسين فى الوضوء ينكرون الضرورة ولا ينفعهم علم العلماء وقد قال تعالى «فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا» (فقف على كلام المؤيد بالله) فى كتاب الزيادات موقفا وانظر كيف عدل عن الاستدلال بطريقة الاكوان الى طريقة الاحكام الذى فى العالم ، ثم استدل بالسمع على حدوث كل شيء ووجد سبيلا الى الله تعالى غير الاكوان ، وكذلك فعلت حين استدللت بالاحكام الذى فى القرآن واخترته لانه معجزة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم والاعجاز صفة لا عرض * ومعرفته حاصلة بمعرفة العجز عنه لا بمعرفة حقيقة ذات الكلام لأنا لو عرفنا ذات الكلام ولم نعجز عن مثل القرآن لم يكن معجزا ، ولو عجزنا ولم نعرفها كان معجزا فدار الكلام على العجز لا على

(١) ما: اسم موصول والمعنى من أين أنها بصنع المختار والذى تنكر أنها بالطبع اهـ مصححه

معرفة ماهية المعجوز عنه ونحن نعلم بالضرورة عجزنا عن بعض صفات الاصوات وأحوالها فنعلم عجزنا عن مثل صوت الرعد القاصف ونعلم أن علمنا بعجزنا عن ذلك لا يتوقف على معرفة ماهية الصوت وحده الاصطلاحى بعد معرفة الصوت على سبيل الجملة كما أمكننا معرفة صفات الله تعالى بعد معرفة ذاته على سبيل الجملة فان أهل عصر النبوة عرفوا الاعجاز وما خاضوا فى ذلك وهو أمر لا يدرك بالفطرة ولا أبين من أمر يعلمه الخصمان جميعاً ، وأنت أيدك الله تعلم وأنا أعلم أنا كنا قبل أن نتلقى كلام المتكلمين فى الكلام والاكوان لا نعرفها بالفطرة ولا يخطر لنا ببال على ذلك الترتيب الذى يفيد معرفة الادلة والحدود، ومن أنكر ذلك الحال الذى كنا عليه لم يستحق المراجعة لحمل الصحابة على معرفته رجالهم ونسائهم وفطنائهم وبلدائهم من غير تعلم مما يباين طرائق الانصاف فان اختصاص جميع العقلاء فى ذلك الزمان بأمر لا يوجد فى واحد من العقلاء فى هذا الزمان من خوارق العادة الممتنعة عقلا ولم تختلف إلا فى اللغة العربية وقد كانوا فى البلادة بحيث عبدوا الجماد الذين هم أشرف منه بالضرورة وكذلك غير المؤيد بالله من القدماء والمتأخرين يسلك المسالك السهلة فى النظر * وكذلك اعتمد هذه الطريقة محمد بن منصور الكوفى المرادى محب أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذى سأله الناصر الكبير أن يجمع له اختلاف آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ذكره المؤيد بالله فى الزيادات * قال محمد ابن منصور فى كتاب التوحيد والجملة بعد المبالغة فى الاكتفاء بما فى كتاب

الله تعالى من الادلة ما فظه: وقد أوضح الله حجته على خلقه بما جعل فيهم من تركيب الخلق وآثار الصنعة والتحرير والتأليف واختلاف الحواس وقوام بعضها ببعض وادراك بعضها ما لم يدركه بعض إذ خلقها سبحانه لذلك وجعلها تقوم بجزأين مختلفين نفس وجسد، ثم الف بينهما بلطيف تدبيره، وأحكم تركيبهما بحسن تصويره، فجعلهما شخصا واحدا مكملا محتملا للزيادة والنقصان عالما بنفسه عاجزا عن اجتلاب محابه ودفع مكروهه فمن كان بهذه الصفة علم علما يقينيا واجبا اضطراريا انه مبتدع مصنوع مملوكة عليه أموره وأن صانعه غيره، وأن صانعه بائن من جميع صفته انتهى بحروفه* وقد جمعت كتابا في طريقة أهل البيت والسلف في الاستدلال، ووقوف الولد عليه أسهل من نقله الى هنا، وأشرت فيه الى احتجاج الهادي في هذه المسئلة في كتاب البالغ المدرك وتقرير السيد ابى طالب له في شرحه وذكر ما يجزئ المكلف في أول المنتخب كما ذكر ذلك المؤيد بالله في آخر الافادة وآخر الزيادات، وغيرهما من الأئمة السابقين والسادات، فقف عليه أو على ما اشرت اليه في هذه المصنفات (واعلم) ان معرفة الله تعالى اجلى وأظهر من دليل الاكوان والقطع بتوقفها عليه يستلزم القطع بانها أخفى منه لان الدليل اجلى من المدلول عليه ولذلك كان له معرفا وقد حكى الله في كتابه العزيز عن رسله الكرام الذين هم خيرته من الانام ما يدل على ذلك حيث قال الله تعالى (قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والارض) * وقد أجمع أهل الملل الدينية وأهل الفرق الاسلامية على وضوح الطريق الى معرفة الله سبحانه وتعالى واشتد اختلافهم في الاكوان وعلمت دقته بالضرورة عند من حققه فكيف يكون

ما اشتد اختلافهم فيه وعلمت دقته وغموضه كاشفا وموضحا ومجليا لما أجمعوا على وضوحه وسهولته *وقد نص ابن متويه على كثرة الشبه فى دليل الاكوان* وقد استحسن علماء النظر قول بعض الاعراب وقد سئل بم عرفت ربك ؟ فقال البعرة تدل على البعير ، وآثار الخطى تدل على المسير فهيكل علوى ، وجوهر سفلى ، لم لا يدلان على العليم الخبير!! والى هذا أشارت الرسل عليهم الصلاة والسلام فيما حكى الله تعالى عنهم فى قوله (قالت رسلهم افى الله شك فاطر السموات والارض) فقولهم فاطر السموات والارض اشارة الى استنكار الشك فيمن هذا صنعه وأثره ، والاثر الحقير يدل على صاحبه . فكيف لا يدل هذا الامر العظيم بما اشتمل عليه من الآيات والاعاجيب على صانعه ، وبأى شىء أعظم منه يناظر من أنكره ولقد قالت طائفة منهم جليلة من شيوخ النظر والاعتزال بأن المعارف ضرورية غنية عن القيل والقال . ولو ذهب اليه ذاهب لكان قويا مع طرح النظر لكن مع القول بأن النظر شرط اعتبارى كما هو قول محققيهم لحقيقة النظر على هذا القول تجريد القلب عن الغفلات كما قال مختار وقد أشار اليه الجوينى فى برهانه ، والمقويات لهذا القول كثيرة من الآيات والآثار ، وأحوال السلف الابرار ، فلقد كانوا أشد الناس يقينا مع عدم خوضهم فى ترتيب الادلة وشروط الانتاج وتقسيم الاشكال وتحرير الجواب والاشكال. ولو لم يرد فى ذلك الا قوله تعالى (فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) وقوله صلى الله عليه وسلم (كل مولود يولد على الفطرة) الحديث متفق

على صحته ، واليه أشار على عليه السلام بقوله: (فبعث فيهم رسله ليستادوهم ميثاق فطرته كما شرحه ابن أبى الحديد فى أول خطبة فى النهج فى قوله الذى شهدت له اعلام الوجود على اقرار قلب ذى الجحود ، ومن ذلك قول الرسل عليهم الصلاة والسلام افى الله شك وقوله تعالى (الم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين) وفى الحرز لاريب فيه من رب العالمين . فان قيل إذ أمر قليل النظر فكثيره أولى قلنا هذا صحيح اذا كان المنظور فيه هو ما نظر فيه السلف من عجائب المخلوقات ، اما إذا نظر فيما نظر فيه غيرهم مما لاطريق إلى معرفة كيفيته ، وهو النظر فى الله وخفيات صفاته ودقق ذلك خيف عليه ، وقد قيل من نظر فى الخالق ألحد ، ومن نظر فى المخلوق وحد، وروى النهى عن هذا واشتهر التحذير عنه . واما نظر الخليل عليه السلام فى كيفية فعل واحد من أفعال الله وهو كيف يحيى الموتى ولم يهتد اليه بعقله وهو من أفضل العقول وأكملها حتى سأل الله أن يريه ذلك ليطمئن قلبه ، فكيف من نظر فى كيفية القديم وإحكامه ، وهو لا يألف الا الحدوث وبهذا تعرف أن الخليل عليه السلام لم يطلب طمانينة قلبه بوجود ربه بل بمعرفة كيفية خفية من كيفيات أفعاله ألا تراه رجع إلى ربه وسأله تعريف تلك الكيفية لكمال يقينه بوجود ذاته ومعرفة أنه الذى يهب المعارف وكلمه ربه وراجعه وأجابه وربما كان ذلك فى أول أحوال تكليفه كقوله لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين . وما أشبه قول الخليل عليه السلام كيف يحيى الموتى بقول زكريا عليه السلام انى يكون لى غلام وقد بلغت من الكبر عتيا، وقول مريم انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا، فان كلهم سأل من الله زيادة من العلم وهى موهبة من مواهبه وكذلك سألت الملائكة ذلك فى قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها

(ومن أصعب) مايرد على المتكلمين من أدلة القائلين بأن المعارف ضرورية أو ظنية وأنها حاصلة عقب النظر لأنه شرط اعتبارى أمران (أحدهما) أن الفرق عند المتكلمين بين الضرورى والاستدلالى حصول التجويز منا أن ترد شبهة تقدح فى الاستدلال وهـذا التجويز وإن كانت صورته فى الظاهر خاصة بالإستقبال الا أنه يلزم من كل نوع خاص حصول جنسه العام ويستحيل وجود النوع الخاص مع امتناع جنسه العام اذ لو استحال وجود جنس الحيوان لاستحال وجود نوع الانسان وكذلك لو استحال فى مسئلتنا وجود جنس الشك فى الاستدلالى لاستحال وجود نوع الشك المستقبل وهذه طريقة للمتكلمين فى الاستدلال، وفيها عندى نظر ليس هـذا موضع تحقيقه ، وأوضح من ذلك أن تجويز ورود الشبهة لا يختص بوقت معين فى البعد والقرب فذلك يجوز فى كل وقت مستقبل وحاضر، ودخل فى ذلك حال العلم وما بعده وذلك مستلزم تجويزه فى الحال وإنما اختص الاستقبال بمعرفة الوارد من الشبه بعينه وتأثيره ومعرفة أثره لان كل واحد منهما ينقسم أما الوارد فقد يكون من البراهين وهى اقترانية واستثنائية وكل منهما ينقسم ، وقد يكون من الاعتراضات فهى نوعان : معارضة وقدح وينقسمان الى نيف وعشرين. وأما أثره فقد يكون شكاً وقطعاً والقطع إما بالبطلان فقط وإما بصحة نقيض أو مخالف معه وبالجملة فتجويز بطلان العلم وانعكاس الاعتقاد شك بآخرينا فى اليقين الجازم وينافى البيان بكل حال عند التشكيك . والعلم الحق ماجمع ثلاثة أشياء (الجزم) و (المطابقة) و (الثبات عند التشكيك) وببطلان واحد منها يبطل العلم فتأمل ذلك وجوّد فيه النظر ، فان قيل انما أرادوا

أنه يجوز نسيان بعض مقدمات الدليل اذا كثرت، وأما مع استحضارها فلا يجوز (قلنا) هذا غير صحيح لعدم النقل ولاختلال المعنى . أما عدم النقل فواضح وعلى الناقل البيان . وأما اختلال المعنى فمن وجهين : «أحدهما» أن النسيان ضروري وهذا القدر مجوّز في العلوم كلها ضروريها ونظريها ، وتجويز النسيان كتجويز زوال العقل أو استغراق الفكر بحادث ضروري كالمشغول بمفاجأة سبع قتّال أو عدو صوال فان اشتغاله بالنظر في نجاة نفسه في الحال يمنعه بالضرورة من تذكر العلوم الضرورية بل قد يشغله ذلك عن إدراك كثير من المدركات الحاضرة البينة «وثانيهما» أن المتكلمين انما ذكروا ذلك لانه موجود مع أهل العلوم النظرية بالضرورة فان هذا التجويز ضروري ومستنده التجربة المستمرة في ذلك . ومعنى هذا الشك أن الناظر يجوز ورود شبهة قادحة في أحد أركان دليله المستحضرة ، ولولم يجوز ذلك لعلم الا نتفاء ، ولو علم الا نتفاء لكان علمه ضروريا أو نظريا وكلاهما ممتنع، أما الضروري فبالاتفاق وأما النظري فلعدم وجود دليل على ذلك الا عدم الوجدان، وهو لا يفيد القطع بالوفاق والتجربة وكم من طالب أمر لايجده في وقته ثم يجده بعد مدة خصوصاً في الانظار والمعارضات ولذلك كثر رجوع العلماء وتعارضهم في ذلك. فدل هذا على أن أدلة المتكلمين المتنازع فيها بين عقلاء علماء الاسلام بعد تكرار النظر وقصد الانصاف لاتفيد العلم اليقيني الا ما انتهى منها الى الضرورة بحيث يقطع العالم به على استحالة شكه فيه مادام حاضر الذهن صحيح العقل وهذا يرفع كثيراً من علم الكلام (وثانيهما) أنا وجدناهم لا يزالون يخوضون في النظر في الدليل

على الامر الجلى حتى ينتهوا إلى دعاوى محضة فى أمور دقيقة خفية هى أخفى مما جعلوا الخوض فيها وسيلة الى معرفته، وانما جعل الدليل معرفا للمدلول فلا يصح أن يكون أخفى منه . ألا ترى أن البهاشمة تقول انا بعد العلم بحدوث العالم نحتاج الى البحث عن دليل يدل على أن له محدثا، مع أن العلم بحاجة الحادث إلى المحدث ضرورى عند أبى الحسين وكثير من الشيوخ وهو الامر المتعارف بين العقلاء حتى أن الصبيان والبهائم تدرك ذلك، ومتى طلبت دليلا على ذلك لم تجده قط الا تكثيرا أو تطويلا فى العبارة. وحاصله يرجع الى دعوى الضرورة فى مثل هذا بل لا يجب عندهم الوصول الى سكون النفس فقط، ثم اذا ثبت أن لهذا العالم صانعا احتجنا عندهم الى دليل آخر يستدل به على أنه موجود ليس بمعدوم وهذا أعجب من الاول فالاعتقاد الجازم باستحالة عدم الصانع المحكم ووجوب وجوده ضرورى وهو أجلى من الدليل المستنبط عليه واذا أمكنت المنازعة فى هذا أمكن النزاع فى دليله . وأنا أورد لك كلام علماء الكلام فى هذه المسئلة لتعرف صحة كلامى وتعتبر ولا أنقل الا ألفاظ المعتزلة من كتبهم المشهورة فأقول:

قال الشيخ العلامة مختار بن محمود فى المجتبى فى المسئلة الثالثة من خاتمة أبواب العدل مالفظه:

﴿المسئلة الثالثة فى اثبات أن صانع العالم موجود﴾

الكلام فى هذه المسئلة يختلف باختلاف الناس فى الوجود. فمن قال وجود الشيء ذاته وحقيقته. قال إذا دللنا على أنه لا بد للعالم من صانع علمنا أنه موجود لان الشك فى عدمه بعد العلم بثبوته شك فى انتفائه بعد ثبوته وانه خلف وانما

قلنا انه شك فى انتفائه لان أهل اللغة يستعملون فى لفظ العدم لفظ النفى بالترادف، والنفى والثبوت يتقابلان فكذلك العدم والثبوت، فكل ما كان ثابتا لا يكون معدوما. وإذا لم يكن البارى معدوما كان موجودا، فصح ما ادعينا أنه اذا ثبت أنه لابد من صانع للعالم ظهر وجوده. وإليه ذهب كثير من المشايخ كأبى الهذيل وهشام الفوطى وهشام البرذعى وأبى الحسين البصرى وشيخنا ذكى الدين محمود الخوارزمى رحمهم الله تعالى ومن السنية أبو بكر الباقلانى وأتباعه ومن قال وجود الذات زائد على حقيقتها غير منفك عنها. وهذا قول أكثر الفلاسفة والاشعرية ومن تابعهم فيه قالوا أيضا الدليل على ثبوت حقيقته دليل على وجوده لان وجوده عندهم لا ينفك عن حقيقته. وأما من قال وجود الذات زائد عليها ومنفك عنها زعم أن الحقائق متقررة مع انتفاء الوجود عنها وهم جمع من المشايخ كأبى يعقوب الشحام وأبى على الجبائى وأبى هاشم وأبى حسين الخياط وأبى القاسم البلخى وأبى عبد الله البصرى وقاضى القضاة وأبى رشيد وابن متويه وأتباعهم، وزعموا أن المعدومات قبل وجودها ذوات وأعيان وحقائق وأن تأثير الفاعل فى جعل تلك الذوات على صفة الوجود لا على الذوات. ثم اتفق هؤلاء على أن الذوات لا تختلف الا بالصفات واختلفوا فى أنها هل هى موصوفة حال عدمها قال ابن عياش والكعبى انها غير موصوفة بشىء من الصفات قال خاتمة أهل الاصول تقى الأئمة العجالى وما نقل عن الكعبى أن المعدوم شىء، يريد به أنه معلوم قال على ما ذهب إليه أبو الحسين البصرى وهو غير كونه دائما ذاتا. وقال غيرهما من هؤلاء المشايخ انها فى حال عدمها موصوفة فقال أبو على وأبو هاشم بالصفات وقاضى

القضاة . وتلامذتهم إن للجوهر أربع صفات الجوهرية وهى : صفة ذات، والتحيز، وهى صفة مقتضاة عن الجوهرية ، والوجود ، وهى الصفة التى بالفاعل، والكائنية ، وهى الثابتة بالمعنى عندهم وكذا سائر الذوات موصوفة بامثال هذه الصفات إلا الكائنية فانها لا تصح فى الاعراض والسواد له صفة السوادية وهى تقتضى هيئة السوادية عند الوجود ، وبعضهم جعل صفة التحيز والجوهرية واحدة . وقال أبو الحسين الخياط إنه متحيز ومحل للمعانى وجسم حال العدم وجوز أبو يعقوب رجلا راكبا على فرس فى العدم ثم انهم بعد اختلافهم اتفقوا بان للعالم صانعا محدثا قادرا عالما حيا سميعا بصيرا حكيما محسنا باعثا للرسل مقيما للقيامة مثيبا معاقبا نشك أنه موجود أو معدوم وانما يتبين وجوده بدلالة مستأنفة وكذلك اتفقوا على أن فى العدم أنواعا وأجناسا مختلفة بالصفات ويكون من كل جنس أعدادا غير متناهية تمكن الاشارة العقلية الى كل واحد منها والى مماثلها ومخالفها

قال تقى الأئمة العجالى إن كل من سمع ذلك من العقلاء قبل أن يتلوث خاطره بالاعتقادات التقليدية فانه يقطع ببطلان هذه المذاهب ويتعجب أن يكون فى الوجود عاقل تسمح نفسه بمثل هذه الاعتقادات ويلزمهم أن يجوزوا فيما شاهدوه من الاجسام والاعراض أن تكون كلها معدومة لان الوجود غير مدرك عندهم والا لزم أن يرى الله لوجوده بل انما يتناوله الادراك للصفة المقتضاة عندهم وهى صفة التحيز وهيئة السواد والبياض فيهما، غاية الامر أن الجوهرية عند بعضهم تقتضى التحيز بشرط الوجود ولكن الترتيب فى الوجود لا يقتضى الترتيب فى العلم كما

فى صفة الحياة والعلم فيلزمهم أن يشكوا بعد هذه المشاهدة فى وجودها وكل مذهب يؤدى الى هذه التمحلات ، والخصم مع هذا يريد سفاهة ولجاجا

فالواجب على العاقل الفطن الاعراض عنه والتمسك بقوله تعالى «واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما» ومن ذم من السلف الصالح الكلام والمتكلمين إنما عنوا أمثال هؤلاء ظاهرا والله الموفق انتهى بحروفه . وهذا كلام أئمة الاعتزال بعضهم فى بعض وفيه اعتراف بذم السلف الصالح للكلام والمتكلمين . وتأويل ذلك بالغلو فى الكلام ومن ذلك ماقدمناعن القاسم والهادى والناصر من ذم الكلام وماذكره صاحب الجامع الكافى عن متقدمى العترة من ذلك كزين العابدين وزيد بن على والصادق والباقر وعبدالله بن موسى وأحمد بن عيسى والحسن بن يحيى وصنف محمد بن منصور فى ذلك كتاب الجملة والألفة ونقل عن هؤلاء وغيرهم النهى والكراهية للكلام والخوض فيه وكذا فقهاء الاسلام وأئمة الحديث وجميع السلف المتقدمين كانوا على ترك هذا وبعضهم ينهى وبعضهم يقرر الناهى وهو من أصح الاجماعات السكوتية والله أعلم

فمن عرف أن الموجب لهذه الامور هو عدم القنوع بما فى الفطر من اليقين بأوائل الأدلة الجلية ، مثل كون الحوادث اليومية ، وخصوصا المعجزات فانه لابد لهامن محدث موجود قادر عالم وان المصنوعات المحكمة تحتاج الى أمثال ذلك وان الخائضين فى هذه المجازات أرادوا تصحيح هذه الجليات فوقعوا فى أخفى منها لم يستنكر كلام أهل المعارف * وقد قال مختار فى الفصل الثامن من مقدمات المجتبى مالفظه: وقال شيخنا خاتمة أهل

الأصول ركن الدين الخوارزمى رحمه الله فى الفائق فى الجواب عن شبهة المعجز أنهم كلفوا أن يسمعوا أوائل الدلائل التى تتسارع إلى فهم كل عاقل فان فهموا ذلك كفاهم علما، ولسنا نكلفهم تلخيص العبارة كما يقول العلماء وذلك ممكن لكل عاقل فان لم يمكنهم الوقوف عليها فانهم غير مكلفين أصلا * قال مختار وثبت بما أشار اليه أن الوقوف بأوائل الدلائل كاف لاهل الجمل ولا تلزمهم الابحاث العميقة فى غوامضها وأن تركيب الادلة على ترتيبها المنطقى أو النظرى ليس بشرط للعلم بالله تعالى وبصفاته، وأن من يعجز عن النظر فى أوائلها والوقوف عليها غير مكلف مثل كثير من العوام والعبيد والنسوان انتهى بحروفه وهو شبيه بكلام أهل المعارف، ولقائل أن يقول: الوقوف على أوائل الدلائل هو الذى كان عليه السلف بل الأنبياء صلوات الله عليهم والاولياء وسائر العقلاء ومن شك فيها فهو أولى بالشك فى المباحث العميقة التى هى عند المتكلمين معرفات، لثبوت أوائل المباحث الجليات، وكيف يعرف الجلى بالخفى والبحث لايزيد الامر الادقة كما قال ابن أبى الحديد

فاذا الذى استكثرت منه هو الـ جانى على عظائم المحن

وما صارت السوفسطائية الى إنكار العلوم الا من شدة البحث بدليل أنه ليس فى أهل الجمل من ينكر الضرورة ولا من ألزم إنكارها، ولعل كل طائفة من المعتزلة وغيرهم تنكر شيئا من الضروريات أو تلزم ذلك، الاترى إلى ما تقدم من إلزام أصحاب أبى الحسين للبهاشمية الشك فى المشاهدات كلها، وكذا أبو على يلزم هؤلاء مثل ذلك لانه يقول الاكوان مشاهدة وهم ينكرونها

بل يلزمه أن يلزم ولده أباهاشم وأصحابه وأكثر المعتزلة إنكار المشاهدة الضرورية لانهم ينكرون مشاهدة الاكوان وينكرون ثبوتها إلا أباهاشم وأصحابه *وقول الخوارزمي بالتزام عدم تكليف من لايفهم أوائل الأدلة مستلزم تجويزه وجود من لايفهم وذلك ممنوع ، لانا نعلم عموم التكليف لمن ليس بمجنون وذلك يستلزم انهم يفهمون ذلك القدر ومن قال انه لايفهمه . علمنا أنه معاند وان صدق فلانه لم يلتفت الى ذلك فعدم فهمه لعدم التفاته واصراره على تعمد الاضراب عن الشرائع وأهلها ومما يوضح ماذكرته من أن التعمق هو سبب الشكوك والحيرة أنا جربنا ذلك فى أجلى من العلوم الدقيقة وهى الطهارة والنية وهما من الامور الضرورية والوجدانية وماشك فيهما إلا من تعمق ولم يسلك مسلك السلف فيخرج بذلك من صفات العقلاء ويشك فيما يرى وهو مشاهد وفيما يرى وهو وجدانى وهذا فى العقول كامراض الاجسام فنسأل الله العافية من كل مرض ، ومن كل غلو فى جسم أو عرض ، ومن لم ينفعه الدواء الربانى والنبوى لم ينفعه الدواء الجبائى والمتوى* لايقال أبطلتم النظر كله ببعضه لانا لم ننف النظر كله بل أثبتنا النظر فى أوائل الأدلة على طريقة السلف كما نبه عليه القرآن ، وانما منعنا التعمق فى اثبات الأمور الجلية فى النظر بطرائق أخفى منها وبينا بالتجارب وغيرها أن شدة التعمق لا تنفع فى الوساوس ولا تداويها بل تزيدها ولو فى حق كثير فيترك التعرض لمالم يجب من ذلك ويتعمق ويتضيق حتى يكون ذلك فيداوى بأسهل الادوية وأقربها كما قال المؤيد بالله فى الزيادات وقد تقدم

نصه فى ذلك

﴿وحدثنى حى الفقيه﴾ العلامة امام علوم المعقولات(١) انه وقع منه فى بعض أوقاته وساوس وشبه فى كل دليل من أدلة علم الكلام فسأل الله أن يلهمه إلى دليل لا يكون للفلاسفة فيه تشكيك فرأى فى منامه قائلا يقول له «مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان» قال فانتبه مسرورا وعرف ان الله تعالى قد استجاب دعوته لان أحدهذين البحرين عذب فرات وأحدهما ملح أجاج والعذب يمضى فى وسط المالح ولا يخالطه منه شىء من غير حاجز بينهما إلا حاجز القدرة الربانية التى عبر عنها بقوله «بينهما برزخ لا يبغيان» قال وهذا مما لا تدخله شبه الفلاسفه لان مبنى شبههم على الطبع وطبع الماء الاختلاط، وهذان البحران معلومان بالتواتر لمن بحث الاخبار، يشاهدهما التجار وأهل الاسفار، كما تعلم قاصيات المدائن والامصار * وكان رحمه الله تعالى يحكى هذا كثيرا ويراه خيرا من سائر أدلة علم الكلام مع أنه الذى قطع عمره فى دقائق هذا العلم فلم يقل ان هذا دليل ضعيف لانه لم يبن على الاكوان ويشتغل بتصحيح كلام الشيوخ وتأويل نصوص القرآن * وعندى أن الاستدلال بكل معجز معلوم بالتواتر كذلك لان شبه المعاندين منحصرة فى القدم والطبع، والمعجز حادث بالضرورة ومخالف للطبع والعوائد بالضرورة، ولو كان قديما أو موافقا للعوائد كطلوع الشمس من المشرق فى وقت طلوعها استحال أن يكون معجزا فلذلك احتجت الرسل بالمعجزات على أشد الخلق عنادا وكان هذا هو الذى أفحم به ابراهيم عليه السلام خصمه الكافر الذى زعم أنه يحيى ويميت فقال له ابراهيم عليه السلام «إن الله يأتى

(١) هو الفقيه على بن عبد الله بن أبى الخير اه من هامش الاصل

بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر » وهذا الذى احتج به موسى عليه الصلاة والسلام على فرعون وسماه موسى شيئاً مبينا كما حكاه الله تعالى فى سورة الشعراء حيث قال فرعون له «لئن اتخذت آلها غيرى لاجعلنك من المسجونين» قال موسى عليه الصلاة والسلام «أولو جئتك بشىء مبين قال فأت به إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين الى قوله فالقى السحرة ساجدين» ولم يقل أحد من جميع فرق المسلمين من المتكلمين وغير المتكلمين إن النظر فى فعل الله تعالى المعجز ليس بطريق الى معرفة الله تعالى ولا قال أحد إن الاعجاز عرض ولا إن معرفة الاعجاز مستحيلة ممن لم يعرف ماهية العرض الاصطلاحى، وما يشغب به المبطلون من التباس المعجزات بالسحر مدفوع بمثل ما تدفع به شبه منكرى العلوم الضرورية سواء، فكما أن نظر الكل الظل ساكنا وطعم المريض العذب مراً لا يقدح فى الضروريات المكتسبة من الحواس كذلك هذا وهذه معارضة والتحقيق أن الفرق ضرورى الا ترى أن المشركين قد لهجوا بهذه الشبهة وقالوا إنه صلى الله عليه وآله وسلم ساحر فلم يلتفت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا أحد من الصحابة الى الجواب عليهم ولا ذكر الفرق بين السحر والمعجز على طريقة المتكلمين لوضوح الامر بل نزلوا قولهم إنه ساحر منزلة قولهم إنه كذاب وقولهم انه مجنون علما منهم انهم قد عرفوا الآيات فجحدوها واستيقنتها أنفسهم، وظهر أن الفرق بين النبي والساحر ضرورى لكنه (تارة) يرجع الى العلم ببراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من علم السحر كما

يعلم الانسان براءة كثير من أهله وصحبه من ذلك وهذا يحصل لمعاصريه بالخبرة ولنا بالتواتر واليه الاشارة بقوله تعالى (أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون) وقوله (وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون). وذلك لان السحر ليس من علوم العقل ولا بد من تعلمه من شيوخه ، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يلق أحدا من علمائه ويتعلم منهم ولم يكن يقرأ فيتعلمه من كتبهم ، وهذا مع قرائن صدقه وأحواله وإرادة الله تعالى لاقامة الحجة يفيد العلم بل نحن نجد العلم بذلك فى بعض الاشخاص ممن لم يرد الله به اقامة حجة .وقد الفت فى هذا المعنى مصنفا مفردا سميته البرهان القاطع فى معرفة الصانع وجميع ماجاءت به الشرائع .

وذكرت فيه كلام الرازى فى كتاب الاربعين له ورأيت الشيخ مختارا قد نقله فى المجتبى *ومن كلام مختار فى الفروق بين السحر والمعجز مالفظه: على أن صاحب المعجز والسحر يفارق صاحب الحيل فى الزى والرواء والهيئة والكلام والافعال فى كافة الاحوال، وأنوار العبادة تتلالأ فى وجه صاحب المعجزات وآثار الصلاح تلوح فى جباه أهل الخيرات شميتهم التحلم والاصطبار وديدنهم الصفح والعفو والاستغفار والجود والسخاء والايثار، والمصافاة مع المساكين والفقراء والحنو والحدب على الضعفاء ، والاعراض عن زخارف الدنيا واتباع الشهوات والاهواء * وأما أصحاب السحر والحيل فرذائل التزوير لائحة فى وجوههم ، ومخايل الحيل والختل واضحة فى جباههم، قصارى همهم استمالة الاغنياء وايثار مواطن الملوك والامراء ، وغاية أمنيتهم نيل العز والجاه فى الدنيا والظفر بما يوافق النفوس والهوى

انتهى *وممن جود الـكلام فى النبوات الجاحظ فيبحث عن كتابه فى ذلك وكذلك السيد الامام المؤيد بالله عليه السلام جود الـكلام فيها فى بعض كتبه ومن الاحاديث المأثورة فى هذا المعنى حديث هرقل مع أبى سفيان الذى أخرجه البخارى فينظر فيـه ـ وتارة ـ يرجع الى الفرق بين المعجز والسحر بان يكون المعجز محـكما باقيا كالقرآن فلا يجوز فيه السحر والا لجوزنا فى جميـع مايحـكى فى الـكتب من الاشعار أنها سحر بل فى جميع الضروريات ـ وتارة ـ يرجع إلى مجموعهما فيكون أقـوى كما فى القرآن العظيم ، و بقيـة الفروق بين السحر والمعجز ليس مما يختص باهل التدقيق فى العقليات بل هو من أوضح المعارف مثل كون السحر فى من تعلمه علمه و كونه لاحقيقة له ولا آثاره فى فيل ولا سبع وانه لايكون بحسب الاقتراح ولا يكون إلا بشروط مخصوصة فى بعض الاوقات ومن الفروق الواضحة بين الانبياء وسائر أهل الخوارق : اتفاق الانبياء فالاول يبشر بالآخر والآخر يصدق الاول، ودعاؤهم إلى توحيد الله تعالى وعبادته، ووعدهم بدار الآخرة، وتخويفهم من عذاب الله تعالى، واطماعهم فى رحمـة الله ، وأما سائر أهل الخوارق فيختلفون فى العقائد قطعا فمنهم الجهمى والجبرى والاشعرى والحنبلى والمعتزلى والمرجئ والرافضى والناصبى بل منهـم النصرانى واليهودى والمجوسى والفلسفى والدهرى والبرهمى وقـد ذكـر صاحب العوارف طرفا من ذلك صالحا فى الباب السابع والاربعين من العوارف وصنف شيخ الاسلام ابن تيمية مصنفا فى ذلك سماه الفرق بين الاحوال الربانية والاحوال الشيطانية وهو كتاب نفيس فى هذا المعنى ولله الحمد وانظر بانصاف هل جاء أحد من أهل هذه الحيل

والخوارق والطلاسم والاسحار بمثل هـذا القرآن العظيم فى جزالته وبلاغته وجلالته وكثرة علومه وإخباره بالغيوب وصدقه فيما قد وقع منها وإخباره عن أحوال المتقدمين وعدم تمكن أعدائه من تكذيبه فى شيء من ذلك مع عدم علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك ضرورة وهو معنى تصديق القرآن لما مضى بين يديه من كتب الله تعالى ثم انظر الى عجز جميع الخلائق فى جميع هذه الاعصار المتطاولة عن الاتيان بمثله أو بسورة منه والى بقاء رونقه وجدّته على مرور الازمان فالحمد لله الذى منّ علينا به وجعلنا من أهله * وقد ذكر الشيخ العلامة مختار ابن محمود المعتزلى المتكلم أحد أئمة أصحاب الشيخ أبى الحسين البصرى من الادلة القاطعة على حدوث العالم ستة براهين غير دليل الاكوان كما مضى ثم ذكر فى الاستدلال على أن الله تعالى محدث العالم أربع طرائق بعد أن اختار أن العلم بان المحدث لا بد له من محدث ضرورى كما هو مذهب أبى الحسين وجود الكلام فى ذلك، ثم قال الطريق الرابع فى إثبات الصانع فهو الاستدلال بحدوث الصفات وسمى هذه طريقة الاحوال قال وهى الاوفق والاجدى لاكثر العوام والنسوان والجهلة الفارغة من أهل الوبر والعبدان لسرعة وصولهم إلى معرفة المعبود وهـذه الاحوال والصفات منحصرة فى دلائل الانفس والآفاق. أما دلائل الانفس فكما يعرفه كل عاقل من أحوال نفسه أنه كان نطفة فتغيرت به الاحوال فعاد علقة ثم مضغة ثم لحما وعصبا وعظاما وآلات وحواس حية موافقة لمصالحه، ثم بعد الانفصال من قرار مكين تعاقب عليه التكبر

والصغر والضعف والقوة والجهل والعقل والمرض والصحة والشهوة والنفار(١) إلى أن صار ذاقامة حسني مشتهية مشتهاة قادرة عالمة فلا بد لهذه التغيرات من مغير قادر عالم مخالف لها * وأما دلائل الآفاق فما يحدث ويتجدد في العالم من طلوع القمرين والكواكب وغروبها ومن دوران الافلاك الدائرات، والسفن الجاريات، والرياح الذاريات، والشهب والصواعق في الهوى وتغير أحوال الماء وإنشاء الغيوم الثقال؛ وانزال الامطار على الوهاد ورءوس الجبال، لتسقى الزرع والاشجار، وتزينها بالازهار والثمار واختلاف الليل والنهار، والفصول والاحوال وقد جمعها الله تعالى في قوله: (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس) الى أن قال (لآيات لقوم يعقلون) وإذا عرف كل عاقل تجدد هذه الامور وتغير هذه الاحوال وعجز الاجسام عنها عرف معرفة ظاهرة أن لها محدثا مخالفا للاجسام والاعراض هذا كلام الشيخ مختار بحروفه ولو لاخشية الاطالة والاملال لذكرت جمل البراهين الستة وبقية الطرق الاربعة فليطالعها الولد في كتاب المجتبى موفقا إن شاء الله تعالى وينبغي أن يذكر هنا أبيات زيد بن عمرو بن نفيل رحمه الله تعالى في هذا المعنى، وللجاحظ في هذا المعنى كتاب العبر والاعتبار مختصر نفيس وللرازى في هذا المعنى المجلد الاول من أسرار التنزيل فانه يشتمل على الاستدلال على الله تعالى بانواع الادلة الجمة غير المعتادة وكذلك أجاب عن سؤال الطبيعيين بأن الطبيعة لو كانت مؤثرة لكان أثرها واحداً ، ولما كان بعضها عصبا وبعضها لحما ودما وبعضها عظما فعلمنا أنه مختار وقد رأيت كم

(١) في المختار النفار الزعر والتجافي وانظر ما المراد هنا اهـ مصححه

جمع فى الانملة الواحدة من الاصبع من الاشياء المختلفة فوضع فيها جلداولحما وعصباوعروقاوشحماودماوعظماومخاوظفراوشعراوبلةواحدعشر لونالكل واحد منها لون يخالف لون الآخر قدرة وحياة وعضبا واستواء وارتفاعا وانحدارا وخشونة ولينا وحرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة وصلابة ورخاوة ، ثم خلق فى بعضها الحياة دون البعض كالشعر والظفر والعظم وجعلها مدركة لامور شتى كالحرارة والبرودة واللين والخشونة والقلة والكثرة والرطوبة واليبوسة فتبارك الله أحسن الخالقين انتهى ماذكره رحمه الله تعالى وقد أشار الله إلى بطلان مذاهب الطبيعيين بهذا المعنى ونبه عليه سبحانه وجعل العقل قابلا لذلك مقرا به فقال تعالى (وفى الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) ولاشك أن الفلاسفة وأهل الشكوك الذين تشككوا فى الضروريات لا يكتفون بهذا * وقد ذكر الغزالى شبه السوفسطائية وذكر أنه لم يتمكن من دفعها من نفسه الا بنور قذفه الله تعالى فى قلبه وقد شاهدنا من شك فى الضروريات من الموسوسين: فان أصغينا أسماعنا إلى دقيق الشبه ووقفنا حلى معرفة الله على ذلك حصل منه أمور (أحدها) مرض القلوب حيث توقفت معرفة الله على القطع فى مواضع مشكلة لايخلو القلب من شك فيها لدقتها فترتبط معرفة الله بها ويستلزم الشك فى بعض تلك المشكلات المشتبهات الشك فى معرفة الرب الجلية بنص كتاب الله وإجماع السلف فان الله تعالى قال « قالت رسلهم أفى الله شك فاطر

السموات والارض *(وثانيها) مساواة الفلاسفة والكفرة لنا أو مقارنتهم فى تلك الادلة على الحق فى تلك الدقائق وعدم وضوح عنادهم فيها وقلما تسلم تلك الدقائق من اختلاف علماء الاسلام فيها فتقول الفلاسفة لابى هاشم وأصحابه مذهبنا ببطلان طريقتكم فى الاستدلال كمذهب مخالفيكم من المسلمين وأنتم لا تكفرونهم ولا تنسبونهم إلى العناد فسووا بيننا إن كنتم عدلية كما زعمتم وكذلك تقولون للفريق الثانى * (وثالثها) ماقدمنامن لزوم الشك المطلق لان كل ناظر يجوز أن يعرض له الشك فى تلك الدقائق فى المستقبل لسبب ، وهذا يستلزم الشك الخاص بالمستقبل وهو بالضرورة يستلزم الشك المطلق ، وقد تقدم مافى هذا من النظر والتحقيق ،وتوقف معرفة الله تعالى على ذلك يستلزم أنه أجلى منها فيكون الشك فيها أجدر ونحن نحمد الله لانجد شكا فى الله لا محققا ولا مجوزاً ولا مقدراً وذلك دليل على أن المعارف ضرورية عادية بعد النظر السهل وانه لايجب سواه وان اختلفت المذاهب عقيبه لحكمة الله والله أعلم * (ورابعها) الازراء بالسلف الصالح ومن اقتدى بهم واعتقاد قصورهم *(وخامسها) التسبب إلى الاختلاف والتفرق المحرم بنص كتاب الله تعالى *(وسادسها) تكفير من لم يعرف تلك الطرق الدقيقة معرفة محققه مع ماجاء فى التكفير من التشديد وانه من كفر من ليس بكافر كفر ويشهد لذلك أخبار الخوارج الموارق فان الذى اختصت به الخوارج دون سائر الداخلين فى الفتن هو تكفير المسلمين وقد عظم القول فيهم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (لئن أدركتهم لاقتلنهم قتل عاد) وقال على عليه السلام : لولا أن تتكلوا على العمل لاخبرتكم بمالكم من الاجر فى قتلهم، وتواتر الحكم عليهم بالمروق من الاسلام فى الاخبار

كما يعرف ذلك من طالع كتب السير والتواريخ والجوامع والمسانيد وكان أصل قولهم تكفير المسلمين بالذنوب فكيف تكفير المسلمين بالايمان بكتاب الله والبقاء على ماعليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعدم الدخول فى غرائب البدع المبتدعات والعجب الكبير بذلك، والزراية بالمؤمنين وان لم يكفروهم بعد سلوك تلك المسالك، والى هذه الطريقة التى اخترناها أشار التنزيل فى قوله تعالى (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين) وبذلك استدل الخليل عليه السلام وقد غلط عليه من قال إنه أراد بالافول دليل الاكوان لان دليل الاكوان شىء واحد ونسبته إلى القمر والشمس مثل نسبته الى النجم فلو استدل به لنفسه أو على غيره حين رأى النجم لما تنقض برؤية القمر ثم برؤية الشمس ولا كان لقوله (هذا أكبر) فى حق الشمس معنى بالنظر الى دليل الاكوان فتأمل ذلك بانصاف وانظر معنى الافول هل يطابق معنى الكون فى الجهة وما الفرق بين الافول والبروز فى لزوم الكون المتحيز ثم ما الفرق بين الافول الاول الذى كان قبل طلوع هذه النيرات وبعده بالنظر الى دليل الاكوان، والله يحب الحق وهو المستعان، وانما الدليل الواضح هو قوله (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين) فجعل علة علمه ويقينه نظر الملكوت والعرض الكونى لايسمى ملكا، فكيف ملكوتا والملكوت اسم مبالغة فى الملك، ولافرق بين النظر فى أحقر مخلوق وبين رؤية العرش والكرسى وجميع المحجوب من الملكوت والملائكة عند الخصم فلم اختص القرآن

بالامر بالنظر فى ملكوت السموات والارض وتكرر هذا وترك ذلك الذى عندكم انه لايعرف الله بسواه ، وكيف يجوز فى العادات أن تنصرم الدهور وكتب الله خالية عن التصريح بأمر لا يعرف الله بسواه ورسله المبعوثة بالهدى لاتذكره لاحد ممن اتبعها وتعلم الهدى منها وكذلك من عاصرهم وكلام الله أبلغ الكلام ، والبلاغة مشتقة من بلوغ المتكلم بكلامه إلى بيان مراده ووضوح مقصده وتخليصه من نقص الخطأ والتقصير عن اصابة الشوا كل(١) ولصق المفاصل، فما الملجىء الى ترك التصريح بل ترك التلويح الى مالا يعرف الرب جل جلاله بغيره، أما ترك التصريح فبين وأما ترك التلويح فلانه ليس بعد النص إلا المفهوم وله أقسام وشروط لم يأت ذكر الاستدلال بالاكوان على قوى منها ولا ضعيف ، ومن العجائب أنهم يحتجون بما ليس لهم فيه حجة ولا شبهة كما تقدم فى قصة ابرهيم عليه السلام وكما يذكرون فى قوله تعالى (أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت) الا تراه انما ذكر ماليس يكون عند الخصوم وإنما ذكر الاجسام والاحوال* أما الاجسام فالابل والسماء، والجبال والارض* وأما الاحوال فالخلق والنصب والرفع والسطح فهذه أحوال مختلفة وهى مع اختلافها محكمة واختلافها وإحكامها مناسب للمصالح وذلك دليل على حكيم صنعها لان العقول تقضى بذلك فى أدنى من هذه الامور وأدنى ما فيها من الاحكام العظيم فلو أراد ما ادعوا من الاشارة الى الحركة والسكون ماخالف بين العبارات فى الجبال والارض والسموات لانها كلها ساكنة فيما يرى فلم سمى سكون السماء رفعا وسكون الجبال نصبا وسكون الارض سطحا وما الحامل على هذه واين هذا من علوم

(١) الشوا كل الطرق المتشعبة عن الطريق الاعظم اه مصححه من القاموس

المعانى والبيان ولذلك قال الزمخشرى رحمه الله فى كشافه فى رد بعض تأويلاتهم مما لايطابق البلاغة وما هذا الامن ضيق الفطر والمسافرة عن علم البيان مسافة أعوام ، وبالجملة فالقوم من علماء الاسلام ولكل خطأ وصواب ، وفى كل كلام قشر ، ولباب وكل أحديؤخذ من قوله ويترك الا من عصم الله تعالى ، ولنا من الخطأ أكثر مما هو لهم وليس القصد تزكية النفس والازراء بمن لانساوى ولا نقارب أدنى مراتبه ، وانما القصد ترك الغلو منهم المخرج لهم فى المعنى عن حد البشر وان كان المعظم لايصرح بذلك فى لفظه فقد كاد يعاملهم تلك المعاملة أو يخاف من وقوع ذلك من غيره ولو فى المستقبل فان المحقرات وسائل الى العظائم * وقدروى أن أصل عباد الاصنام فى قريش أو فى العرب كانوا يحملون فى أسفارهم من حجارة الحرم يتبركون بها ، وقد فسر قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم (لاتتخذوا قبرى عيدا) بنحو ذلك وقيل انما لم يبرز قبره حيث قبر فى بيته خوفا من ذلك ، ولذلك قال عدى بن حاتم للنبى صلى الله عليه وآله وسلم فى قوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) يارسول الله إنهم لم يعبدوهم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ألم يحرموا ماحرموا ويحلوا ماأحلوا قال بلى قال هو ذاك) وانما استكثرت من نسبة الادلة الى العلماء وإن كانت الادلة كافية بانفسها لما رأيت فى طباع الناس من الاستئناس بالقائلين بالادلة وجربت ذلك والله تعالى يسامح الجميع ويهدينا ويلهمنا الى الصواب ، والذى أظنه فى الشيخ أبى هاشم رحمه الله تعالى انه لاينكر أن الحوادث المعلوم حدوثها لبنى آدم والسحاب والمطر والنبات تدل على

الله تعالى من غير حاجة الى الاكوان وان كانت الطبائعيون تشعب فى ذلك فالجواب عليهم الحق لا يقدح فى الاستدلال كما أن المتشعبين فى دليل الاكوان من أئمة الاسلام والفلاسفة كثير لم يقدحوا فيه عند الشيخ وأبعد من ذلك من القدح والريب دليل المعجزات ، وكيف يقدح الشيخ فى هذه الاشياء مع تنبيه القرآن الذى لا يمكن تأويله على أنها أدلة ، وكيف يمكن الجمع بين الايمان بالقرآن وبأن هذه الامور لا تدل على الله وانما أراد الشيخ نفى الادلة العامة لكل متحيز من جسم وجوهر محكم وغير محكم على نظره وطريقته . فهذا يتمشى فيه اختلاف الانظار دون ما ذكرناه والله سبحانه أعلم بل نص ابن متويه فى أول المحيط على أن ابا هاشم رحمه الله انما قال إنه لا طريق عند أبى هاشم يستدل بها على حدوث الجسم غير الاكون ولم يقل على وجود الرب فوضح ما ذكرته نصا وكان ظنا ولله الحمد والمنة وأستغفر الله العظيم من كل خطأ فى عمل أو نظر قصرت فيه وهذا تمام المقام الاول فى ذكر الحجة على الله تعالى من غير طريق الاكوان ومن قال بذلك (المقام الثانى) فى ذكر الوجه فى عدولى عن دليل الاكوان وما عرض لى فيه من المباحث والكلام فى ذلك يطول وقد كنت ناظرت فى ذلك مناظرات طويلة وكتبتها وذهبت عنى وبقى منها شىء وقد رأيت أن أقتصر على ماذكره من هو أعض منى بالنواجذ على هذا العلم وأغوص منى على اللطائف فى هذا البحر معترفا بالتقصير فى معرفة بعض عباراتهم فى مقاصدهم الدقيقة، واقفا على سواحل هذه البحار العميقة ، مكتفيا منها بما عرفته مستعينا بالتمسك بالعروة الوثقى عما لم أعرفه معرضا للسائل أيده الله تعالى الى النظر بالعدل

والحكم بالانصاف بين هؤلاء المختلفين وإن كان لسان حالهم ينشد للمتعرضين

أقول لمحرز لما التقينا تنكب لا يقطرك الزحام

قال الشيخ العلامة مختار بن محمود في خاتمة أبواب العدل والتوحيد المشتملة على أربعين مسئلة مما اختلف فيه المعتزلة أولها مسئلة الاكوان قال فيها رحمة الله تعالى (المسئلة الاولى في الاكوان) قال أكثر شيوخ المعتزلة من البصرية والبغدادية . بانتفائها وهو اختيار ناصر الاسلام ابي الحسين وقال أبو هاشم وأصحابه بثبوتها ولا بد من بيان المراد بالسكون في المقام أولا وتلخيص محل النزاع فنقول: كل من أراد تحريك الجسم أو تسكينه يفعل اعتمادات من الجذب أو الدفع أو الامساك فيحصل التحرك وهل يفعل شيء آخر حتى يحصل التحرك والسكون أم يحصل بتلك الاعتمادات؟ فذهب أبو هاشم وأصحابه إلى أنه يحصل معنى آخر غيرهما يحصل التحرك والسكون به وسموه الحركة والسكون، وذهب سائر الشيوخ إلى نفيه - والحاصل - أنه ليس بين اعتماد القادر في محل قدرته والتحرك والسكون واسطة ومعنى زائد به يحصل التحرك والسكون، عندنا خلافهم وكذلك من رمى حجرا أو سهما تولد هذه الاعتمادات الحاصلة في الجهة الاولى اعتمادات أخر في الجهة التي تليها الى أن يصل المرمى. وعند البهشمية الاعتمادات الاول تولد اعتمادات ومعنى حتى يتحرك من الجهة الاولى إلى الثانية ثم تلك الاعتمادات المتولدة تولد اعتمادات وحركة وهكذا إلى أن يصل إلى المرمى أو نفي الاعتمادات فيسقط ولا بد للخائض في هذه المسئلة من تحقق ما ذكرناه فان للبهشمية فيها خبطا كثيرا ومغالطات وترددات لا تندفع إلا به فالحجة لاصحابنا في ذلك من وجوه (الحجة الاولى) أنه لو ثبت هذا الزائد وهو فعل القادر وجب أن يعلمه فاعله جملة أو تفصيلا

واللازم منتف فينتفى الملزوم، وإنما قلنا بأنه لو فعله لعلمه جملة أو تفصيلا لان القادر هو المؤثر بحسب الداعى، والداعى إلى المدعو اليه لا يتصور بدون علمه جملة أو تفصيلا فثبت أنه لو كان فعل القادر لعلمه جملة أو تفصيلا ، وانما قلنا ان اللازم منتف لان هذا المعنى الزائد لا يخطر ببالنا عند تحريك الاشياء وتسكينها وجذبها ودفعها أصلا فضلا من أن يعلمها خصوصاً فى حق العوام فانهم لا يفهمونه بالتفهم البليغ فضلا من أن يعلموه بالمشاهدة (الحجة الثانية) أنه لو ثبت هذا الامر الزائد لزم أحد أمور ممتنعة وهو اما تخلف اللازم عن الملزوم أو مخالفة الاجماع أو التناقض لانه لو ثبت هذا الامر الزائد ففعله لا يخلو اما أن يتوقف على الداعى أو لم يتوقف فان لم يتوقف يلزم تخلف اللازم عن الملزوم، لان الداعى يلازم فعل القادر المختار وإن توقف فلا يخلو اما ان يكون شاملا للفعل المباشر والمتولد أو لا يكون فان لم يكن يلزم مخالفة الاجماع لان ثبوت هذا المعنى الزائد غير شامل منتف بالاجماع ، أما عندنا فلانتفائه أصلا وأما عندنا البهشمية فلثبوته شاملا وان كان شاملا يلزم مباشرة هذا المعنى الزائد بالداعى فيكون معلوماً للمباشر إجمالا وتفصيلا مع أنه غير معلوم له فيلزم التناقض وما يؤدى الى الممتنع فهو ممتنع (الحجة الثالثة) أنه لو ثبت ذلك المعنى الزائد فاما أن لا يحصل فى الجسم المتحرك ولا سبيل اليه بالاجماع أو يحصل فيه ولا سبيل اليه لانه حينئذ لا يخلو إما أن يحصل فيه فى الحيز الاول ويوجب كونه كائنا فى الحيز الثانى أو يتوقف حصوله فيه على حصوله فى الجهة التى توجب كونه كائنا فيها لا سبيل إلى الاول بالاجماع ولا سبيل الى الثانى لانه إذا توقف حصوله فيها على حصوله فى الجهة التى توجب كونه كائنا فيها التوقف حصول ذلك المعنى على الكائينة فيها توقف

المشروط على الشرط وتوقفت كائنيته فيها على ذلك المعنى الموجب للكائنية فيها توقف المعلول على العلة فيلزم توقف وجود كل واحد منهما على وجود الآخر فيلزم الدور وانه باطل على مامر تقريره ، فان قيل لا نسلم بان القادر هو المؤثر بحسب الداعى وهو مختلف فيه ولئن سلمناه ولكن لا نسلم بان الداعى يستدعى العلم بل الظن ، والتجويز يكفى داعيا كنصب الشبكة للصيد أو التجارة للربح ولئن سلمناه ولكن لا نسلم انتفاء العلم الاجمالى بل هو ثابت للعلماء والعوام لانهم يعلمون عند التحريك والتسكين أنهم يفعلون أمراً من الامور وانه علم إجمالى كمن علم أن زيدا فى العشرة وان لم يعلمه على التفصيل ، ولئن سلمناه ولكن الكون الذى يثبته مسبب الاعتماد ، والداعى إنما يحتاج اليه فى المباشرة دون المسبب كمن رمى أذية من داره أو حجرا من طريقه لا يتوقف على الداعى إلى المرمى هذا على الحجة الاولى ، وأما على الحجة الثانية لا نسلم بان الداعى لازم فى فعل القادر المختار وليس كذلك الا ترى أن اختيار المضطر أحد الطريقين المتساويين أو أحد البابين أو العطشان أحد القدحين المتساويين فعل القادر المختار وإن لم يوجد منه داعى الترجيح وكذلك فعل النائم والساهى فعل القادر المختار وإن تجرد عن الداعى ولئن سلمنا ولكن لا نسلم بانه يلزم مخالفة الاجماع بتقدير عدم الشمول ولا نسلم بان هذا الاجماع حجة هذا على الحجة الثانية ، وأما على الحجة الثالثة فلا نسلم بان احتياج كل واحد منهما إلى الآخر منتف وجاز أن يحتاج كل واحد منهما إلى الآخر فى وجوده ثم يوجدان معاً كالعلة والمعلول فانه لا توجد العلة بدون المعلول ولا المعلول بدون العلة لوجود التقارب كذلك هنا ، على أن عين ما ذكرتم لازم فى القادر لانه

لايجعله فى الجهة الثانية الابعد إخراجه من الجهة الاولى ولايخرجه من
الجهة الاولى إلا بتحصيله فى الجهة الثانية فلو لزم بهذا التوقف انتفاء
الموجب وهو الكون يلزم انتفاء القادر أيضاً وكذلك ينتقض هذا بطريان
أحد الضدين على محل الآخر فان السواد انما يحل محل البياض
لو زال البياض وانما يزول البياض إذا حل السواد محله وانه لا يمنع طريان
كذا هذا ، ولئن سلمنا بأن ماذكرتم من الحجة يدل على انتفاء الكون
المختلف فيه ، فعندنا مايدل على ثبوته ، وقد ذكر أبو هاشم وأصحابه
لإثباتها حججاً كثيرة ولكن أقواها وأشهرها وأمتنها وأبهرها فى زعمهم
واعتقادهم أربعة (أحدها) أن القادر لو قدر على أن يجعل الجسم
كائناً متحركاً وساكناً من غير واسطة الكون لقدر على ذات الجسم (وثانيها)
أنه لو قدر على بعض صفاته من كونه متحركاً وساكناً لقدر على سائر صفاته بأن
يجعله حياً قادراً عالماً مدركا سميعاً بصيراً ، واللازم منتف فينتفى الملزوم
وذكروا لهذه الملازمة وجهين (أحدهما) أنه لو قدر على جعله كائناً لكان
الجسم متصرفه ومقدوره فيقدر حينئذ على ذاته وسائر صفاته (والثانى) القياس
على الكلام فانه لما قدر على جعل الكلام خبراً أو أمراً كقوله : تيامنوا وأمره
وتهديداً كقوله تعالى «فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» قدر على ذات
الكلام وسائر صفاته كذا هذا (وثالثها) أنه لو كان التحريك بالقادر لما
تعذّر عليه تحريك الثقيل دون الخفيف لان المصحح لتحريكهما تحيزهما
وحال القادر معهما على السواء فلا بد من معان وأكوان تقل وتكثر

فالقليل الذى يكفى لتحريك الخفيف لا يفى بتحريك الثقيل ، فلهذا يتعذر عليه (ورابعها) من يكون بالفاعل زائد على الوجود لا يتجدد فى حال البقاء . والكائنية تتجدد فى حال البقاء فلا يكون بالفاعل ، بيان الاول من وجوه : أحدها ، أن القبح والحسن لما كان بالفاعل لم يتجدد فى حال البقاء فكذا فى غيرهما من الصفات . الثانى ، أن كون الكلام أمراً أو خبراً عن زيد أو خبراً عن عمرو لا يتجدد بعد الحدوث لكونه بالفاعل فكذا صفات الاجسام . الثالث ، أنه لا يصح من زيد أن يجعل كلام عمرو خبراً أو أمرا لما أنه لم يحدث به فكذا الجسم لما لم يحدث بالفاعل منا لم يصح منه أن يجعله كائنا ﴿ قلت ﴾ ويمكن أن يقال (وخامسها) لو كان التحرك والسكون بالفاعل لصح منه تركه بعد الاعتماد لان القادر هو الذى يصح منه الترك والفعل ، ولما لم يصح منه الترك دل على أنه بالموجب وهو السكون الذى يصح منه الترك ﴿ الجواب ﴾ (١) قوله : لا نسلم بأن القادر هو المؤثر بحسب الداعى ﴿ قلنا ﴾ لما بيناه فى أول الكتاب فى أبواب التوحيد ، والثانى ؛ أنا نعنى بالقادر هو المؤثر بحسب الداعى إذا لم يمنعه مانع وبالموجب خلافه فنقول بتحريك الجسم وسكونه بالقادر على هذا التفسير من غير واسطة الكون والخصم ينكره فصار ملزما بهذه الحجة وقوله لا نسلم بأن الداعى يستدعى سابقة العلم بل الظن والتجويز يكفى ﴿ قلنا ﴾ الجواب عنه من وجهين

---

(١) هكذا فى نسختين خطيتين وفى الثالثة بعد قوله وهو الذى يصح منه الترك فكيف الجواب قوله الخ ولعلها الصواب اه مصححه

أحدهما أن الظن والتجويز للمصلحة فى الفعل يستدعى تصور ذلك الفعل والمصلحة ، والظن لايصوّر الحقائق (والثانى) أنا نحرك الاشياء ولا يكون لنا ظن ولاوهم ولاتجويز لشيء غير الاعتماد والتحرك بل نعتقد انتفاءه ، قوله العلم الاجمالى بالكون ثابت لكل أحد لانه يعلم أنه يفعل أمرا من الأمور قلنا نعم وهو الاعتماد والتحرك ولا كلام فيهما ولكن لانسلم أنه يفعل أمراً سواهما وهو بين الانتفاء ، قوله والكون المختلف فيه مسبب الاعتماد والتحرك ولا كلام فيهما ولكن لانسلم أنه يفعل أمراً سواهما والداعى إنما يدعو إلى المباشر دون المسبب، قلنا لانسلم أنه ليس يدعو الى تحركه وسكونه وأنه مسبب لا مباشر وأن الجواب الثانى أن جميع الاكوان لاتكون مسببة عند البهشمية وانما المسبب منها مايوجد فى غير محل القدرة أما الموجودة فى محل القدرة فهى مباشرة عندهم فنحن نذكر النكتة فيها* قوله الحجة الثانية لا نسلم بأن الداعى لازم للقادر ، قلنا الجواب عنه من الوجهين اللذين مر تقريرهما آنفا . وأما اختيار المضطر أحد الطريقين أو أحد البابين أو أحد القدحين وفعل النائم والساهى فالجواب عنه من وجهين :

(أحدهما) أنا نذكر النكتة فى غير المضطر والمتحيز من القادر (والثانى) أنا لانسلم انتفاء الداعى عند الاختيار ثمة بل لا يحتاج الا لمرجح لطيف حقيقى أو خيالى يثبت عنده ولكن لايذكر للطفه وضعف قوته قوله لانسلم مخالفة الاجماع: قلنا لان ثبوت الكون فى بعض الحركات

والسكنات دون البعض منتف بالاجماع، أما عندنا فلعدم ثبوته شاملا وأما عند الخصم فلثبوته شاملا فالاجماع منعقد على أحد الشمولين والشمول ينفى الاختصاص ، قوله لِمَ قلتم كان هذا الاجماع حجة (قلنا) لأن المتكلمين المعتزلة والسنية والفقهاء يستدلون به وهذا آية كونه حجة (والثانى) أن انتفاء الاختصاص قضية ساعد الخصم عليها ، وكل قضية ساعد الخصم عليها تغنى عن إقامة الدليل عليها . قوله : لم قلتم إن احتياج كل واحد من الكون فيها والكائنية فى الجهة الثانية منتف (قلنا) لانسلم بأن هذا الاحتياج ليس الا التقارن بينهما فى الوجود كزوال البياض عند حلول السواد، بل هو أمر زائد عليه لانه لما استحال عندهم أن يكون هذا الكون بغير محل وفى الجهة الاولى فاشترط فى وجوده الى كون محله كائنا فى الجهة الثانية ويستحيل أن يكون كائنا فى الجهة الثانية بدون الموجب لكونه كائنا وهو الكون ويلزم احتياج الاول الى الثانى احتياج المشروط إلى الشرط، واحتياج الثانى الى الاول احتياج المعلول الى العلة ، وأنه أمر زائد على نفس التقارن فى الوجود زمانا، وأنه ممتنع لما بيناه وقررنا فى بطلان الدور أنه يلزم تقدم الشيء على نفسه وأنه محال ، وبهذا تدفع صور النقوض» أما القادر فهو غير محتاج الى إزالته عن الجهة الاولي بل احتياجه الى تكوينه فى الجهة الثانية ، فاذن كونه فيها يزول عن الاولى تبعاً وضرورة لا أن يحتاج اليه، وكذا زوال أحد الضدين لا يتوقف على طريان الضد الثانى عليه بل قد يزول بالقادر أو بما لا يكون ضداً له ، قوله لو قدر على التحرك لقدر على ذات الجسم وسائر صفاته (قلنا) لانسلم ، قوله الجسم حينئذ يكون مقدوره ومحل

تصرفه (قلنا) من جميع الوجوه أو من هذا الوجه فحسب (الاول) ممنوع ولا يمكن دعواه . ألا ترى أن الجسم مقدوره بواسطة الكون وليس بمقدور له من جميع الوجوه حتى لايقدر على ذات الجسم وسائر الصفات بواسطة الاكوان ، ولان إلحاقه بالكلام من غير قياس، فلايلزم من ثبوت حكم مّافى ألف ألف صورة ثبوته فى غيرها فكيف يلزم من ثبوته فى صورة واحدة ثبوته فى غيرها ألا ترى أن الحيوانات العنصرية تحرك فكفها الاسفل فى مضغها . والتمساح وحده يحرك فكفه الاعلى فى مضغه ، ولئن تمسك بالقياس على الكلام وقال انما قدر على ذات الكلام وسائر صفاته لكونه قادرا على بعض صفاته وهو جعله خبراً أو أمراً أو خبراً عن زيد أو عمرو وهذا معنى موجود فى الكائنية لو كان بالفاعل فيلزم قدرته على ذات الجسم وسائر صفاته لما ذكرنا من العلة الجامعة بينهما (قلنا) الجواب عنه من وجوه

﴿أحدها﴾ من حيث القدح فى صورة هذا القياس على أصولكم أو على العموم، ذكرتم أنه قدر على ذات الكلام لما قدر على بعض صفاته فلا نسلم أولا أن الكلام ذات وهذا لان الذوات ثابتة عندكم فى الازل دون المركبات والكلام من المركبات

﴿الثانى﴾ أن القياس تعدية الحكم من أصل معلوم إلى فرع معلوم، والصفات بأسرها غير معلومة عندكم ولا يقال الدال على الصفة معلوم لانا نقول الدال على

الحكم اما الذات وحدها ولاسبيل اليه لانها وحدها ليست بدليل بالقطع والاجماع ، أو الصفة وحدها ولا سبيل اليه لكونها غير معلومة عندكم ، أو المجموع ولا سبيل اليه لكون بعضها غير معلوم أو لاشيء منها ، وحينئذ ينتفي منها الدليل أصلا ﴿والثالث﴾ لانسلم بانه يقدر على جعل الكلام خبراً بغير واسطة بل انما يصير خبراً بارادته الخبر وأمرا بارادته الامر وخبراً عن زيد بن عمر دون زيد بن خالد بواسطة الارادة فاختلف حكم الاصل والفرع وانه يمنع المقايسة ﴿والرابع﴾ إن سلمنا أنه يقدر على جعل الكلام خبراً لكن قلتم بأن القدرة على بعض الصفات علة للقدرة على الذات بل الامر على القلب والعكس لان الذات أصل والصفة تبع . فيجوز أن تكون القدرة على الاصل علة القدرة على التبع لانه موافق للعقل والشرع ، أما جعل القدرة على التبع علة للقدرة على الاصل فما تستبعده العقول السليمة والطباع المستقيمة عند تظاهر الامارات عليه فكيف اذا لم يكن شبه أمارة ، وكان من وساوس النفس الامارة ! وعلى هذا نقول على الوجه الثاني لم قلتم بأن القدرة على بعض الصفات كالخبرية علة للقدرة على غيرها ولم لا يجوز الامر على العكس ، ولا يقال بأن القدرة على الذات والقدرة على سائر الصفات تدور مع القدرة على البعض وجوداً وعدماً لأنا نقول الجواب عنه من وجوه .

أحدها أن القدرة على سائر الصفات كما دارت مع القدرة على البعض دارت مع القدرة على الذات فى الكلام فما كان جعل القدرة على الصفة علة أولى من جعل القدرة على الذات علة وقد أشرنا إلى أولوية الثانى، أو نقول يكون المجموع علة وهو القدرة على الذات وعلى هذه الصفة والثانى لانسلم بأن الدوران دليل علية المدار للاثر الدائر وليس كذلك، الاترى أن الحكم يدور مع الشرط والعلة المساوية تدور مع المعلول وجودا وعدماً وأحد الحكمين المتلازمين يدور مع الآخر وجوداً وعدما وإن لم يكن شىء من ذلك علة وكذلك التحرك يدور مع الاعتماد وإن لم يكن علة له عندكم (والثالث) إن سلمنا دلالة الدوران لكن فى حيز التعارض لان القدرة على هذه الصفة تدور مع القدرة على سائر الصفات وجودا وعدما فتكون القدرة عليها علة فلا تكون معلولة، ولا يقال المدعى أن القدرة على بعض الصفات علة للقدرة على الباقى وحينئذ يثبت المدعى لانا نقول لانسلم بأن ذلك البعض من حيث إنه بعض علة بل كون ذلك البعض علة لكونه قدرة على أعلى الصفات وأعسرها كالقدرة على الاحياء والاقتدار والعقل والشهوة والنفار علة للقدرة على التحرك أما على العكس فلا، والدليل الجازم على بطلان هذه القاعدة وماذكروه من القياس أن القادر منا يقدر على تحريك الجسم وتسكينه بواسطة السكون أو بغير واسطة ولا يقدر على ذات الجسم وسائر صفاته كالحياة والقدرة والعلم لابواسطة ولا بغير واسطة، وفيه مطاعن جمة ومباحث كثيرة أعرضت عن ذكرها لوقوع الكفاية التامة بشىء مما ذكرته قوله لو كان التحريك بالقادر لما تعذر عليه تحريك الثقيل دون الخفيف

قلنا الجواب عنه من وجوه أحدها لا نسلم بان نسبة القادر إليهما على السواء وإنما يكون أن لو كانت اعتماداته أو أكوانه كافية لتحريك الثقيل كما تكفى لتحريك الخفيف والا استوى على أن نسبة القادر اليهما بواسطة أو بغير واسطة ليست على السواء بالاجماع (الثانى) أنا لا نسلم بان ذلك الامر المحتاج الية القابل للقلة والكثرة هى الاكوان بل ذلك عندنا هى الاعتمادات التى يوجدبها القادر فى محل القدرة بدليل تفاوت التحريك بتفاوت الاعتمادات (والثالث) أن القول بثبوت ماذكرتم من الاكوان الموجبة للزيادة فى الكائنات يؤدى إلى المحال لانه يؤدى إلى التزايد فى الكائنات والتزايد فيها محال وما يؤدى إلى المحال فهو محال ، وإنما قلنا إن التزايد فى الكائنية محال لانها عبارة عن شغل الحيز المحال ولا يقال التزايد فى الكائنية صحيح وما يكون بالفاعل لا يصح فيه التزايد كالوجود وإنما قلنا إن التزايد فيه صحيح بدليل أن القوى إذا اعتمد على الجسم يعجز عن جذبه الضعيف ولو لم يصح التزايد فيها لما عجز وهذا من شبه البهشمية أيضا لانا نقول استحالة التزايد فيها بديهى ضرورى لما بينا أنه عبارة عن الشغل والمحاذاة بجسم آخر ويستحيل التزايد فيها وإنما يعجز الضعيف عن جذبه لزيادة اعتمادات القوي لا لصحة التزايد فيها وقوله ما يكون بالفاعل زائد عن الوجود لا يتجدد فى حال البقاء والكائنية تتجدد فى حال البقاء قلنا لا نسلم بأن ما يكون بالفاعل لا يتجدد فى حال البقاء وأما ما ذكر من الوجوه الثلاثة فما لها يرجع إلى القياس واثبات العلة الجامعة بالدوران وقد أجبنا عنه ، على أن الحسن والقبح معلل بكيفية تقترن بأول الحدوث وهو أن ينوى إحداثه

لمصلحة الاحسان أو الطاعة أو دفع المضرة فى الحسن وعكسها فى القبيح وذلك متعذر حال البقاء بخلاف الكائنية وأما وقوعه خبرا عن زيد ابن عمر فلان الكلام والخبر وقت الحدوث لايخلو عن طلب أو خبر عن شخص معين دون غيره فيتجدد غيره بعد تناقض فلا يصح ولان التجدد فى حال البقاء فى الكلام مستحيل، لان الصوت لا بقاء له ولا كذلك الجسم وبما ذكرنا خرج الجواب عن الثالث قوله لو كان التحرك بالفاعل لصح منه الترك بعد الاعتمادات قلنا هذا ينتقض بجميع المتولدات من الافعال قال خاتمة أهل الاصول علامة الدنيا أفضل المتكلمين من الآخرين والاولين، تقى الملة والدين ناصر الاسلام والمسلمين العجالى قدس الله روحه فى الجنة ونور بقناديل العفو والغفران ضريحه الامام الذى بلغ فى تقرير قواعد العدل والتوحيد مبلغاً لم يبلغ اليه الاوائل والاواخر وقد سمح خاطره بدقائق لم تسمح بمثلها الخواطر، وأكثرما أذكره فى مسائل الثلث الاول من خاتمة أبواب العدل من ملتقطات تصنيفه الكامل فى الاستقصاء قال فى آخر هذه المسئلة. ولقد صدق الشيخ أبو الحسين رحمه الله تعالى فى مقالته : انى لو اقتصرت على ذكر أدلتهم وعللهم لكفى الناظر فيها فى العلم بأنها لا تثمر ظنا فضلا عن علم، اترى قلوبهم تسكن و نفوسهم تطمئن عندها ثم قال تقى الائمة العجالى رحمه الله فان هذه الحجج التى قنعوا بها فى إثبات هذا الاصل العظيم ليس يصلح إيرادها عند ملاعب الصبيان فى ترويح الخيال فكيف بمثل أصل هو أساس الاسلام وأكثر مسائل مذهبهم تنبنى على هذا الاصل فانهم جعلوا المعانى المقدورة إلى طريق

إثباتها أربعة وعشرين جنساً ، عشرة منها مشتركة فى القــدرة عليها بين قادر الذات وقادر القدرة ، لخمسة منها أفعال الجوارح وهى الا كوان والاعتمادات والتأليفات والآلام والاصوات ، وخمسة منها أفعال القلوب وهى الاعتقادات والظنون والانظار والارادات والكراهات ، واما بقيتها فيختص بالقدرة عليها الله تعالى وهى الجواهر والالوان والطعوم والروائح والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والقدرة والشهوة والنفرة والبقاء والموت عند أبى علىّ ، فانظر إلى هذا الاصل الذى لو أحيل فانه يحيل أصلهم للاسلام ويحيل من مذهبهم هذه الاقسام الكثيرة ثم صححوا هذا الاصل بهذه الامارات الضعيفة التى لا تثمر ظنا ولا خيالا ، ولا تزيدهم الهداية الاعنادا وخبالا ، عصمنا الله عن الضلال بحق محمد وآله خير آل ، والله الموفق انتهى بحروفه وبتمامه يتم المقام الثانى والحمد لله رب العالمين

ثم نرجع إلى تمام الكلام فى القرآن الكريم بعد هذه الزيادة فنقول (الفصل الثانى) فى الرد على الخصم فى دعواه علمه بالذات وهو ماسمعته منه ، وعلمه بتأويل المتشابهات وهو مما بلغنى عنه فهاتان دعوتان: الدعوى الاولى علمه بالذات والصفات وأن الله لا يعلم من ذلك غير مايعلمه ، وهذه مسئلة عظيمة قديمة قــد طال الخوض فيها وكفينا مؤنة التطويل فى تحرير الادلة فى مبانيها ولكنا نشير الى نكتتين جليلتين إحداهما : أن قولنا فيها هو قول أمير المؤمنين وامام الراسخين على بن أبى طالب عليه السلام كما قرره شراح كلامه فى قوله (بها امتنع منها واليها حاكمها) أى امتنع من العقول بمعرفة العقول لعجزها عن إدراكه والاحاطة به ، واليها حاكمها أى اجعلها محكمة فى ذلك لانه نزلها

منزلة الخصم المدعي والخصم لا يحكم الا حيث تتضح الحجة ويفتضح جاحدها فلا يرضى لنفسه بدعوى مايعلم كل عاقل كذبه فيها (قلت) ولم يعلم لعلي عليه السلام مخالف في الصدر الأول ولا انكر عليه كلامه هذا احد بل احتج به الامام المؤيد بالله عليه السلام بحجة حمزة عليه السلام على ضعف كلام ابي هاشم ذكره في شرحه للنهج في شرح قول علي عليه السلام وذكر ابن أبي الحديد مع اعتزاله أنه قول لم تزل فضلاء العقلاء عليه واحال بالادلة الى مواضعها ثم انشد لنفسه في نصرة هذا القول مايكفي ويشفي مثل قوله :

تاه الانام باسرهم فاليوم صاح القوم عربد
تالله ماموسى ولا عيسى المسيح ولا محمد
عرفوا ولا جبريل وهو إلي محل القدس يصعد
من كنه ذاتك غير انك واحد في الذات سرمد
عرفوا إضافات ونفيا والحقيقة ليس توجد
ورأوا وجودا دائما يفني الزمان وليس ينفد

الى قوله :

فلتخسأ الحكماء عن حرم له الاملاك تشهد
من انت يارسطو ومن افلاط قبلك يامبلد
ومن ابن سينا حين قرر ما هذيت به وشيد
هل انتم إلا الفرا ش رأى السراج وقد توقد
فدنا فحرق نفسه ولو اهتدى رشدا لأبعد

ومما قال في ذلك :

فيك يا أغلوطة الفكر | تاه عقلي وانقضى عمري
فلحى الله الألى زعموا | انك المعلوم بالنظر
كذبوا ان الذي زعموا | خارج عن قوة البشر
سافرت فيك العقول فما | ربحت الاعنا السفر
رجعت حسرى وما وقفت | لا على عين ولا اثر

وله في هذا المعنى كل مقال فصيح، ومعنى صحيح، وذلك مبسوط في موضعه من شرح كلام علي عليه السلام وينبغي ان ينقل كلامه كله بحروفه لجودة عبارته وغزارة علمه ولا نبيض هذه المسودة حتى نستوفي نقله إن شاء الله تعالى ونذكر ما نقله الرازي عن الفلاسفة في الكلام في الالاهيات وقد نظمت ذلك في نظمي في سر قل هو الله أحد والحمد لله* وكفى بقول الخصم: ان الله (تعالى عن ذلك علوا كبيرا) لا يعلم في نفسه الا ما يعلمون، شناعة فاحشة يكفي في بطلانها سماعها و يفضي الى التعطيل وينبني عليه امتناعها ، وكفى بامير المؤمنين سلفا وقدوة وإماما وحجة في هذه المشكلة كيف وقد نظرت العقول حتى وقفت خاسئة ورجعت الابصار كرتين فانقلبت حاسرة ويطابق السمع على ذلك قرآنا واخبارا و آثارا، وكفى قوله تعالى في ذلك (ولا يحيطون به علما) والتطويل في الجليات يوهم انها خفية ، وجحدة لمعاندين وبله بعض المتكلمين تشكك في انها جلية وقد رأيت الاقتداء بالعلامة عبد الحميد بن ابي الحديد في هذا المقام لائقا فاقتصرت فيه على رسم ابيات كنت قلتها في ذلك وهي هذه

لي في القديم مقال غير منتكر | سبحانه عن خيال الوهم والفكر
اجله ان تحيط الناظرون به | ذاتا واين قوى النظار والنظر
فالعلم قسمان تصديق ومعرفة | تختص بالذات والتصديق بالخبر

القسم الاول بالعرفان متسم

مفعوله واحد فى النحو والنظر

وههنا افترق العلمان ماوقف الـ نظار فى ذا على عين ولا أثر

وإنما علموا أوصافه جملا

من غير كيف ونفى النقص والصور

فان معرفة الموصوف جل عن الـ * إدراك بالفكر والتخييل بالبصر

والله يعرف قطعاً ذاته وسوا * ه ليس يعرف إلا الوصف بالنظر

فان يقروا بهذا فالمراد وإن * حادوا فقد وقعوا فى أفحش النكر

هل جهلوه لتجهيل العبيد أو اد * دعوا لعرفانه فى مقطع الفكر

ألله أكبر هذا قاطع ولنا * عليه أكبر برهان من الزبر

تنزه الرب فى الذكر المنزل أن * يحيط علما به خلق من البشر

تمدحاً لم يكن فى الذكر مختلفا * قطعا ولا غلطا من وهم ذى نظر

فان يقولوا كلام الله مشتبه * فأين قولهم فى محكم السور

وكل مشتبه فالمحكمات له * أم كما جاءنا فى أصدق الخبر

وفى الحديث دلالات لنا ولنا * حديث موسى كليم الله والخضر

وفى كلام أمير المؤمنين لنا * هذا وحسبك برهانا لمنتصر

وفى وصيته ابن المصطفى حسناً * دلائل لفقيه القلب معتبر

فلا نؤوله المعقول يمنع أن * يوصى بمشتبه خوفا من الغرر

وعن وجوه الكراسى قدرواه لنا * عبد الحميد لشرح النهج ذى العبر

وجنح القول فيه بالقصائد أم * ثالا تسير مسير الشمس والقمر

فى شرح قول أمير المؤمنين بها اه * تتناعها واليها الحكم فى النظر

تلك الالى حكمت بالمنع قد حكمت * بها الملائك أهل القرب والنذر

والراسخون وأدنى من له أدب * وكل متضع لله منكسر

فلا ترجح عليهم غير محتفل * شيوخ جبة إن جاروا فلا تجر

والفرق كالصبح لايخفى على أحد * واخبر تميز فليس الخبر كالخبر

ولبعض الاصحاب فى هذا المعنى أبيات أجود من هذه ينبغى اثباتها هنا إن شاء الله تعالى وهذه الابيات التى تقدمت الاشارة اليها فى فضل قل هو الله أحد أوردتها لما فيها من نفى التشبه وهى هذه :

فى الواحد التوحيد فى ذاته * والوصف والفعل لمن يفهم

والصمد الغاية فى مجده * وقصده فى الامر إذ يعظم

والملك فى الاول والحمد فى الـ * ـثانى تعالى الملك الاكرم

والملك أصل والثنا غاية * ومنهما أسماؤه تقسم

والسبع فافهم قسمت فيهما * وفى الذى هو منهما يلزم

يعنى بالسبع السبع المثانى وهى الفاتحة لان ابتداءها بالحمد الذى هو الغاية المقصودة بخلق العالمين ولذلك ختم به الفصل يوم القيامة وبين الحمد(١) بكونه ربّ العالمين وهذه صفة العظيم وهى تقتضى التوحيد بظاهرها ثم يليها الرحمن الرحيم وهى أعظم صفات الحمد ولوازمه ولذلك كررها هنا مرتين وفى التسمية مرتين وجاء فى كل مرة باسم المبالغة والالف واللام ثم ذكر رابعا صفة الملك باسمه الخاص به لاعظم الامور وهو يوم الدين وجاء فيه

(١) أي بين منشأ الحمد أنه مربي العالمين وخالقهم اه مصححه

بقراءتين ليكون بمنزلة اثنين ولما كان يوماً عظيما لم يذكره حين قدم ما يؤنس أهل الخوف من سعة رحمة الله تعالى بتكرار هذين الاسمين الشريفين وقد دل القرآن على أنه من مقتضى رحمته حيث قال تعالى (كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيامة) واتفقوا على صحة حديث المائة الرحمة المؤخرة له وهو كالتفسير لهذه الآية ثم قال (اياك نعبد) من لوازم الملك (واياك نستعين) وذلك من لوازم الحمد، وفيهما توحيد صريح وكذلك سائر السور من لوازم الحمد الى قوله (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) وهو من لوازم الملك الحق والعدل بين الخلق كما أوضحته. فى العواصم ونهاية الامر: أن يكو ذلك من المتشابه الذى تفرد بعلم الحكمة فيه ونعرفها نحن جملة وفيها الجمع بلا فرق والتوحيد الاعظم(١) أراد بالجمع عرف الصوفية فى استغراق القلب بذكر الله تعالى ونسيان ماسواه حتى العمل والجزاء وحتى نفس الذاكر وذكره والفرق ذكر شيء من ذلك وأدنى والتوحيد هو توحيد العامة وهو التوحيد فى الربوبية وهو لا اله الا الله ونعنى به الاحد وأعظم التوحيد وتوحيد الخاصة وهو التوحيد فى النفع والضر والاستعانة مع التوحيد فى الربوبية فلا يرجى ولا يخاف إلا الله تعالى ولا يستعان إلا به وقد جمعها قوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) لكن فى اياك نعبد شيء من الغرق فى ذكر العبادة والالتفات اليها وليس فى الاحد شيء من ذلك، وأما اياك نستعين فانه جمع مثل الصمد لان الصمد هو السيد المقصود فى المهمات المتناهى المجد المعول عليه فى كل أمر، وأما التوحيد فى الوجود فهو

(١) تنظر هذه العبارات الآتية بتمعن حيث وجدت هكذا فى نسختين اهـ مصححه

مجاز وتحقيقه بدعة قد ضلت بسببها الاتحادية فالله المستعان

وفيهما الجمع بلا فر ق والتوحيد أدناه والاعظم

وفيهما أسماؤه كلها الـ حسنى وفيها اسمه الاعظم

وبعد ذا النفي لميراثه لأنه الآخر والأقدم

وهو من الملك ومنه انتفا الـ

أمثال في الكل لمن يعلم

وآخر السورة نفي لما يظن في التشبيه أو يوهم

وفيه نفي النوع نصاً ونفـ ـي المثل تعميما لمن يلهم

أي في نفي الوالد والولد نفي المثل النوعي أي نفي أن يكون له أمثال منه أو هو منها بالنص لأنه هو الذي ربما توهمه من له بعض تمييز ثم نفي المثل المطلق للعموم لأنه اذا انتفى المثل من النوع الاول لم يتوهم أن له مثلا من عبيده ومخلوقاته الالمن لا تمييز له فلم يحتج الى أكثر من نفيه بالمعمول لانه ضروري في المعقول والله أعلم اه، ثم إن في هذا النفي للمثل النوعي والمثل العام تأكيداً لما تقدم في توحيده في ذاته المستلزم توحيده في عبادته وتوحيده في صمديته المستلزم توحيده في الاستعانة به وكان في ذلك كمال الاتصال الموجب لحذف حرف العطف عند أهل المعاني وغاية التناسب والبلاغة والحمد لله الذي هدانا لهذا

لم يستو المخلوق في ذله (١)

كيف الاعز الاكبر الاعظم

(١) في جميع النسخ في ذله ويظهر لي في ذاته اه مصححه

ماثمة الا اللطف يحكيه والايمان والصمت لنا أسلم
اعترف اليونان فى كفرهم أن النهى فى ذاك لاتعلم
أفاده الرازى قالوا سوى رجم ظنون لهم تهجم
هذا وهم فى العجب والتيه فى ليل دعاو كله مظلم
فكيف بالمسلم فى هديه نور وهو بتقوى ربه ملجم
وعن على قال يابردها قولك فى المجهول لا أعلم
لذاك كانت ثلثا كاملا للذكر هذا فاغنم المغنم(١)

ولبعض الاصحاب فى هذا المعنى أبيات وهى هذه :

يا ضلة الغالين حين توهموا ما لا يفوه به التقى المسلم
قالوا إله العرش ليس بعالم من ذاته والوصف مالم يعلموا
هذى مقالة من هوى فى متلف وعليه ديجور الغواية مظلم
قالوا تقرر أن كل مكلف فعليه علم الذات فرض ملزم
وكذا الصفات فان يكونوا حصلوا ما كلفوه فما ذكرنا يلزم
إذ لا يكون العلم غير مطابق لحقيقة الامر الذى هو يعلم
هذا وان لم يستطيعوا مابه قد كلفوا فالامر فيه أعظم
للزوم تكليف المحال وبانتفا تكليفه نطق الكتاب المحكم
قلنا لقد شدتم بناء عاليا واهى الاصول فأسه متهدم
الفرض علم الله موجودا إلٰها واحداً ماغيره متقدم
حياً قديراً عالماً متنزهاً عما يقول مجوز ومجسم

(١) هكذا وجدت هذه الابيات في ثلاث نسخ خطية فلتنظر اه مصححه

لاعلم كيف صفاته أو ذاته سبحانه أن يعتريه توهم
واقرأ إذا ماشئت في طه تجد مايقطع الشبهات عنك ويحسم
نفى الاحاطة عن جميع الخلق بالر حمن علما شأن ربي أعظم
فاعرض كلامهم على القرآن فالـ قرآن في ذا ناقض ما أبرموا
لكنهم تركوا الكتاب لوهمهم فعشوا لتركهم التدبر أوعموا
أنى يكون كعلمه سبحانه تخبيطهم وله الشكوك تهدم
شتان علم لا يحول وعلمهم علم يفارقهم اذا هم نوم
أو غافلون وشبهة تفتنا له والشك يفسده اذا يتوهم
وانظر الى نهج البلاغة تلق ما يشفى الغليل وللمخالف تفحم

(وثانيهما) أذكر أوجز كلام عرفته فى ذلك لفظاً وأبلغه على ايجازه معنى لتقر عين المتطلع الى ماحمل المخالفين على هذه الدعوى العظيمة فأقول: انمن أحسن من عبر عن هذه المسألة الكبرى شارح جمع الجوامع لكن النساخ غيروا بعض ألفاظه فشككت فى بعض ألفاظه مع معرفة مراده فجعلت العبارة لى وزدت اليسير حيث تصح الزيادة وتجوز وتحسن ولم أتظنن فى موضع لايحل فيه الظن ويتوقف فيه على النقل فاقول: لاشك ان الله عز وجل حقيقة مخالفة لسائر الحقائق مخالفة مطلقة لا يشاركها شيء فى ذاتيتها وخصوصيتها قال الله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) وقال تعالى (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد) وقال تعالى (فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا) وقال تعالى حاكيا عمن شبهه بغيره سبحانه (تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما اضلنا

الا المجرمون) وفى قوله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) جمع بين الرد على طوائف المبطلين فاولها رد على المشبهة وآخرها رد على المعطلة وفى ترتيبها سر لطيف لانه لو قدم الرد على المعطلة لخيف سبق وهم أو خيال من شبه أهل التشبيه فلذا بدأ بما يعصم عن ذلك من غاية التقديس والتنزيه* وقالت المعتزلة ان الخلق والرب مشتركون فى جلس الذاتية وان التفرق انما حصل بالوصف الاخص لله تعالى لتشريع أو لغيره مما يوجب التميز بعد الاشتراك وهذا باطل قطعا للقطع بأن جنس الذاتية الاعم المسمى عند أهل المعقولات بالماهية و بالوجود المرسل والوجود المطلق مستحيل الثبوت فى الخارج بالضرورة العقلية وبمعرفة هذا يزول كثير من خيالات أنواع المبتدعة وعلى الغلط فيه يترتب ضلال كثير نسأل الله العافية فاذن المشترك انما هو لفظ عام لاسوى وربما عبر عنه بعض أهل العقليات بالعرض العام والاشتراك فيه من جنس الاشتراك فى اسم الشيء بل من جنس اشتراك المعدومات فى اسم العدم، وزعم بعض المتكلمين ان الذوات كلها متساوية وأن امتياز بعضها عن بعض بصفات مخصوصة وامتياز ذات الله تعالى عن غيرها بصفات الالهية كوجوب الوجود قدما ودواما وتمام القدرة واحاطة العلم ونفوذ المشيئة والكمال المطلق الموجب لاستحقاق كل مدح وثناء والتنزيه من كل نقص وعيب وأشار صاحب الصحائف الى ان الخلاف بين المسلمين فى هذه الاشياء لفظى وما هو ببعيد وذكر ابو على التيمى تلميذ الغزالى فى التذكرة انه لم يمنع من اثبات ماهية الرب الحقيقية الا بعض الفلاسفة ومنهم من أثبتها لانها من لوازم الوجود العينى ويستحيل دخول الوجود المرسل فى قضية العقل

فى الاعيان إذا تقرر هذا فاعلم أن المثبتين للماهية اتفقوا على أنه لاحد لها
ثم اختلفوا فى مسئلتين المسئلة الاولى هل يصح العلم بها للبشر فى الدنيا
بالنظر والاستدلال؟ فذهب فضلاء العقلاء منهم امامهم وإمام المسلمين أمير
المؤمنين على بن ابى طالب كرم الله وجهه فى الجنة ومن لايأتى عليه العد
من الآل والاولياء والعارفين إلى امتناع ذلك وهو قول القاضى أبى بكر
الباقلانى وإمام الحرمين الجوينى والغزالى والكيا الهراسى فى مشيخة
جلة وحكاه الرازى عن جمهور المحققين قال وكلام الصوفية يشعر به وبهذا قال
الجنيد والله ماعرف الله إلا الله * وذكر الطرطوسى فى الرد على إرسطاطاليس
أن الحارث المحاسبى قال لا يمكن أن تكون معلومة للخلق وحكوا
عن الشافعى أنه قال من انتهض لطلب مدبره فانتهى إلى موجود
ينتهى اليه فكره فهو مشبه ، وإن اطمأن إلى العدم الصرف فهو
معطل وان اطمأن الى موجده واعترف بالعجز عن إدراكه
فهو مصدق وهذا معنى قول الصديق الاكبر العجز عن درك الادراك إدراك
وقد قيل: حقيقة المرء قط ما ليس يدركها * فكيف ماهية الجبار فى القدم
وذهبت المعتزلة أو كثير منهم إلى أنها معلومة واحتجوا بوجهين (أحدهما)
أنا مكلفون بمعرفة واحدانيته وذلك يتوقف على معرفة حقيقته فلو لم تكن
واجبة شرعا ممكنة عقلا لكان ذلك تكليفا بما لا يطاق وهذا لايجوز على
الله تعالى، والجواب أن الملازمة ممنوعة وإنما كلفنا بمعرفة الربوبية ولاسيما
الحسنى ونفى الثانى ونفى التشبيه والظلم وكل نقص وهذه كلها نعوت
عرية عن معرفة الماهية (وثانيهما) قالوا إنا نحكم على ذات الله تعالى بهذه

الاحكام الثبوتية والسلبية والحكم على الشيء مسبوق بمعرفة المحكوم عليه والجواب أن هذا ضعيف لانهم إن عنوا أنه مسبوق بمعرفته من بعض الوجوه إجمالا فسلم ولا يضر تسليمه وإن عنوا بمعرفته على التفصيل من جميع الوجوه فممنوع وكلامهم مجرد دعوى ، والدليل عليهم فى هذا المقام، فان أبدوه وجب علينا نقضه وإن لم يبدوه لم يلزمنا شيء من مجرد الدعوى بغير حجة ولا هدى ولا كتاب منير وقد قال الله تعالى وهو أصدق القائلين (ولا يحيطون به علما) ولذا لما قال فرعون ومارب العالمين أجابه الكليم عليه السلام بالنعت حيث قال رب السموات والارض لتعذر الجواب بالماهية فعجب فرعون وقومه من عدوله عن الجواب المطابق لسؤاله ولم يعلم لغباوته أنه المخطى فى السؤال عن الماهية وأن ما اتى به الكليم فى الجواب اقصى ما يمكن ولله سبحانه الاسماء الحسنى وحظنا من المعرفة الايمان بها على ما يريده الله سبحانه وتعالى ولولا رأفته ولطفه ومعرفته ورحمته وبره وعظم فضله وواسع احسانه ما كنا اهلا لمعرفة شيء مما عرفنا به وكرمنا وشرفنا بسببه وكيف واحاطة البشر بمن تجلى للجبل فجعله دكا وخر موسى صعقا وقد تقدم كلام على عليه السلام فى جوابه على الذى قال له صف لنا ربنا وغضبه من ذلك ونهيه للرجل ان يسال عن ذلك احدا سواه (المسئلة الثانية) اختلف المانعون من ذلك فى الدنيا هل يطرد المنع فى الدنيا والآخرة أو يختص ذلك بدار الدنيا فمنهم من طرد المنع ومنهم من خصه بدار الدنيا ومنهم من توقف ولا حاجة بنا الآن الى التطويل بالخوض فى أحكام الآخرة انتهى (الدعوى الثانية) دعوى العلم بتأويل المتشابهات وهو مبنى على ذكر

الآية الشريفة الواردة في ذلك والكلام عليها فلنبدأ بذلك فنقول قال تعالى (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ومايعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ومايذكر إلا أولو الالباب) فمن شرط الايمان وعزائمه الايمان بمتشابه القرآن فمن علم معناه آمن به على اليقين ومن لم يعلمه آمن به على الجملة ، وقد اختلف الناس اختلافا كثيرا في الراسخين هل يعلمون التأويل مع الله أم لا وينبغي من تالى كتاب الله الشريف أن يؤثر هذه الآية الشريفة بزيادة في التدبر فانها قاعدة عظيمة للكلام في تفسير كتاب الله تعالى وقد ثبت في امالى السيد الامام أبي طالب وفي نهج البلاغة عن على عليه السلام ان الراسخين لا يعلمون ذلك كما سيأتى بحروفه في الادلة على ذلك وثبت ذلك أيضا عن زيد بن على وعن القاسم والهادى إلى الحق يحيى ابن الحسين وعن ولده المرتضى محمد بن يحيى عليهم السلام وسيأتى كلام واحد منهم بحروفه وثبت ذلك ايضا عن الامام المؤيد بالله يحيى بن حمزة رحمه الله ذكره في كتاب الحاوى في اصول الفقه في الكلام على المؤول في اوائل المجلد الثانى واحتج عليه كما سيأتى بيانه فهؤلاء أعلام أئمة العترة الاكابر من الاوائل والاواخر ولنذكر بعد قولهما من وافقهم على ذلك فنقول قال البغوى في تفسيره وذهب الاكثرون الى ان الواو للاستئناف وتم الكلام عند قوله الا الله وهو قول أبي بن كعب وعائشة وعروة بن الزبير ورواية عن طاووس عن ابن عباس وبه قال الحسن واكثر التابعين واختاره الكسائى والفراء والاخفش

ويصدق ذلك قراءة عبدالله (وإن تأويله إلا عندالله) وفى حرف أبى بن كعب
ويقول الراسخون قال عمر بن عبد العزيز فى هذه الآية انتهى علم
الراسخين الى أن قالوا آمنا به كل من عند ربنا وهذا القول أقيس فى
العربية وأشبه بظاهر الآية انتهى مختصراً وقال ابن تيمية فى القاعدة
الخامسة من جواب المسألة التدمرية انا نعلم ماأخبرنا الله به من وجه
دون وجه لقوله تعالى (أفلا يتدبرون القرآن) وهذا يعم المحكم والمتشابه
وجمهور الائمة على أن الوقف عند قوله الا الله وهو المأثور عن أبى
وابن مسعود وابن عباس وغيرهم ، وعن مجاهد وطائفة أن الراسخين
يعلمون تأويله ولا منافاة بين القولين عند أهل التحقيق فالتأويل على
(ثلاثة وجوه) الاول كلام الاصوليين وهو ترجيح المرجوح لدليل (الثاني)
التفسير وهو اصطلاح المفسرين كما ان الاول اصطلاح الاصوليين ومجاهد
إمام التفسير عند الثورى والشافعى والبخارى وغيرهم (الثالث) الحقيقة
التى يؤول اليها الكلام لقوله تعالى (هل ينظرون الا تاويله يوم يأتى تاويله يقول
الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق) فتاويل اخبار المعاد وقوعها
يوم القيمة كما قال فى قصة يوسف لما سجد له ابواه واخوته (قال هذا تأويل
رؤياى من قبل) ومنه قول عائشة كان يقول فى ركوعه وسجوده سبحانك
اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفرلى يتأول القرآن (تعنى قوله) فسبح بحمد ربك
واستغفره وقول سفيان ابن عيينة السنة هى تأويل الامر والنهى فان نفس
الفعل المامور به هو تأويل الامر به ونفس الموجود المخبر عنه هو تأويل
الخبر وبهذا يقول أبوعبيد وغيره والفقهاء أعلم بالتأويل من اهل اللغة كما

ذكروا ذلك فى تفسير اشتمال الصمائين(١): الفقهاء يعلمون نفس ما امر به ونهى عنه لعلمهم بمقاصد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما يعلم أتباع بقراط وسيبويه ونحوهما من مقاصدهما ما لا يعلم بمجرد اللغة ولكن تأويل الامر والنهى لابد من معرفته بخلاف الخبر اذا عرف ذلك فتأويل ما أخبر الله به عن نفسه المقدسة بما لها من الاسماء والصفات هو حقيقة نفسه المقدسة وتأويل ما أخبر به من الوعد والوعيد هو نفس الثواب والعقاب وليس شيء منه مثل المسميات باسمائه فى الدنيا فكيف بمعانى اسماء الله وصفاته، لكن الاخبار عن الغائب لا يفهم ان لم يعبر عنه بالاسماء المعلومة معانيها فى الشاهد ويعلم بها ما فى الغائب بواسطة العلم بما فى الشاهد مع الفارق المميز فى الغائب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فنحن اذا اخبرنا الله تعالى بالغيب الذى اختص به من الدارين وما فيهما علمنا معنى ذلك الذى اريد منا فهمه وفسرناه واما نفس الحقيقة المخبر عنها التى لم تكن بعد وانما تكون يوم القيامة فذلك من التأويل الذى لا يعلمه الا الله ولذلك لما سئل مالك وغيره من السلف عن تأويل قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) قالوا الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وبمثل هذا قال ربيعة شيخ مالك الاستواء معلوم والكيف مجهول وعلى الله البيان وعلى الرسول البلاغ وعلينا الايمان ومثل هذا

(١) اشتمال الصماء أن يرد الكساء من قبل يمينه على يده اليسرى وعاتقه الايسر ثم يرده ثانية من خلفه على يده اليمنى وعاتقه الايمن فيغطيهما جميعا أو الاشتمال بثوب واحد يبدو منه فرجه اه مصححه من القاموس ويظهر أن محل النهى فى الحديث عن المعنى الثانى كما يحتمل الاول ايضا على بعد

يوجد كثيرا فى كلام السلف فى نفى كيفية علم العباد بصفات الله وفى الحديث (لا أحصى ثناء عليك) رواه مسلم ، وفى المسند وصحيح ابى حاتم (واستأثرت به فى علم الغيب عندك) فمعانى هذه الاسماء التى استأثر الله بها لا يعلمها سواه مما يوضح ذلك ان الله وصف القرآن كله بانه محكم وبانه متشابه وفى آية أن بعضه محكم وبعضه متشابه فالاحكام الذى يعمه هو الاتفاق وهو تمييز الصدق من الكذب فى اخباره والغى من الرشاد فى أوامره والتشابه الذى يعمه ضد الاختلاف المنفى عنه بقوله (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) وهو الاختلاف المذكور فى قوله (إنكم لفى قول مختلف يؤفك عنه من أفك) فالتشابه هنا يماثل الكلام ويناسبه بحيث يصدق بعضه بعضا فالاحكام العام فى معنى التشابه العام بخلاف الاحكام الخاص والتشابه الخاص فانهما متنافيان والتشابه الخاص مشابهة الشىء لغيره من وجه ومخالفته من وجه آخر بحيث يشتبه على بعض الناس أنه هو أوهو مثله وليس كذلك . والاحكام الخاص هو الفصل بينهما بحيث لا يشتبه أحدهما بالآخر يعنى على من عرف هذا الفصل . وهذا التشابه الخاص إنما يكون بقدر مشترك بين الشيئين مع وجود الفاصل بينهما ثم من الناس من لا يهتدى إلى ذلك الفاصل فيكون مشتبها عليه . ومنهم من يهتدى له فيكون محكما فى حقه فالتشابه حينئذ يكون من الامور الاضافية فاذا تمسك النصرانى بقوله (إنا نحن نزلنا الذكر) ونحوه على تعدد الالهة كان المحكم قوله (والهكم آله واحد) ونحو ذلك

مما لايحتمل الامعني واحدا يزيل ماهناك من الاشتباه . قلت ترك الشيخ
والامام وجها رابعا من وجوه التأويل وهو المراد فى الآية وذلك هووجه
الحكمة فيما لا تعرفه العقول مثل خلق أهل النار وعذابهم وترجيحه على
العفو عنهم مع ترجيحه للعفو بشرائعه وأوامره لعباده وقد ذكرت كل
طائفة وجها فى ذلك معينا واعترضهم الباقون . وقد تقصيت ماقيل فى ذلك
ومايرد عليه فى العواصم والجواب الجلى أصحها وأقواها كما اختاره الزمخشرى
وغيره من محققي خصوم أهل السنة والدليل على أنه يسمى تأويلا قوله
تعالى فى الحكاية عن الخضر (سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا)
ثم أخبره بوجه الحكمة فى ذلك الذى استنكره موسى ولم يحتمله عقله
فكان المتشابه فعلا لا قولا والتأويل خبرا عن الحكمة عكس ماذكره فى
الوجه الثالث من تأويل الخبر بالفعل . وإنما قلت إن هذا هو المراد فى الآية
لأن الله سبحانه قد وصف الذين فى قلوبهم زيغ بابتغائهم تأويله وذمهم بذلك وهم
لا يبتغون علم عاقبة القرآن ومايؤول اليه على مافسره الشيخ فهم لا يبتغون
الجنة ولا النار ولا القيامة ولا ذات الرب سبحانه وتعالى وإنما يستقبحون
الظواهر بعقولهم فيتكلفون لها معانى كثيرة يختلفون فيها وكل منهم ينفرد
بمعنى ويأتى بمجرد احتمال والكل من ذلك مما لم يستندوا فيه إلى شيء من السمع وقد
يكون مخالفا للمعلوم من الشرع لان تلك الآيات ظهرت على عهد رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم وعلم من المسلمين تلقيها بالقبول ولم يخبر صلى الله عليه وآله وسلم
ولا أحد من أصحابه لها بتأويل ولا نبه على ذلك مع مافى المسلمين من البله
المحتاجين إلى البيان الذى لا يجوز تأخيره عن وقت الحاجة . وقد ثبت أن

عدى بن حاتم ربط خيطين أبيض وأسود فقال له عليه السلام (إنك لعريض القفا) فكيف بغيره ممن هو دونه وكثير من النساء والمماليك ونحوهم. فينبغى أن أشير الى نكت نافعة من حجج الفريقين * أما القائلون بأن الراسخين يعلمون التأويل فحجتهم أن الله سبحانه لايخاطب المكلفين بمالا يفهمون، لان ذلك عبث والله سبحانه يتعالى عن ذلك علوا كبيرا ولا أعلم لهم حجة غيرها. والجواب عن هذه الحجة من وجوه: الوجه الاول أن فائدة كلام الله تعالى لا تنحصر فى مجرد فهم معناه المعين على التفصيل والا لزم أن يكون عبثا ولاطريق الى القطع بذلك لمن اعتقده الا أنه طلب وجها فلم يجده وليس عدم الوجدان عند الطلب فى علم الطالب يدل على عدم وجود المطلوب فى علم الله تعالى اذ من المعلومات الضروريات أن الانسان قد يطلب الشىء المدة الطويلة ولا يجده ثم يجده هو أو يجده غيره. وفى كلام على عليه السلام فى وصيته للحسن عليهما السلام دليل على هذا حيث قال (فان أشكل عليك شىء من ذلك فاحمله على جهالتك فانك أول ما خلقت جاهلا ثم علمت، وما أكثر ما تجهل من الامر ويتحير فيه رأيك ثم يضل فيه بصرك ثم تبصره بعد ذلك انتهى) هذا على الاجمال وعلى جهة التفصيل نقول تلخيص ذلك أن كلام الله سبحانه وتعالى منقسم الى قسمين: القسم الاول ما فيه تكليف للعباد وطلب منهم بالاوامر والنواهى للافعال والتروك فهذا هو الذى يسمى خطابا ويجب أن يكون لهم الى معرفته طريق علمية أو ظنية ويكفى أن يعرف ذلك بعضهم كالمجتهدين بالاجماع وهذا القسم من كلام الله تعالى هو الذى يعلم أنه سمى خطابا للمكلفين. والقسم الثانى من كلام الله مالم يكن فيه طلب

أمر منهم مثل فواتح السور وماشاكلها فلا دليل على أنه يسمى خطابا للمكلفين ولأن المقصود منه فهم معناه على التعيين ولذلك اختار الامام يحيى ابن حمزة فى مثل الفواتح جواز جهل الراسخين بمعناها ، وقفت عليه فى الحاوى للامام يحيى عليه السلام ، توضيحه أنه لم يرد فى آية قط يا أيها الذين آمنوا آلم ونحو ذلك ولاورد فى تضاعيف الكلام المفهوم ولاورد فى لسان العرب ولا يحسن من الواحد منا أن يخاطب صاحبه بنحو ذلك ويطلب منه فهم ما اضمره فيه والعلة عدم التمكن من معرفة ما اراد بذلك وهى مطردة فينا وفى حق الله تعالى بل هى فى حق الله أبعد منه لأن قرائن الرؤية قد تفيد الظن بالاشارة ولو امكن فى كلام الله تعالى فهم ذلك امكن فى حقنا أولى وأحرى ، والمعلوم عدم إمكانه فى حقنا وقولهم انه خطاب لنا فيجب ان يكون مفهوم المعنى لنا احتجاج بمجرد الدعوى ونتيجته معلومة البطلان بالوجدان واولى منه واصح عند أهل الانصاف ان نقول المتشابه غير مفهوم المعنى لنا وهذه ضرورية وجدانية فيجب ان نكون غير مخاطبين به ، بيان المقدمة الضرورية ان فواتح السور متشابهة فلو ادعينا فهم تفسيرها وجب ان يكون اليه طريق لكن لا طريق إليه، لان الطرق فى ذلك منحصرة فى العقل والكتاب والسنة الصحيحة والاجماع والقياس واللغة ، ومعلوم انه لاشىء من ذلك يدل على تفسير الفواتح، سلمنا ان ذلك يسمى خطابا لنا فى اللغة بمجرد وروده فى كتابنا فيجب حينئذ ان يكون خطابنا منقسما الى ما المراد منا فهمه على التفصيل كالمحكم وعلى الاجمال كالمتشابه، مثال ذلك ماثبت فى حديث ابن مسعود من قوله صلى الله عليه

وآله وسلم (أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك وأنزلته في كتابك أو علمته احدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك) فهذا القسم من الاسماء التى استأثر الله بها في علم الغيب مما يجب الايمان به على الاجمال ولا يمكن فهم معانى تلك الاسماء على التفصيل بالضرورة مع النص على ذكرها في كلام رسولنا الذى تعبدنا بفهم كلامه وخطابه صلى الله عليه وآله وسلم والله سبحانه وتعالى أعلم * (الوجه الثانى) انهم إما ان يوجبوا ان يعلم تاويله جميع المكلفين المخاطبين وهذا باطل ولا قائل به أو يقولوا انه يكفى ان يعلمه بعضهم وهم الراسخون او بعض الراسخين وعلى هذا فيلزمهم تجويز ان يكون العلم بتأويله من خواص بعض الراسخين من الانبياء والملائكة وافراد من الائمة فان الله سبحانه يختص برحمته من يشاء، ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء، فاما ان كل خائض في علم العربية والمعانى او جامع لشرائط الاجتهاد فانه يجب ان يعلم جميع تاويل المتشابه فدليلهم على تسليم صحته لا يقتضى هذا * (الوجه الثالث) انهم اما أن يمنعوا الايمان الجلى او يجوزوه فان منعوه لزمهم ان يقبح من عوام المسلمين بل من العجم الايمان الجلى بالمتشابه بل بالمحكم بل يلزمهم ان لا يصح العلم بذات الله سبحانه وكثير من صفاته لامتناع تصور العقل لذلك على التفصيل وان جوزوا الايمان الجلى بطل استدلالهم بذلك فهذا ما حضرنى لهم وعليهم في هذه الحجة على الانصاف والله عند لسان كل قائل ونيته (الوجه الرابع) أن المتأولين انما يعينون وجوه التاويل بالظن أو الاحتمال فاما الاحتمال فلا يسمى علما ألبتة لا حقيقة ولا مجازا واما الظن فقد يسمى علما مجازا ولكنه هنا ممنوع لان العلم المضاف الى الله تعالى في الآية

لايجوز فيه الا الحقيقة وهو بعينه هو المضاف عند الخصم الى المتاولين بالظن أو الاحتمال ولا يجوز فى اللفظة الواحدة ان يراد بها كلا معنييها على الصحيح ولا يقوم على خلاف ذلك دليل من اللغة ألبتة على ان ابا هاشم قال انه محال عقلا ومجرد احتمال ذلك عقلا أو لغة ليس بدليل قطعا (الوجه الخامس) قوله تعالى (سيقول السفهاء من الناس الآية) دليل على ان الذين فى قلوبهم زيغ هم المرتابون فى المتشابه الذين قبحوا ظاهره ولم يكفهم فى تحسينه العلم الجلى لحكمة الله تعالى وقوله تعالى (قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء) دليل على اكتفاء الراسخين بالدليل الجلى لانه ليس فى هذا الجواب وجه تفصيلى فى حسن النسخ وقد بسطت هذا المعنى فى العواصم فليراجع فيه من مسئلة الارادة (الوجه السادس) ما اخرجه الحاكم فى كتاب الايمان من المستدرك عن ابن عمران قال (لقد عشنا برهة من دهرنا وان احدنا يؤتى الايمان قبل القرآن وتنزل السورة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيتعلم حلالها وحرامها وما ينبغى ان يوقف عنده فيها كما تعلمون انتم القرآن ثم قال لقد رأيت رجالا يقرأ احدهم القرآن فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب الى خاتمته لا يدرى ما امره ولا ما ينبغى ان يوقف عنده ينثره نثر الدقل) قال الحاكم صحيح على شرط البخارى ومسلم ولا اعرف له علة والحجة منه فيما ذكر ما يوقف عنده والخصم يدعى قبح الخطاب * وفى النهاية الدقل ردىء التمر ويابسه وقال ما ليس له اسم خاص فيراه ليبسه ورداءته لا يجتمع ويكون منثورا * واما القائلون بان الراسخين لا يعلمون التاويل فالذى حضرنى من ادلتهم اثنان وعشرون دليلا (الدليل الاول) الفطرة العقلية التى فطر الله الناس عليها وذلك ان الانسان

يعلم احوال نفسه علما وجدانيا ضروريا أوليا لا يشك فيه فيعلم عافيته والمه وفرحه وغمه وعلمه وجهله وسائر احواله أو اكثرها ويجد فرقا ضروريا بينا لا تمحوه الشبه ولا تعتريه الشكوك ومن ذلك علمنا بمجارات العقول ومواقفها ومالنا الى معرفته طريق دون ما ليس لنا الى معرفته طريق ونجد فرقا ضروريا بين فهم معنى قوله تعالى (إذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم) وامثالها وبين قوله تعالى: الم وتلخيص ذلك ان معرفة معنى الم وامثالها اما ان يكون بطريق اولا، فان لم يكن بطريق لم يصح اجماعا وإن كان بطريق فاما ان يكون عقليا اولا لا يجوز ان يكون عقليا وفاقا اذ لا رابطة بين العقل وبين معاني الحروف وان لم يكن عقليا فاما ان يكون سمعيا اولا لا يجوز ان يكون سمعيا لان السمع هنا ليس الا القرآن والسنة ولم يحتج المقرون لهذه الحروف بهما ولا نقلوا ماقالوه فيها عنهما الا القول بانها اسماء الله او اشارة الى اسماء الله فقد ورد فيه شيء لم يبلغ مرتبة الصحة المتفق عليها وان كان الحاكم قد خرج بعض ذلك ولكن على تسليم صحة ذلك فلا بد من الاجمال ببطلان التركيب فيها ولا بد منه في الكلام المفيد باجماع أهل العربية فانك لو قلت زيد. عمرو. بكر. خالد. لكانت اسماء مفهومة في انفسها لكنه لا يكون خطابا مفيدا بل ولا يسمى كلاما عند النحاة

فلم يبق بعد ذلك ما يستند اليه الا اللغة العربية وليس في كتب اللغة شيء من ذلك اصلا ألبتة ولا ادعى المخالف وجود دليل صحيح في ذلك من أنواع الادلة الثلاثة المتقدمة العقلية والشرعية واللغوية والقياس هنا لا يصح

كما لا يصح فى كثير من المعروفات كاعداد الركعات فالمجهول أولى لعدم صحته * وأما حديث معقل بن يسار عنه صلى الله عليه وآله وسلم (اعملوا بالقرآن أحلوا حلاله وحرموا حرامه واقتدوا به ولا تكفروا بشيء منه وما تشابه عليكم فردوه الى الله والى أولى العلم من بعدى وليسعكم القرآن وما فيه من البيان) قال فى سلاح المؤمن رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد والجواب عنه من وجوه (الاول) عدم الصحة بمجرد تقليده حتى يبحث عنه (الثانى) أنه معارض بحديث جندب عنه صلى الله عليه وآله وسلم (فاذا اختلفتم فيه فقوموا عنه رواه البخارى ومسلم والنسائى وفى حديث عمرو (مالم تعرفوه فكلوه إلى عالمه) رواه الحاكم ابن المدائنى واحمد واللفظ له (الثالث) أنه فى خطاب العامة لردهم إلى أهل العلم، والمحكم عند العلماء قد يتشابه على العامة ورجوعهم حينئذ إجماع . وقد ثبت أن التشابه أمر نسبي ولذا جاء فى حديث المتشابهات أنه لا يعلمها كثير من الناس . فاما ما تشابه على أولى العلم بل على الراسخين فلا يرد اليهم بل الى الله وحده، يوضحه حديث جندب وحديث عمر كما تقدم فى الوجه الثانى (الرابع) أنه قد دل على هذا لانه قسم الرد الى الله واليهم فثبت أن المردود الى الله ما لم يعلموه لأنه لا معنى لرد متشابه القرآن إلى الله ولا الايمان الجملى فان الرد المعتاد الى الله هو الرد الى كتابه فاما رد كتابه اليه فلا يكون الا الوقف والايمان الجملى . ولذلك امر فيه بالاكتفاء ببيان النبى صلى الله عليه وآله وسلم . وأما دعوى قرينة مطلقة تدل على تأويل الحروف المقطعة ليست من قبيل شيء من الادلة فانه ممنوع مثل تفسير الباطنية لانه مثل

دعوى دليل مطلق ليس هو عقلى ولا سمعى ولا لغوى وهذا يرجع الى تجويز وجود الجنس مع عدم جميع أنواعه مثل حيوان ليس بناطق ولااعجمى ولاارضى ولابحرى ولاسمائى وذلك محال عند الجميع ولو قبل مثل ذلك قبل قول ابن عربى الطائى صاحب كتاب الفصوص من أن الحروف أمة من الامم مبعوث اليها رسول منها لدليل جملى ويمتنع صحة الدليل الجملى مع امتناع التعيين كما يمتنع اثبات الجنس مع امتناع الانواع كلها وهو المسمى بالوجود المرسل وهو أحد المحالات والمنصف يجد من نفسه الجهل بمعنى هذه الحروف الذى أراده الله على التعيين وفقد الطرق المفيدة لذلك، وأنت إذا تأملت كلام الزمخشرى وغيره فى تفسير الفواتح وعرضته على الادلة المعينة وطلبت تعيين مستنده من العقل أو من القرآن أو من الحديث أو من الاجماع اتضح لك أن كل واحد منها برىء منه ومن كان عنده فى ذلك طريق صحيح فليمن بها مأجورا فان طبع جميع المكلفين مجبول على محبة العلم وكراهة الجهل ولا رغبة لنا فى جهل شىء والمنة لمن دل على معرفة وأخرج من جهالة ﴿ الدليل الثانى ﴾ أن المتأول بتأويل معين اما أن يقطع على أن تأويله ذلك هو مراد الله تعالى ويقطع ببطلان كل تأويل سواه فهذا لا قائل به ولو قال به أحد ماساعده الدليل لانه من قبيل الاستدلال بعدم الوجدان فى نفس الطالب على عدم وجود المطلوب فى علم الله تعالى وقد مر إبطاله، يوضحه أن المتأول قد يتأول الآية على وجه ثم يتفطن بعد ذلك لما هو أقوى عنده. واما أن لا يقطع المتأول بصحة تأويله وبطلان ماعداه فاما أن يكون تجويزا مستوى الطرفين أو ظنا راجحا أما التجويز

فليس من العلم فى شيء وهو محض الجهل اذ لا معنى للجهل الا احتمال أحد النقيضين من غير ترجيح أو نحوه فاعتقاد أنه علم ولا سيما فى تفسير كلام الله تعالى والاطلاع على مراده غاية الغرور وأما إن كان ظنا راجحا فلا ثمرة له فى غير العمليات . ثم لا يخلو الاعتماد عليه والخبر عن مراد الله به من كراهة أو تحريم لعموم النواهى عن اتباع الظن وعموم قوله تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم) وما سيأتى ذكره من الاحاديث الواردة فى تحريم التفسير بالرأى فهذان الوجهان عقليان ثم إنه يلزم من قولهم دعوى التعبد بذلك وتصويب الجمع وفى أقوال المفسرين ما لا يصح جمعه لتناقضه كالقول بأن الٓمٓ الالف اسم الله واللام جبريل والميم محمد . والقول بانها كلها أسماء الله ، وأيضا لو ثبت انها كلها اسماء عاد الاشكال بنفسه لعدم ثبوت النسبة الخبرية فيها فانا مع معرفتنا لاسمائنا لا نستفيد بذكرها مجردة عن التركيب الموجب للاعراب والمعانى ويلزمهم على التصويب القطع بتصويب النقيضين كتسمية الله تعالى بتلك الحروف وتصويب من قال ليست اسماء الله تعالى فليزيدوا القطع بتصويب من توقف فانه اولى وأحرى والله أعلم (الوجه الثالث) ما روى عن ابن عباس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال (من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار) وفى رواية اخرى (من قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار) رواه الترمذى وقال هذا حديث حسن ورواه الذهبى فى الميزان فى ترجمة ابى سهل الهيثم بن جميل احد شيوخ احمد بن حنبل والذهبى قال الذهبى ابو الوليد بن برد حدثنا الهيثم بن جميل حدثنا ابو عوانه عن عبد الاعلى عن

سعيدبن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار) اورده فيما انكر من حديث الهيثم وقال بعده قال الدار قطنى ثقة حافظ وقال العجلى ثقة صاحب سنة وقال احمد بن حنبل ثقة وقال ابن عدى ليس بالحافظ يغلط على الثقات وارجوانه لايتعمد ، وعن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (من قال فى كتاب الله برأيه فأصاب فقدأخطأ) رواه الترمذى وابو داود وقال الترمذى هذا حديث غريب ، واما تصريح بعض الصحابة بالتفسير بالرأى وعدم انكار الجماعة عليه كقول ابى بكر فى الكلالة اقول فيها برأيى فذلك فى العمليات ولانزاع فيها ولو سلم اجماع فى غير العمليات فظنى سكوتى لاينفع فى الفروع ولايقدح بمثله من يعرف معناه، والحديثان اقوى من مثل ذلك ولاينهض معارضا لهما ألبتة الا التفسير بالنقل الصحيح من الحديث واللغة فالظاهر الاجماع على جوازه وان كان ظنيا ويبقى التفسير بالرأى المحض المنصوص فى الحديث بتحريمه مع ظواهر القرآن وشهرة الخلاف فيه والله اعلم (الوجه الرابع) مارواه السيد الامام الناطق بالحق ابو طالب فى اماليه من قول أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام وهو صريح فى هذا المعنى لا يمكن تاويله قال السيد أخبرنا أبى رحمه الله تعالى قال اخبرنا ابو محمد ابن عبدالله بن احمد بن عبدالله بن سلام قال اخبرنا ابى قال حدثنا سليمان قال حدثنا على بن الخطاب الخثعمى قال حدثنا احمدبن محمد الانصارى عن بشير عن زيدبن اسلم عن على عليه السلام انه قال فى صفة الراسخين فى العلم لمن ساله ان يصف له الله عزوجل فى آخر كلامه عليه السلام مالفظه (اعلم ايها السائل ان

الراسخين فى العلم هم الذين اعياهم عن اقتحام السدود المضروبة دون الغيوب، الاقرار بجمل ماجهلوا تفسيره من تفسير الغيب المحجوب، فقالوا آمنا به كل من عند ربنا فمدح الله سبحانه و تعالى اعترافهم بالعجز عن تناول مالم يحيطوا به علما وسمى تركهم التعمق فيما لا يكلفهم البحث عنه منهم رسوخا فاقتصر على ذلك انتهى رواه السيد ابو طالب ولم يتعقب عليه بتاويل كماهى عادته فيما يخالف مذاهب اهل البيت عليهم السلام وهو من أنفس ماورد فى هذا الباب واحسنه لصدوره عن امام الراسخين فى العلم والمخصوص من الله تعالى بزيادة فى الفهم، قال زيد بن على عليه السلام فى كتاب المجاز من رواية ابى عبد الله جعفر بن محمد بن هرون المقرى مالفظه : والقرآن على أربعة أوجه حلال، وحرام لا يتبع الناس جهالته، و تفسير يعلمه العلماء، وعربية يعرفها العرب، وتأويله لا يعلمه الا الله تعالى وقال فى مواضع أخرى والمتشابهات يشتبه علم تاويلها على اكثر العباد ويلتبس من قبلها اهل الزيغ ويقول الراسخون فى العلم آمنا به بما علمنا ومالم يعلم تأويله لنا فعلمه عند ربنا وقال القاسم بن ابراهيم فى كتابه الناسخ والمنسوخ وفى ما انزل الله يا بنى من وحيه، بعد الذى بقى فيه من امره ونهيه متشابه باطن خفى لا يبين منه شيء لنا جعله الله متشابها وليس يعلمه احد غير الله وهذا نص جلى على المراد ولله الحمد وقال الهادى الى الحق عليه السلام فى جواب إسماعيل بن اسحق بن ابراهيم عن المسائل التى ساله عنها بنجران مالفظه: حم عيسق حروف تولى الله علمها لم يبينها لاحد من خلقه اذ ليس فيها امر ونهى ولا فرض ولا امر تعبد به عباده فيحتاجون الى علمه ومعرفته وقال المرتضى بن الهادى عليه السلام فى جواب المسائل التى سئل عنها واما متشابه

الآيات من الكتاب فلايكون ابدا الامتشابها كما جعله رب الارباب فليس يحيط غيره بعلمه ولا يكلف احدا العلم به وإنما يكلف العلم بانه من عندر به كما قال سبحانه وتعالى (والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) انتهى ماذكره أئمتنا بحروفه واما من ذهب الى غير هذا المذهب من الزيدية فلاعراضهم عن كتب أئمتهم الموجودة بين اظهرهم وإقبالهم على كتب غيرهم فالله المستعان (الوجه الخامس) ان موسى عليه السلام جهل ماعلمه الخضر عليه السلام من تأويل فعله هذا وهما معا بشر متقاربان في العلم متماثلان في الجسم فكيف مع هذا يجب ان تكون معرفة تأويل افعال الله تعالى ممكنة لجميع المكلفين وتأويل كلامه مقدورا لجميع المجتهدين مع ان التاويل هو معرفة وجود الحكمة في المتشابه على ماسيأتي بيانه ووجوه حكمة الله تعالى مادتها من محيط علمه وتامات كلماته التي نص الله سبحانه في كتابه على ان البحر لو يمده سبعة ابحر لم يكفها مدادا ولم يحصها نفادا (الوجه السادس) ان الملائكة عليهم السلام ما عرفوا حكمة الله تعالى على التعيين في خلق المفسدين في الارض ولذلك سالوا ربهم جل جلاله عن ذلك فلم يخبرهم به على التعيين وردهم الى الجملة التي كانوا لها معتقدين وبها مكتفين قال سبحانه (انى اعلم مالا تعلمون) فاعترفوا بما قرره عليهم من قصور علمهم وقالوا لاعلم لنا الاما علمتنا (الوجه السابع) ان في هذه الآية بيانا شافيا وتعليلا كافيا ولذلك أنزلها الله تعالى فرقانا بينا بين المحكمات والمتشابهات واما المحكمات اللواتي هن للكتاب امهات فمن تاولها وجعلها من المتشابه فا

قدرها حق قدرها ، ولا قام بواجب شكرها ، ومن أجازها من جوز التاويل بغير دليل عرف أن الله تعالى قد وصف فيها الذين فى قلوبهم الزيغ بصفتين ووسمهم بسمتين احداهما ابتغاء الفتنة وثانيهما ابتغاء التاويل فثبت تحريمهما فكيف نجعل التاويل الذى دلت الآية على تحريمه واجبا والمتاول الذى دلت الآية على ذمه ممدوحا يؤيد ذلك (الوجه الثامن) ومن ذلك انه سبحانه لما ذم من ابتغى التأويل علل ذلك بعلة واضحة وذلك قوله تعالى (وما يعلم تاويله الا الله) وذلك لأن طلب العلم لما كان مامورا به وقد قال تعالى «وقل رب زدنى علما» وكان ذمه سبحانه لمن ابتغى التأويل كالمخالف بذلك بين ان العلة فى ذم طالب هذا العلم كونه مما لا يعلمه الا الله وطالب ما لا يدركه غير محمود ثم بين سبحانه حال الراسخين فى العلم فى هذا المقام وان حالهم فيه حال التسليم والايمان والخضوع والاذعان فلو كان التأويل من علوم الراسخين لما ذم من ابتغاه فى آية من الفرقان بين المحكم والمتشابه من القرآن وفيما وصف به الراسخين من العجز عن ذلك تسلية لاهل الحرص على طلب العلوم ولذلك لم يجب الملائكة الى بيان ماسالوه من هذا الجنس وسد الباب وحسم المادة ويؤيد ذلك أن السابق الى الفهم ان الراسخين مبتدا وخبره يقولون آمنا به والقول بان آخر الكلام قوله والراسخون فى العلم وأن قوله يقولون آمنا به كلام مستأنف موضح لحالهم أى هم يقولون أو هؤلاء يقولون أو قائلين على الحال مستلزم اضمارا أو تجوزا أو مخالفة للظاهر وذلك لا يصح لغير موجب ويقوى ذلك ان قولهم كل من عند ربنا مشعر بعجزهم عن ادراك تأويل المتشابه مشير اليه من حيث انه كالتعليل للايمان بالمتشابه وان الوجه فيه هو كونه من عند الله ليس الا وهذا منهم كالتمثيل له بالمحكم والقياس

عليه بالعلة المعلومة ردعا لوساوس الصدور ونوازع الخواطر اذا حدثت وقالت كيف الايمان بما لا يعقل ولا يفهم بل لمن يقول بذلك من المبتدعة وغيرهم ولو كان علمهم بتأويله حاصلا كعلمهم بتأويل المحكم لم تقع هذه الجملة هذا الموقع من البلاغة وكذا قصر علم التأويل وتعظيمه بذلك القصر المصدر بحرف النفى يعلم أن تأويل المتشابه لا يقع كل الموقع الا متى كان مقصورا على الله وحده مثل قصر التوحيد عليه اما اذا كان لله تعالى شركاء فى علم تأويل المتشابه لا ينحصرون فى كثرتهم فى انفسهم وتعليمه منهم ممكن لكل عاقل من خلق الله أجمعين فان الحصر لذلك بهذه الصيغة لا يقع موقعه البليغ ويكون نظيره التوحيد فى النبوة للانبياء بل التوحيد فى الايمان للمؤمنين لان الراسخين اضعاف أضعاف الانبياء عليهم السلام بما لا ينحصر فكما لم يرد القرآن بأنه لا اله الا الله ولا نبى الا من أوحى اليه الله أو نحو ذلك لكثرة الانبياء وعدم فائدة صيغة القصر أو عدم بلاغتها وفصاحتها حينئذ فكذلك هذا وذلك أن علماء المعانى والبيان نصوا على أن قصر الصفة على الموصوف لا يخاطب به الا من يعتقد الشركة ولذلك سمى قصر افراد لقطع الشركة وليس فى الوجود مخاطب يعتقد أن العوام العمى يشاركون الله والراسخين فى علم تاويل المتشابه حتى يرد اعتقاده بهذا القصر وانما الموجود من يعتقد أن الراسخين يشاركون الله تعالى فى ذلك فحسن قصره على الله لقطع اعتقاد من جعل لله فيه شركاء فافهم ذلك وتأمله فانه جيد (الوجه التاسع) أن أما للتفصيل ويلزم منه ذكر قسيم ما بعدها على المختار كما يظهر عند ذكر الكلام فى الادلة وهو قول من اقوال أهل العلم واختاره الامام

يحيى بن حمزة عليه السلام فى تفسير هذه الآية الكريمة ذكره فى كتاب الحاوى فى أوائل المجلد الثانى فى الفصل الثالث فى المحكم والمتشابه وحكاه نجم الدين فى شرحه لمقدمة ابن الحاجب كما يقول أما زيد فعالم وأما عمرو فجاهل ولا يحسن أن يقول أما زيد فعالم ويسكت على ذلك ولا يذكر له قسما مخالفا لانه يغنى عن ذلك أن تقول زيد عالم وعلى هذا آيات القرآن العظيم كما قال تعالى (أما من ظلم فسوف نعذبه) الآية فى الكهف إلى قوله تعالى (وأما من آمن) وقال تعالى (فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وأما بنعمة ربك فحدث) وقال تعالى (فاما ان كان من المقربين) الآية وقال تعالى (فأما إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه) كلها بذكر قسيم ما بعد أما وقد تحذف اما ويذكر قسيم ما بعدها نحو قولك أما زيد فعالم وعمرو جاهل بدلا من قولك وأما عمرو فجاهل والدليل عليه الآية الكريمة (فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه الى قوله والراسخون فى العلم) بدلا من قوله وأما الراسخون كما هو قول الامام يحيى عليه السلام وقد ذهب الى ذلك غيره فيما حكاه نجم الدين واختار أنه محتمل يعنى بذلك مع احتمال أن يكون قسيم ما بعدها محذوفا فالجواب أنه لا يصح ذلك الا بعد تقرر جواز حذفه بدليل غير الآية أما حين لم يكن معهم دليل غير الآية فانه لا يصح لهم ذلك لما فى الآية من الاحتمال لحذف أما من أول قسيم ما بعدها لا حذف القسيم وحذفها معا وقد ثبت جواز حذف اما مع اثبات قسيمها مع القرينة الدالة على ذلك بغير الآية الكريمة وأما حذف القسيم فلم يصح قط الا مجرد دعوى فى هذه الآية وذلك

مجرد احتمال لم يثبت له رجحان ألبتة فلا يكون له دليل * يوضحه أن عدم التفصيل بعد أما لايخلو اما أن لايصح وقوعه أو يصح نادرا أو يصح كثيراً ، ان لم يصح فالقول قول من أوجب التفصيل بعدها لان النحاة قد نصوا على أنها للتفصيل فى لغة العرب وذلك يستلزم ذكر المتعددات بعدها واقاها أمران متغايران وان صح نادرا فقواعد البصرية من النحاة وجوب تأويل ماسد عن الاصل بما يلائم الاصل كتأويلنا فى هذه الآية لقوله تعالى (والراسخون فى العلم) بأن المراد وأما الراسخون لان الاصل الغالب فى أما ذكر متعدد بعدها لكيلا تبطل قوانين العربية وتختل قواعدها وإن صح عدم التفصيل بعد اما كثيرا انتقص كونها للتفصيل وتمحضت للشرطية وكان حرف شرط صرفا يقوم مقامها لان التفصيل يوجد معها تارة ويعدم أخرى ويوجد مع عدمها أيضا كاول المدثر لكن قد ثبت أنها للتفصيل فيثبت انها لم ترد لغيره كثيرا قطعا ولا يثبت أنها وردت لغير التفصيل نادرا بدليل ظنى غير محتمل وأنا أورد كلام نجم الدين فيها لينظر فيه بانصاف (فاقول قال نجم الدين) فى كلامه على أما التى للتفصيل اعلم : أن أما موضوعة لمعنيين لتفصيل مجمل أولا ستلزم شيء لشيء ومن ثمة قيل إن فيها معنى الشرط والمعنى الثانى لازم لها فى جميع مواضع استعمالها بخلاف معنى التفصيل فانها قد تجرد عنه وقد التزم بعضهم هذا المعنى فيها أيضا فى جميع مواقعها فالتزم ذكر المتعدد بعدها وحمل قوله تعالى والراسخون فى العلم بعد أما الذين فى قلوبهم زيغ على

معنى وأما الراسخون وهذا وإن كان محتملا فى هذا المقام إلا أن جواز السكوت على مثل أما زيد فقائم يدفع دعوى التزام التفصيل فيها انتهى والجواب أن ظاهر كلامه أنه لم يوجد غير الآية حجة الا ما ادعاه من حسن السكوت على مثل أما زيد فقائم فاما الآية فقد بطل الاحتجاج بها مع اعترافه باحتمالها للتفصيل، واما حسن السكوت من غير تفصيل فالجواب أن أماقد يكون معها ما يقوم مقام التفصيل من القرائن التي تقتضيه وان لم ينطق به وأما بالنظر الى معنى الملازمة فمسلم ولا يضر تسليمه كما لو رأيت رجلا جاهلا فقلت له توبيخا أو تخصيصا أما زيد فعالم والتقدير وأما انت فجاهل ومن ذلك قوله تعالى (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطاً مستقيما) فتخصيص الذين آمنوا بالذكر هنا مع دخول أما وإشعارها بالتقسيم قرينة دالة على أن المراد وأما الذين كفروا فليس لهم ذلك أو فلهم عذاب أليم أو نحو ذلك وهذا المثال نص عليه وعلى ما ذكرته فيه ابن هشام احد كبار النحاة فى كتابه مغني اللبيب وقد اعترف الزمخشري فى كشافه فى تفسير قوله تعالى فى آخر سورة النساء (فسيحشرهم اليه جميعا) أن ذكر احد القسمين فى قوله تعالى (فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به) يستلزم تقدير القسيم الآخر فى المعنى فكيف لا يستلزم ذلك فى قوله (فاما الذين فى قلوبهم زيغ) مع انها أولى لان القسيم فيها مذكور وهم الراسخون فى العلم لكن حذف وأما من صدره لوضوح القرينة فاذا وجب عنده

تقدير أما وما بعدها مع حذفهما معا لدلالة القرينة على ذلك فكيف
لا تقدر أما وحدها إذا حذفت فى صدر القسيم الذى بعدها بل كيف
لايجوز ذلك وما أوجبه فى بعض الآى حرمه فى بعض ، فظهر أن
ظاهر الآية عليهم لولا ما ادعوه من أنها من المتشابه وقد أوضحت
انها من المحكمات وأن الوجه الذى احتجوا به لا يتماسك ضعفا ولله
الحمد والمنة * واما إن ادعى حسن السكوت مطلقا بالنظر الى معني التفصيل
الموضوعة له فممنوع لانه نفس المتنازع فيه الذى يخالفه فيه من قد
ذكر خلافه وهو الذى ادعى حسن السكوت عليه ، أما أن يكون له
عليه دليل أورده فلا ولوكان لا ورده لكنهم ما وجدوا غير الآية
واذا كان اصل اما للتفصيل وفاقا لم يصح دليل على خلاف الاصل
لان المدعى له مستغن عن إقامة الحجة لبقائه على الاصل ووجبت
الحجة على من ادعى خلاف الاصل * على أن من ادعى حسن السكوت
على ذلك ادعى انها تكون للتوكيد واخرجها من بابها ذكره ابن هشام
ولم أعرف عليه دليلا وعلى تقدير صحته فلا يجوز الا فى كلام مبتدأ لم
تتقدمه جملة يكون تفصيلا لها كقولك أما زيد فعالم مبتدئا بذلك اما إذ
قدمت جملة ثم عطفت عليها بالفاء قبل أما المستلزمين فى العادة للتفصيل
فلا بد من تقديره كما تقول وفد الناس على الخليفة فاما الفضلاء فاكرمهم
وتسكت أو تقول والاراذل اهانهم بحذف اما من صدر التقسيم فمن
التعسف ، والتعسف الفاحش تقدير قسيم آخر غير قولنا والاراذل
اهانهم كما زعم بعض المتأخرين فى قسيم (فاما الذين فى قلوبهم زيغ) انه
محذوف مقدر وليس هو قوله تعالى (والراسخون فى العلم) مع إقرار

نجم الدين وهو من أئمة الخصوم بصلاحيته لذلك ويعضده ما ذكره ابن الحاجب فى شرح مقدمته فانه قال فيه : أما للتفصيل لان وضعها على أن تفصل بها نسب إلا انهم لم يلتزموا ذكر المتعدد فقد يذكروا وقد لا يذكروا بعدها أمرا آخر ولكنه يفهم أنه ترك لامر كقوله تعالى (فاما الذين فى قلوبهم زيغ) ولم يذكر بعد ذلك أما اخرى لتفصيل آخر وأما مجيء المتعدد فيها فكثير ولذلك قال بعضهم إنه لازم وحمل عليه قوله تعالى (والراسخون فى العلم) على واما الراسخون فى العلم وقطعها عن العطف على قوله تعالى (وما يعلم تأويله إلا الله) فكأنه قيل اما الراسخون فى العلم فيقولون آمنا به تم كلامه فى الشرح فتقرر أن القوى فى معنى الآية واما الراسخون فى العلم فيقولون آمنا به وهذا يمنع من عطف الراسخين على الله والحمد لله على بيان ذلك

(الوجه العاشر): ما رواه الحاكم وصححه فى كتابه المستدرك عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان يقرأ (ويقول الراسخون فى العلم آمنا به كل من عند ربنا) وابن عباس ترجمان القرآن وهذه قراءة لا تفسير فهى فى حكم المرفوع الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهى ترجح احد الاحتمالين فى الآية كالخبر الآحادى وان لم تتواتر قراءته قرآنا لكن الصحيح وجوب العمل بها لقوة الظن بصدقه كما هو مقرر فى الحجة بخبر الواحد فى فطر العقول وشريعة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم واجماع المسلمين بعده ويقوى ذلك أن الزمخشرى وهو من الخصوم رواه عن أبي بن كعب سيد القراء بصيغة الجزم ولم يضعفه وروى بصيغة الجزم عن ابن مسعود انه قرأ (إن تأويله إلا عند الله) ولم

يضعفه أيضا وهذه فى معنى قراءة أبي وابن عباس رضى الله عنهما فهؤلاء ثلاثة من أكابر الصحابة ما كانوا ليفتروا فى كتاب الله عز وجل ومن عادة الزمخشرى التقوى بالقراءات العربية على المعانى فكيف بالمشهورة المصححة والحمد لله كثيرا

(الوجه الحادى عشر) الوقف على الله وقدم كلام على عليه السلام فى ذلك وهو امام الراسخين وهو معروف عن القراء مشهور بينهم وقد نقله ابن تيمية عن جمهور الأمة وعن أقرأ الصحابة أبي بن كعب وعن ابن عباس المسمى فيهم بالحبر وبالبحر المجابة فيه الدعوة النبوية فى تعليم التأويل وهو التفسير كما ذكره ابن تيمية فيما تقدم وعن ابن مسعود :المجاز من الشيطان الذين رضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأمته مارضى لهم وعن غيرهم وقد وافق الزمخشرى على نقله قراءة عن أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود فيكفى فى وجوب العمل وصحة الترجيح نقل واحد منهما

(الوجه الثاني عشر) ان مثل فواتح السور لو كانت معروفة لاهل العلم لجاز ان تنزل سورة كبيرة ليس فيها الا حروف مقطعة مسرودة يكلف العلماء معرفة المراد منها وتفصيل مدلولاتها من وعد ووعيد وأوامر ونواهى بل كان يلزم تجويز أن يكون القرآن كله كذلك وكذلك كتب الله الى جميع الرسل كلها لانه لاقبح فى ذلك الا عدم معرفة معناه وهم ادعوا معرفة معناه فاذا كانوا يدعون معرفة مراد الله تعالى بالحرف المقطوع والحرفين والثلاثة والاربعة الى العشرة وزيادة عليها جاز فى أكثر من ذلك ولا حاصر ولا حاجر

(الوجه الثالث عشر) انه كان يلزم أن يفهم مثل هذا عن غير الله تعالى فيخاطب العقلاء بذلك ولاينكر على من دخل على قوم أن يكون أول كلامه لهم كذلك والله أعلم

(الوجه الرابع عشر) أنه يلزمهم ان يحسن من العلماء أن يصنفوا فى الحلال والحرام ويعبروا بالحروف المقطعة لانه يمكن فهم المراد منها

(الوجه الخامس عشر) انه لم يرد شىء من ذلك قط بعد الخطاب فلم يرد يا أيها الذين ا ل م كما ورد يا أيها الذين آمنوا أقيموا الصلاة فدل على انها كلام لاخطاب

(الوجه السادس عشر) وهو ما يبطل دعواهم لذلك بحجة واضحة يعبر عنها بحروف مقطعة من جنس ما فهموه عن الله تعالى فان فهموا عنا مرادنا فيها سلمنا لهم وان لم يفهموا وضح الحق فنقول فى احتجاجنا عليهم الم وكهيعص

(الوجه السابع عشر) ان ترك تفسير المتشابه أحوط لان الانسان يسأل عما قال مطلقا خصوصا فى تفسير كتاب الله تعالى مع ما ورد فيه من التشديد كما تقدم ولا يسأل عن قوله لا أعلم فيما لايعلم والوقف عند الشبهات من صفات المتقين بل من صفات العقلاء أجمعين وقد قيل اذا ترك العالم لاأدرى أصيبت مقاتله وتقدم قول على عليه السلام بابردها على الكبد: قولك فيما لاتعلم الله أعلم

(الوجه الثامن عشر) أن تأويل المتشابه من التكلف وقد قال عمر فى الاب ما قال كما هو فى الكشاف وغيره ولم ينكر على عمر أحد فكيف بالمتشابه وقد قال الله تعالى فى صفة نبيه صلى الله عليه وسلم (وما أنا من

المتكلفين) وقال النبي صلى الله عليه وسلم وآله وسلم (هلك المتنطعون) وهم المبالغون فى الأمور

(الوجه التاسع عشر) ان التكليف بمعرفة المتشابه على التفصيل من الحرج وقد نفى الله الحرج عن الدين

(الوجه الموفى العشرين)انه لم يؤثر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه اشتغل بتعليم ذلك وقد قال الله تعالى (لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة) وكذلك الصحابة لم يبحثوا عن ذلك وهم خير أمة أخرجت للناس

(الوجه الحادى والعشرون) انا لو عرفنا معانى تلك الحروف كما ادعى بعض المفسرين انها اسماء للسور أو اشارة الى اسماء الله تعالى لكانت مع ذلك مجملة لحذف التركيب منها فانك اذا نطقت باسماء معروفة من غير التركيب لم تفد كمالو سردت نحو زيد . خالد . بكر . محمد . عبدالله والله أعلم

(الوجه الثاني والعشرون) ان الراسخين فى العلم أرفع درجة من العلماء غير الراسخين ولو تحقق أحد انه من العلماء على قلتهم لم يتحقق انه من الراسخين واذا سلمنا أن الراسخين هم الذين فسروها لا الذين توقفوا فى معانيها فان المفسرين لها اختلفوا اختلافا شديدا ومع اختلافهم وقع الاشتباه على غيرهم خصوصا حيث يتعذر الجمع ولم يرد التعبد بالتقليد فى غير العمليات بل ورد النهى عنه وذم من عمل بغير علم وقال الله تعالى (ولا تقف ماليس لك به علم) وقال تعالى (وان تقولوا على الله مالا تعلمون) فيكون الاحوط فى غير الراسخين مع تقدير اختلافهم ترك الخوض

فى ذلك سواء قدرنا أن الراسخين معطوفون على الله تعالى أولا، وأقل من هذا يكفى المنصف، وأكثر منه لا يكفى المتعسف وهذا منتهى ما حضرني من الكلام فى هذه الآية الكريمة من غير تطويل بذكر الاسئلة والمناقضات والمعارضات * فاذا تقرر هذا فاعلم ان المتشابه يطلق على معنيين لغوى وشرعى : أما اللغوى فهو مالا يمكن فهم المراد منه وهو المسمى بالمجمل فى أصول الفقه . وقد يكون فى مفرد بالاضافة كالقرء للطهر والحيض، والمختار اسم فاعل واسم مفعول، وفى مركب مثل (أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح) وقد استوعبت الاصوليون اقسامه وجوده المحققون منهم الكلام فيه وليس مما نحن فيه

(القسم الثاني من المتشابه الشرعى) وهو مالا تتضح فى العقل حكمته أو صحته أو معناه كالحروف فى أوائل السور فهذا نوعان :

(النوع الاول) مالم تتضح فى العقل الحكمة فيه فى مثل خلق من المعلوم انه لا يؤمن وهو أدق المتشابه ولذلك سألت عنه الملائكة وما حصلوا فى هذه المسألة الا على العلم الجلى وكثرة المتشابه فى هذا النوع هو سبب الاضطراب العظيم فى مسألة التحسين والتقبيح وتفرع عنها الكلام فى أفعال العباد وأجمع الكل من الشيعة والمعتزلة وطوائف الاشعرية الأربعة على أن العبد فاعل مختار وهذا غريب لا يكاد يصدقه الواقف عليه ويبادر الى تكذيب راويه حتي يبحث البحث التام فيأخذ تحقيق المذاهب من كلام محققى أئمتهم وحوافل مصنفاتهم ومع غرابته قد نص عليه السيد صاحب شرح الاصول فى أوائل الفصل الثاني فى العدل فى الكلام علي التحسين والتقبيح وقال فيه ما لفظه وبعد فلا

خلاف بيننا وبينكم فى ان هذه التصرفات محتاجة الينا ومتعلقة بنا وانا مختارون فيها وانما الخلاف فى جهة التعلق أكسب أم حدوث هذا نصه بحروفه ، وقد جمعت هذه المسئلة ولخصتها فى سنين عديدة وجمعت فيها مصنفاً مفرداً وبان لى انه لا يوجد جبرى محقق إلا ان تكون فرقة شاذة كالمطرفية والحسينية من الزيدية ونادرا كالرازى وحده فى احد قوليه وقد رجع عنه فى نهاية العقول وفى وصيته التي مات عليها أو عامى لايدرى كالمشبه من عوام الزيدية والمعتزلة وبهذا تظهر قوة مذهب اهل البيت واتباعهم * وانما الكلام فى كفر من صح عنه محض الجبر مع اجماع الكل على تضليله بل فى الاشعرية من يكفر الجبرية ومن هذا النوع يجب الايمان بالقدر خيره وشره مع التنزه عن الجبر ونفى الاختيار وكذلك الايمان بقدرة الله تعالى على هداية الخلق اجمعين لو شاء ذلك كما صرح به القرآن فى غير آية اختيارا منهم وقهرا لهم مع اعتقاد ان الله لا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر وانه يكره المعاصى قال الله تعالى (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) ولتحقيق الكلام فيه موضع غير هذا ومن مظانه العواصم فقد أوضحت فيه نصوص القرآن والسنة ونصوص قدماء العترة وكثير من متأخريهم وحجة المعقول على ذلك

(النوع الثاني) من المتشابه مالم تتضح فى العقل صحته ولا أمكنه تصوره وهو قسمان . القسم الاول ما يتعلق بذات الله وصفاته وهو من مجارات العقول وليس فيه أنجى من اتباع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وترك التخيل لتشبيه الرب جل جلاله بشيء من المحسوس والموهوم

والمعقول وقد أوضح نهج السلامة فيه امير المؤمنين على بن ابي طالب عليه السلام فروى أبو طالب عليه السلام باسناده المتقدم فى تفسير الراسخين ان رجلا سأل امير المؤمنين عليا عليه السلام فى مسجد الكوفة فقال له يا امير المؤمنين هل تصف لنا ربنا فنزداد له حبا وبه معرفة فغضب على عليه السلام ونادى :الصلاة جامعة ،فاجتمع الناس حتى غص المسجد باهله ثم صعد المنبر وهو مغضب متغير اللون فحمد الله واثني عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم سرد خطبته عليهم الى قوله يا ايها السائل اعقل ما سألتنى عنه ولا تسألن احدا عنه بعدى فاني أكفيك مؤنة الطلب وشدة التعمق فى المذهب فكيف بوصف الذي سألتني عنه وهو الذي عجزت الملائكة مع قربهم من كرسى كرامته وطول ولههم اليه وتعظيم جلال عزته وقربهم من غيب ملكوت قدرته ان يعلموا من علمهم الا ما علمهم وهم من ملكوت القدس بحيث هم ومن معرفته على مافطرهم عليه فقالوا (سبحانك لاعلم لنا إلا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم) فعليك أيها السائل بما دل عليه القرآن من صفته وتقدمك فيه الرسل بينك وبين معرفته فائتم به واستضىء بنور هدايته فانما هى نعمة وحكمة أوتيتها فخذ ما أوتيت وكن من الشاكرين وما كلفك الشيطان علمه مما ليس عليك فى الكتاب فرضه ولا فى سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا عن أئمة الهدى أثره فكل علمه الى الله تعالى فانه منتهى حق الله تعالى عليك وقال على عليه السلام فى وصيته لولده الحسن عليه السلام وهى خير وصية من خير موص الى خير موصى اليه ،ودع القول فيما لا تعرف والنظر فيما لم تكلف وأمسك عن طريق اذا خفت ضلالته فان

الوقوف عند حيرة الطريق يكون خيرا من ركوب الأهوال فقد أوصى عليه السلام بالرجوع الى القرآن وقد دل على ذلك مالا يحصى من برهان وقد مدح الله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأخبرنا ان فى كتابه آيات محكمات ومتشابهات فنظرنا الى ما أجمعت الأمة على إحكامه من صفات ربنا جل جلاله فوجدناها قد أجمعت على قوله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) فعقدنا على ذلك عقائدنا وضمناه ضمائرنا وطوينا عليه طوايانا وعلمنا أن ماناقض معناها ظاهرا فهو من المتشابه الذى يجب علينا الايمان بتنزيله والوقوف عما لانعلمه من تأويله (القسم الثانى) من المتشابه المتعلق بافعاله بالنظر الى صحته وهو أسهل المتشابه وأقله خطرا بل لاخطر فيه لان الايمان به من جملة الايمان بقدرة الله تعالى وهو انواع

(النوع الاول) إحياء الموتي وهو أشبه شيء بخلق الحياة فى الجماد الذى هو النوع الثاني : وانما كان أشبه شيء به لان الميت بعد الموت لايسمى بعد البلى فى التراب جمادا وأجمع المسلمون على كفر من شك فى صحة هذا من الملاحدة وعلى كفر من أظهر الايمان به وادعى انه مجاز من الباطنية الذين جحدوا حياة الاجساد فى الآخرة وقد أراد الله اكرام خليله ابراهيم عليه السلام باخراج ايمانه من هذا من الغيب الى الشهادة وجعل سبب هذه الكرامة خطور خاطر أوجب السؤال لربه جل وعلا فقال عليه السلام (رب أرني كيف تحيي الموتي قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم

ان الله عزيز حكيم) وقال تعالى قبل هذه الآية في هذا المعنى (او كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال اني يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم ان الله على كل شيء قدير) فمن كفر لعدم ايمانه باحياء الموتي فانما كان سبب كفره ومتابعته لمجرد استبعاد العقل لذلك وقد رد الله تعالى هذا الاستبعاد بقوله جل وعلا (أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) الى قوله (انما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون) وقال تعالى فى ذلك (وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر فى صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم اول مرة) وهذه أقصم آيات لظهور أهل الريب ومن هنا أنكرت طائفة من المبتدعة عذاب القبر لمجموع علمين عندهم نظرى وضرورى تجريبي، أما النظرى فهذه المسألة، وأما الضرورى التجريبي فوجدناهم على طول التجارب عظاما بالية وقد تطابق السمع على رد ذلك وصدعت به النصوص الصريحة الصحيحة، وذكر ذلك فى هذا الموضع مما يؤدى الى التطويل

(النوع الثانى) وقوع بعض خصائص الاحياء من الجمادات من غير

بنية مخصوصة من لحمية ودمية حتى يصح منها الكلام وذكر الله تعالى والاقرار به والسجود له وهذا فى القرآن كثير جدا وجمهور المسلمين على الايمان به ومن أوضح أدلتهم ان الله موصوف بالحياة من غير هذه البنية المخصوصة فكيف يستحيل بعض خصائص الحياة فى غير الاحياء وانما خالف بعضهم فى ذلك لاجل القرينة العقلية فجعلوا قول الله عز وجل فى السموات والارض (قالتا أتينا طائعين) مثل قول الشاعر :

فقالت له العينان سمعا وطاعة   وحدرتا كالدر لم يتثقب

وقد غفلوا فى هذه غفلة عظيمة فان الشرط فى قرينة المجاز ان تكون متقررة عند من وجه الخطاب اليه معلوما عنده بطلان ظاهر الكلام كما فى قولك فى وصف الكريم انه بحر عذب او مزن ثجاج بحيث لا يرتاب فى ذلك السامع لكن الكلام اذا صدر ممن يعلم مالا يعلمه ويقدر على مالا يقدر عليه وقد جربنا خرق العادات من جهته وعقدنا ضمائرنا على الايمان بما لا نحتمله عقولنا من اخباره حتى صدقناه فى خروج العالم من العدم وثبوت موجود لا اول لوجوده من القدم وحياة الموتى وثبوت الدار الآخرة فهنا لك تنهد القرينة العقلية ولا تماسك ضعفا فى مقام الآى القرآنية وان كانت فى سائر الكلام قوية او ضرورية ومثال ذلك أنا إذا سمعنا قول الشاعر :

شكى الى جملى طول السرى * ياجملى ليس الى المشتكى

لم نشك فى انه أراد المجاز بقرينة الحال وهو شكى وباقى ذلك ولذلك لم تخف على العقلاء مقاصد الشعراء والبلغاء ولا استراب

فيها ذكى ولا غبي واما حين سمعنا قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان هذا الجمل شكى الى انك تجيعه وتؤذيه فانها تتبادر أفهامنا الى الايمان بظاهره ولو انا عددنا هذا وامثاله من حنين الجذع وتسبيح الحصي وكلام الذراع على المجاز لادى هذا الى الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحاشا مقامه العزيز من ذلك لان كلام هذه الاشياء المجازى ممكن حتي مع الكفار قالوا العلم بعدم حياة الجمادات ضرورى قلنا مسلم وهو غير محل النزاع فانا نعلم الآن انها جماد وانما النزاع فى ان العقل هل له طريق الى القطع بان الله تعالى لايدخل فى مقدوره حياتها فى بعض الاوقات متى شاء وهى على صفتها او صدور بعض خصائص الاحياء عنها وهى جماد وهذا لايناقض علمنا بانها الآن جماد ودليل عدم التناقض فى ذلك ان الجميع يقر أن الله تعالى قادر على اعدام الأجساد او تحويل الحجارة ذهبا وفضة ودرا وياقوتا الى القرسة [1] العليا المدركة بالبصر ومع علمنا بقدرته تعالى على ذلك فانه اذا دخل بمنزله او غمض عينه يعلم ان الدنيا باقية على حالها وان الله لم يعدمها ولا حول ذاتها فمتعلق العلم ماهى عليه الآن ومتعلق التجويز القدرة فكذلك مسألتنا وكذلك العلم بانه لايصح صدور الكلام عنها بل فهم أن يكون ضروريا وان لايكون مقدور لله وهم لايخالفون فيه وهما فى العقل سواء

لكنهم لما صح لهم ورود السمع فى خلق الكلام على وجه لا يصح تأويله حكموا أو بعضهم بان مايتوهم علما ضروريا فى مسئلة الكلام

(١) القرسه هكذا فى ثلاث نسخ خطية ولم أجدها فى القاموس فلتراجع اه مصححه

من العقائد الوهمية الانتقادية والقطع فى مسئلة الحياة مثله سواء [١]
وسيأتي بيان ان هذه الامور أو بعضها غير وارد على طريق المعجز
لعدم قصد التصديق فى دعوى النبوة وعلم الغير بوقوعها إلا من اخبار
الانبياء عليهم السلام كما يقول فى رؤية الخليل عليه السلام لاحياء
الموتي ونحو ذلك مما يجرى له قبل النبوة على ان الحق جواز خرق
العادات لغير الانبياء عليهم السلام كما هو مبين فى موضعه والله سبحانه
أعلم * سلمنا ان الحياة غير منقسمة وانه لاحياة إلا فى بنية مخصوصة مثل
بنية هذه الحيوانات فما المانع من أن الله تعالى يحيي السموات والارض
وكل شيء ويجعل ذلك كله على هذه البنية ويصدر منه التسبيح الحقيقى
فى وقت لا نعلمه أو فى أوقات كثيرة لانعلمها أو فى الآخرة أو قد فعل
ذلك فيما مضى قبل وجودنا وهذا ممكن عند جميع اهل الاسلام من اهل
السنة والبدعة والجمود والكلام ويمكن ان يحمل عليه سائر الآيات
الواردة فى ذلك كما يأتي الآن ذكرها وذلك مع امكانه متعين لان
المجاز خلاف الاصل الظاهر ولا يحل المصير اليه مع امكان الحقيقة
وفى ذلك صون جلالة التنزيل من تجرؤ كل فرقة على مستبعد التأويل
بادني شبهة يتوهمون انها تستحق اسم الدليل فاين خصائص النبوة وما
فائدة الاخبار بالمجاز الذى يمكن كل واحد ان يخبر بمثله فان اجازوا
كلام الجماد من غير آلة ولا بنية فليجيزوا خلق الحياة فيه من غير بنية
فان الجميع على خلاف المعقول ذا حيرة * ولما بلغ الخوض فى هذه المسئلة
الى مولانا امير المؤمنين وسيد المسلمين المنصور بالله عليه السلام أحيا

(١) هكذا فى ثلاث نسخ الكتاب الخطية وهى فى غاية الركة فلتحرر اهـ مصححه

الله بعلمه السنن واطفأ بسيفه الفتن أنكرها انكار السلف الصالح الذين لم يشب صفو ايمانهم كدر البدع ولا خالط يقينهم مرض الريب فانه عليه السلام اشبه الأئمة بالسلف هديا ودلا وفعلا وقولا وعلما واعتقاداً وجهادا واجتهادا وكان مما احتج به عليه السلام قول الله سبحانه (يومئذ تحدث اخبارها بان ربك أوحى لها) فيا لها من حجة نافعة لمن أنصف ،قاطعة لمن تعسف، لوجوه (الاول) انه الظاهر ولا يجوز العدول عن الظاهر إلا بدليل مانع منه باجماع المسلمين ولو جاز العدول الى المجاز بمجرد الاستحسان مع جواز الحقيقة لصح مذهب الباطنية وامثالهم ولم يوثق لله سبحانه وتعالى بخبر ألبتة والعجب من الزمخشرى انه اختار ان التحديث منها والا يحاء اليها مجاز ثم روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يناقض قوله ولم يقدح فى صحة الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ان مقتضاه قول لغيره واختيار غيره اختياره من غير رد عليهم فما اعجب ماصنع فان كانت الحقيقة عنده جائزة غير مستحيلة فما يسوغ له صرف كلام الله عز وجل عن حقائقه ولا يحل له تقديم رأيه على صوادع القرآن ونواطقه. وان كان الظاهر عنده من المحالات بالادلة العقلية القاطعة فما يحل له ان ينسب الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قول المحال الذى نزه عنه نفسه ثم لا يزيفه لان القول بوجود ذلك عنده كذب وزور بالادلة القطعية وجدير ان لا تسود له تفاسير الكتب الربانية وهذه طريقة الزمخشرى فى كثير من تفاسيره وله بالمجاز ولع كثير حتى انه ذكر ان خلق الله عز وجل للخلق مجاز وان الحقيقة انما هي فى خلق احدنا الاديم ونحوه

ذكره فى اساس البلاغة وهذا يقتضى ان تسمية الله تعالى بالخالق مجاز يجوز نفيه عنه بغير قرينة ويكون الحق وصف الله بانه غير خالق على التحقيق وانما الخالق الحق من لاأحب ذكره هنا من صناع الجلود وهو الذى يوصف بذلك حقيقة فاعرض هذا على قول الله تعالى (هل من خالق غير الله) وعلى مايسبق الى افهام أهل اللغة عند الاطلاق الذى هو اخص اوصاف الحقائق ، ومنتهى الامران يكون ما ذكره هو الاصل فى الحقيقة اللغوية فقد صار الخالق يطلق على الله تعالى فى الحقيقة العرفية بل فى الحقيقة الشرعية وهى أقدم الحقائق وكلتاهما مقدم على الحقيقة اللغوية كما هو مقرر فى علم اصول الفقه والخالق من الاسماء الحسنى وحيث يراد به ايجاد الاجسام ونحوها واخراجها من العدم المحض يكون مختصا بالرب سبحانه وعليه قول الله تعالى (هل من خالق غير الله) وحيث يراد به تصويرها وتركيبها واحكامها وتقديرها يكون سبحانه أحسن الخالقين ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء ، والاحكام وحسن التقدير والتصوير من آثار العلم باتفاق العلماء ولذلك كان دليلا على علم الله سبحانه وعلم العباد فى علمه كما قال الخضر لموسى عليه السلام (ما علمي وعلمك وعلم جميع العالمين فى علم الله الا مثل ما اخذ هذا العصفور بمنقاره من هذا البحر) فالله المستعان

(الوجه الثاني) ان قوله تعالى (بان ربك أوحى لها) مانع من ذلك وقد أقر بما يقتضى ذلك فى كشافه فقال ان الباء متعلقة بتحدث معناه اخبارها بسبب ايحاء ربك لها وامره اياها بالتحديث هذا لفظه ثم زعم ان الوحي مجاز محتجا بقول الشاعر :

أوحى لها القرار فاستقرت * وشدها بالراسيات الثبت

ونسى ما تقرر فى العلم الذى هو صنعته من وجوب تقرر القرينة عند من خوطب حتى لا يكون المتكلم ملغزا ولا ماجنا ولا لاعبا عابثا تعالى الله عن ذلك ولا حجة له فى البيت لان الشاعر ان كان مسلما يجوز انه قد سمع قوله تعالى (قالتا أتينا طائعين وقوله بان ربك أوحى لها وقوله انما أمره اذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون) ونحو ذلك وجاز ان يريد الحقيقة لان فى فرق المسلمين من يقول بذلك وفى فطر الاكثرين ممن لم يتلقن الكلام، وان كان كافرا من كفرة العرب جاز ان يقول ذلك مستندا الى ماسمعه من بعض أهل الكتب الأولى ومن البعيد أن يكون هذا الشاعر معتزليا من علماء الكلام او فلسفيا من متخذى لغة اليونان ولو سلمنا انه ما أراد الحقيقة فبقرينة ظنية غير سالمة من المعارضة ،ولو سلمنا القطع بأنه متجوز هنا لم يلزم القطع فى الآية بمثله فان كلام رب العزة جل جلاله الذى يعلم مالا يعلمه أحد ويقدر على مالا يقدر عليه أحد يحمل على الحقيقة فى الأمور الممكنات فى قدرة الرب جل وعز ولا يصح كلام الباطنية فى أن القيامة مجاز وحياة أهل الجنة والنار كذلك بل كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كذلك الا ترى انا متى سمعنا قوله عليه السلام ــ ان هذا الجمل شكى الى حملناه على ظاهره كما مضى بخلاف قول الشاعر على ان كون الأشارة الى البهيمة يسمى وحيا من قبيل المجاز دعوى منه والظاهر أن الوحى لفظة مشتركة بين معان على الحقيقة حيث هى الاصل ولا يثبت المجاز الا بدليل فبطل

ما عول عليه من الحجة ، يوضحه ان الوحى الذى فى قول الشاعر هو الى حيوان له الهام الى الاشارات والوحى الى الارض ليس من هذا و لا يصح فيها مثل هذا عنده فكيف يحتج على الشيء بما لايلائمه ولا يقاربه الى هنا

الوجه الثالث : ان دار الآخرة محل وقوع الخوارق وتقلب العوائد وفيها تتكلم الأيدى والأرجل والجلود والمقصود بما تقع به الاخبار من أحوالها فى كتاب الله تعالى المنبه على العباد بتعريف مالا يعرفونه وتحقيق ما يوعدونه، وحمل ذلك على المجاز عكس لهذه الحكمة الربانية والدلالة على رب العزة جل جلاله فى آياته الفرقانية ،وتشكيك على المؤمنين فى قبول ظواهر الأخبار القرآنية من غير دلالة قطعية وهذا خطر جليل، وخبط كثير غير قليل،واذا كان القصد بتفسير كتاب الله والنظر فى مراد الله هو التقرب الى الله فمالنا والتعرض لمثل هذه الاخطار، والتقديم لبادىء الرأى على ظاهر خبر الله الذى هو أصدق الأخبار،ولما رأيت ما وهب الله تعالى لمولانا أمير المؤمنين من قوة الايمان واليقين والثبوت على مناهج السلف السابقين اثار منى كامنا وحرك ساكنا فأحببت ان أتلو بعد هذه الحجة القاطعة والآية الساطعة ما حضرنى مما يقوى معناها فمن ذلك قوله سبحانه (وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله) وقوله (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا) وقوله تعالى (تسبح له السموات السبع والارض

ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم)
وقوله فى هذه الآية الكريمة (ومن فيهن) مانع واضح من تأويل
الزمخشري لتسبيح السموات والارض بالمجاز لأن تسبيحهم حقيقى
وتسبيحهن مجازى وقد اعترف أن الكلمة الواحدة لاتكون حقيقة
ومجازا فى حال واحد وقد التزم بهذا أن تسبيح المكلفين مجاز وماذا أولى
من عكسه ولا يعجز خصمه عن مثل دعواه وقد دل على ذلك أيضا قوله
تعالى (ولكن لاتفقهون تسبيحهم) لكنه قد تمحل وتكلف تأويل ذلك
بما لو صح له مثله لم يعجز أحد من الملاحدة عن تأويل نصوص القرآن
على المفساد بمثل ذلك ، ومن العجب ارتكاب مثل هذا فى كلام الله
وتجويزه من غير ضرورة فان ذلك متى صح لم يؤد الى تشبيه ولاجبر
ولا نقص على الله تعالى ولا تكذيب له ومع ما فى تجويز ذلك من
المفسدة الكبرى وهى تصحيح دعاوى التاويلات الباطلة والنادرة
وهذا يوهن كون القرآن حجة نيرة وحكما عادلا بين المختلفين الى يوم
القيامة لانه لا يكون كذلك بلفظه بل بمعناه فيجب أن يكون معناه
مصونا عن قبول مثل هذه الدعاوى فيه والا بطلت الحجة فيه وادعى
كل ماشاء فى معانيه والله المستعان وقوله (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن
والطير) وقوله (ولقد آتينا داود منا فضلا ياجبال اوبي معه والطير) وقوله
(قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له اندادا
ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها
اقواتها فى اربعة ايام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهى دخان
فقال لها وللأرض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين) ففى هذه الآية

الشريفة الرد على الجبرية لنصها على الفرق بين الطوع والكره كما هو معلوم من ضرورتي العقل والشرع وفيه الرد على من تأول قولهما اتينا طائعين بنفوذ مراد الله فيهما لوجهين(أحدهما) ان الآية مستلزمة لصحة إتيانهما على وجهين مختلفين(أحدهما) يسمى طوعا والآخر يسمى كرها وذلك لايصح الا إذا كان الاتيان فعليهما حقيقة اما إذا كان فعل الله حقيقة لم يتصور منه ذلك الانقسام بل بفعله تعالى كما قال سبحانه(انما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) ولو صح ذلك الانقسام فيه كان ذلك جوابا للجبرية

(وثانيهما) انه لو كان كذلك لم يختص بالوقت الذى عينه فى الآية فانه عطف الاستواء بثم التى تقتضى الترتيب والمهلة والقول لهما بالفاء التي تقتضى الترتيب بغير مهلة وهذا يدل على انه قال ذلك بعد خلق جزء من الأرض وبعد دحوها لا كما قال الزمخشرى انه قبل دحوها والدليل على ذلك انه نص على ان ذلك بعد خلق الجبال فيها وذلك لايتصور الا بعد الدحو وهو مقتضى الحكمة فى خلق الجنة كما جاء فى غير هذه الآية وعلى هذا فقد كان قول الأرض بعد تمام مراد الله فى خلقها فلم خصه بذلك الوقت وهو قبله اولا على تأويلهم ثم لفظ الاتيان لايناسب تأويلهم واوله الزمخشرى بالاتيان الذى يحتاج الى مبتدا مرفوع وخبر منصوب مثل صرنا طائعين فلم يطابق خصوصا على اختياره فى العربية ان جاء ونحوه لايكون فعلا ناقصا بمعنى صار فى نحو قولهم جاء البر قفيزين وقوله تعالى(لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله) وقوله(ولو أن قرآنا سيرت به الجبال او

قطعت به الأرض اوكلم به الموتي وقوله والنجم والشجر يسجدان وقوله الم تر ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب) وقوله فى هذه الآية(وكثير من الناس) دليل الحقيقة لانا لو حملنا سجود الجمادات على المجاز الذى هو نفوذ مراد الله من فعله فيها من غير اختيارها لدخل الكفار فى ذلك فان مراد الله تعالى من فعله فيهم نافذ من إمراضهم وموتهم وأمثال ذلك ويؤيده قوله تعالى فى النحل و (الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) ولو لم يكن لها فى التسخير فعل تكون به مطيعة لله تعالى لم يقل بأمره كما لا نقول ذلك فى مخلوقاته المحضة فتأمل ذلك والله أعلم * مع ان تسمية المقهور ساجدا على الاطلاق غير معروفة فى لسان العرب ولا واضح القرينة ،وقد اشترط علماء هذا اللسان وضوح القرينة ولذلك منعوا تسمية أبخر الفم أسدا لأجل اشتراكهما فى البخر وليس فى لغة العرب أن يقول سجدت لى الأرض إذا كان متمكنا من عمارتها وخرابها وزرعها ونحو ذلك ولو كان كذلك لصدق سجود كثير مما ذكر الله تعالى للمخلوقين لتمكنهم منها مثل الشجر والدواب فان قيل هذا من المعاني المتشابهة وأنتم قد منعتم الكلام فيها وهذا تناقض فالجواب ان الامر ليس كذلك لوجهين :

الوجه الأول : انا انما منعنا من تأويلها والخوض فيها بغير برهان من الايمان بها والتصديق لظاهرها حيث لاقبح فيه ولا اضافة صفة نقص الى الله تعالى

الوجه الثاني : أن التاويل له معنيان أحدهما معرفة المعني وهذا مما لا نمنعه حيث تحصل عليه دلالة تفيد العلم أو الظن بل يجب التفسير به فيما يحتاج الى معرفتـه كالقرء لأجل معرفة مقدار العدة وان كان القرء متشابها لاشتراكه بين الطهر والحيض وأمثال ذلك وفى هذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى الدعاء لابن عباس(اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل) وقال على عليه السلام فى وصيته لابنـه الحسن عليه السلام واني ابتدئك بتعليم كتاب الله تعالى وتأويله وشرائع الاسلام وأحكامه ولا أجاوز ذلك بك الى غيره ، والدليل على ما ذكرته من أن هذا التأويل الذى كان أجمع عليه السلام أن يعلمه لولده الحسن عليه السلام غير تأويل المتشابه الذى لايعلمه الا الله تعالى أمور: منها جميع ما تقدم من كلامه عليـه السلام وغيره ومنها قوله عليه السلام عقيب هذا الكلام فى هذه الوصية : ثم أشفقت أن يلتبس عليك مما اختلف الناس فيه من أهوائهم مثل ماالتبس عليهم. الى آخر كلامه وهو يدل على ان الذى عرفه على بدايته به من تعليم الكتاب وتاويله هو الفروع دون الأصول وثانيها التاويل بمعنى معرفة وجه الحكمة فى دقائق التحسين والتقبيح وماهية الأمر وحقائقه فى دقائق الجائزات والمحالات وما يمتنع على العقول تصوره من المجازات وهذا هو الذى لايعلمه الا الله دون الأول فالتاويل بهذا الوجه لايعلمـه الا الله وان علمنا معني اللفظ والدليل على ذلك نص القرآن فى قصة الخضر وموسى عليهما السلام وهو قول الخضر لموسى(سانبئك بتاويل مالم تستطع عليه صبرا) ثم انه بين له وجه الحكمة ولم يكن تاويله بما يدل على ان قتل الغلام كان مجازا أو

خرق السفينة وقع استعارة فكذلك هذا فانا نؤمن بان كلام الجمادات مع الله تعالى صحيح كما قال الله تعالى وكذلك سجودها واخبارها وسائر ماحكى الله عنها ولا ندرى بكيفية ذلك التي هى تاويله بهذا المعنى فثبت انه لايعلم تاويل المتشابه فى العقول الا الله تعالى وان علمنا الله سبحانه بخبره لنا وجود المتشابهات وقدرته عليها وآمنا بذلك فى الجملة لم نكن قد شاركناه سبحانه فيما اختص به من علم تاويلها وتفاصيل وجوه الحكمة والكيفية فيها ومما يدل على ذلك اقرارهم بوصف الله تعالى بكونه حيا حقيقة من غير بنية مخصوصة فان قالوا انما صح لكونه حيا لذاته من غير حياة قلنا إذا صح حى من دون حياة مع عدم معرفتنا لذلك ولا شبهة الجأتنا جازان تنقسم الحياة الى أنواع * بيانه ان حياة الملائكة عندهم تشترط فيها الرطوبة وعندهم أنهم لايدركون ولاتدرك رطوبة حياتهم للطفهم فيجوز فى كل جماد مثل رطوبتهم التى لاتدرك وأيضا فالأشجار ذات رطوبة وقولهم ليس لله حياة ولا علم بدعة ومناقضة فى اللغة

النوع الثالث: كلام العجماوات من الحيوانات وذكرها الله تعالى ومعرفتها به سبحانه وهو أقرب فى العقل من الاول وأصرح فى نصوص القرآن والسنة ومع ذلك فقد صرح الزمخشرى وغيره بتاويله مع تطابق دليل العقل والسمع على صحته فمن ذلك قوله تعالى (والطير صافات كل قدعلم صلاته وتسبيحه) وقوله تعالى (وان من شيء الايسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا) وقال حكاية عن سليمان عليه السلام (يا أيها الناس علمنا منطق الطير

وأوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين) وقال جل جلاله (قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مسا كنكم لا يحطمنكم سليمن وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها) وقال تعالى فى قصة الهدهد (وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به] وقال تعالى [حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء] والحجة فى أنطق كل شيء عامة فى الحيوان والجماد وقال سبحانه (اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون] وقال سبحانه [وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم] وقال سبحانه (واوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) الآية وقال تعالى فى الهدهد [فمكث غير بعيد فقال احطت بما لم تحط به وجئتك من سبا بنبا يقين إني وجدت امراة تملكهم واوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون ألله لا إله إلا هو رب العرش العظيم] وقد اشتمل كلام سليمن عليه السلام مع الهدهد على الرد على الخصوم فى قولهم ان كلام الهدهد معجز من فعل الله ولو كان كذلك ما قال سليمان سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين ولوجب القطع بصدقه لان كلامه على زعمهم

كلام الله .وعلى الرد عليهم فى قولهم ان الحيوانات لاتعقل ولو كان كذلك ما استحق الهدهد العقوبة التى توعده بها سليمن عليه السلام بقوله لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه

ووجه آخر يدل على عقله وهوقول سليمان عليه السلام أوليأتينى . بسلطان مبين فانه لايأتي بالحجة البينة إلا العقلاء أوفطناء العقلاء والله أعلم ولا وجه يقصر هذا على ذلك الهدهد لقول سليمن عليه السلام (علمنا منطق الطير) ولان قدرة الله تعالى صالحة لذلك فى كل هدهد وقد أخبر بتسبيح كل شيء وصلاة كل شيء فهذا مما ورد فى القرآن العظيم * وأما الوارد فى السنة الشريفة فمما لاسبيل الى استقصائه وقد ذكر منه الامام المهدى محمد بن المطهر عليهما السلام جملة صالحة فى تفسير قوله تعالى (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون] وما أحق المتاول للجائزات بالخوف من هذا الوعيد الشديد فذكر الامام المهدى عليه السلام كلام الحيوانات فى هذه الآية لما تعلق به من لعنها لمن لعنه الله فذكر كلام الثعلب وشعره الذى ذكره أبو طالب فى الامالى وذكر كلام البعير والعصا وكلام الضب والحمار الذى أخذ من خيبر وسؤاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن اسمه وحديث الناقة التي شهدت انها ملك لصاحبها وحديث الشجرة التى شهدت بالنبوة وذكرها على عليه السلام فى النهج وطول فى هذا قدر كراس من أشعار وأخبار وروى ذلك كله بالسماع والاسانيد وذكر القاضي عياض فى كتابه الشفاء فى التعريف بحقوق المصطفى وذلك فى ثلاثة فصول

أحدها فى الحيوانات وثانيها فى كلام الشجر وثالثها فى كلام سائر الجمادات من كتابه وهو اجمع شيء لهذا المعنى * وذكر الزمخشري طرفا من ذلك فى تفسير قوله تعالى حاكيا عن سليمان عليه السلام (يا ايها الناس علمنا منطق الطير) على سبيل الحكاية منه لما لم يصح عنده كما صح فى آية الزلزلة بعد أن صدر التفسير بمحاولة تأويلها فقال ان المنطق كل ما يصوت به فى المفيد وغير المفيد

وحكى عن العرب انها قالت نطقت الحمامة وحملهم على التحقيق دون التجوز فى نطق الحمامة مع أن تسمية ذلك نطقا لا يسبق الى الفهم الا بقرينة وهذا دليل المجاز ولم يجوز ان نطق الحمامة مجاز مثل خلق الله تعالى عنده للمخلوقات ونظائره ثم بعد هذا فلو سلم له صحة تسمية صوت الطير الذى لا يفيد نطقاً حقيقيا فانه لا يحسن من سليمن ان يخطب فى الناس بأنه علمه فان كل أحد من الناس يعلمه والذى أخبر به سليمن وضمنه الله تعالى كتابه العزيز وكلامه الجليل أمر عظيم ومعجز باهر وقد فهم الزمخشري أن تأويله هذا يبطل هذه الخصيصة ويمحوها وعلم أنه لابد من أمر خص به سليمن فعدل عن المنصوص وقال ان الذى علمه أغراضها وهذا أيضا لا يختص به سليمان فان كثيرا من الخلق يفهم كثيرا من أغراض العجماوات لاسيما من مارسها وعلى تسليم ذلك فليست الأغراض تسمى منطقا فى اللغة فدار كلامه على ان الذى علمه سليمان أمر غير المنطق فان كان الذى علمه معجزا فهلا أقر بانه المنطق الظاهر من غير تأويل، وان كان غير معجز لم يستحق التعظيم الكثير والتنويه بذكره فى قول سليمان (يا أيها الناس علمنا منطق الطير) ثم بتضمين الله

تعالى له فى أعز كتبه المنزلة وآيه المكرمة ثم بعد قليل غص بريقه فى قوله (قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمن وجنوده وهم لايشعرون فتبسم ضاحكا من قولها) فاضطر الى الاقرار بظاهرها حتي قال ان إعجابه وضحكه كان مما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وعلى شهرة حاله وحالهم فى باب التقوى وذلك قولها وهم لايشعرون يعنى لو شعروا لم يفعلوا انتهى كلامه وفيه مع الاقرار بنطقها الاعتراف بعقلها وفهمها لمكان نبوة سليمان وعدله الذى لم يهتد اليه كثير من عقلاء الناس بل من المدعين للتبريز فى علم المعقولات من الفلاسفة واشباههم فياهذا ان كان مثل هذا جائزا عندك داخلا فى مقدور الله فما أحل لك تأويل [علمنا منطق الطير] واوجب عليك الايمان بكلام النملة وان كان هذا الجنس عندك من المحال فكيف صح عندك الايمان به فى هذه الآية وحدها وإن كان هذا تفسير المسمى بالعلامة المشهود له فى علوم المعاني والبيان بالامامة وهو كذلك فى هذا الفن فكلمة الحق لانجحدها ولانحسده عليها فما ظنك بكثير من المفسرين الذين لم يعضوا على هذا العلم بناجذ قاطع ولاحظوا من الاتقان له بطرف صالح فما أحق الناظر فى كتاب الله تعالى بعدم الاتكال على تقليد الرجال أو على الترك لما لايعرفه والاقتصار على الايمان به والتلاوة وليتدبر جلالة التعبير وليعلم انها مرتبة تقارب مرتبة النبوة لأن مرتبة النبوة التبليغ عن الله تعالى لكلامه ولا شك أن معظم المقصود من كلام الله معناه فالمفسر له كالمبلغ عن الله سبحانه فاعتذارهم بان هذا معجز مردود بامور

أحدها انهم انما منعوا من قبل المعجز لغير الأنبياء وهذا المنع غير صحيح وتقريره فى غير هذا الموضع وعلى تسليمه فليس القصد هنا فهم غير الأنبياء لذلك انما القصد علم الله ومن شاء من ملائكته لدلك وكون ذلك مقدورا لله متى شاء

الثاني أن شرط المعجز أن يقصد به تصديق مدعى النبوة وكون النبوة فى دعواه والا كانت كرامات الأنبياء والأولياء والملائكة وما يظهر على أيدى الرجال كلها معجزات مثاله رؤية الخليل عليه السلام لاحياء الموتي وللكوت السموات والأرض ليكون من الموقنين لاتسمى معجزة لأن القصد بها تقوية ايمانه وشرط المعجز علم غير الأنبياء من غير خبرهم وكثير من هذه الاشياء لم تكشف إلا لهم خاصة وهذه كرامة لهم لامعجزة ونظيره ما يجرى لهم قبل النبوة وبعد الموت فى حال الخلوة

الثالث : أن كلامنا إنما هو فى تأويل قوله تعالى علمنا منطق الطير وإنما تأولوها من غير موجب والفرق بينها وبين كلام النملة بكون كلام النملة معجزا غير صحيح لجواز أن يكون تعليم منطق الطير معجزا أيضا وكذلك كلام الهدهد وان كان منعهم من أن يكون عاقلا فلا استحالة فى جميع ذلك فى قدرة الله ولا فى بعضه فليس فهم مقاصد الكلام يستلزم العقل كما لم يستلزم ذلك فهمها الاشارات وفهم الصبيان ذلك قبل البلوغ والله اعلم

وفى قصة الهدهد مايدل على انه عاقل لأنه علم بوعده بالعقوبة وما يدل على انه متكلم باختياره لانه قال له سننظر أصدقت ام كنت من

الكاذبين ولو كان كلامه معجزا لكان من فعل الله ولوجب صدقه ولم يكن محتاجا الى امتحانه ولم اقصد بالتطويل فى هذا نقيصة عالم وانما قصدت ان يكون تالى كتاب الله تعالى عارفا بما اشتملت عليه التفاسير من الحشو الكثير حذرا من البدع يقظا فيما يحتاج الى النظر لا يتبع كل ناعق ولا ينقاد لكل سائق والله عند لسان كل ناطق وقلبه ونيته والدين النصيحة لله تعالى ولكتابه ولائمة المسلمين وعامتهم والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله

﴿ فصل ﴾

﴿ فى الاشارة الى ما يعرف به المجاز من الحقيقة ﴾

اعلم ان اللغات بأسرها ما وضعت إلا لبيان المقاصد وإيضاحها وان المجاز لو صح على الإطلاق من غير شرط ولا دليل عليه لبطلت الفوائد المأخوذة من الكتاب والسنة بل لبطل فهم بعضنا من بعض وإذا أردت ان تعلم ان الامر فى ذلك غير ملتبس لولا الاهواء والعصبيات فانظر الى اشعار الفصحاء وخطب البلغاء كيف يبين فيها المجاز من الحقيقة من غير لبس فكيف يقع اللبس الشديد فى كلام المعصوم من التلبيس على المخلوقين المبعوث رحمة للعالمين صلى الله عليه وآله وسلم بل فى كلام الله جل جلاله الذى جعله شفاء لما فى الصدور ونورا لا يطفأ إذا طفىء كل نور فقد وصفه الله اصدق الواصفين بما يجزى الصادين عنه والمتشككين من الاحكام والفصل والفرقان والنور والهدى والتبيين، والعقل يدرك هذا لو لم يرد منصوصا فى القرآن المبين *

فاذا عرفت هذا فاعلم ان شرط الحسن فى المجاز ان يكون معلوما عنـد السامعين غير ملتبس بمقاصـد المتخاطبين الا ترى انه لايلتبس المجاز فى قوله تعالى (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) ولا الحقيقة فى قوله تعالى (ولاطائر يطير بجناحيه) وقوله تعالى (أولى أجنحة) وكذلك لاتخفى عليك فى قوله تعالى (إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) وعدم التجوز فى قوله (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) وكذلك لايخفى التجوز فى قوله (فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض) ولا الحقيقة فى قوله (ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها) او امثال ذلك مما لاحاجة الى استقصائه من غير تعلم لعلوم المعاني والبيان ولا تقليد لعلماء هذا الشان بل لبقاء سامع هذه النصوص على الفطرة وعدم ثبوت الفهم السليم بما يعمى عن البصيرة ويورث الحيرة فهذا الأصل هو المعتمد عليه الجلى ولذلك يفرق العامة بين قولك زيد اسد وبين قولك من غير قرينـة ان الأسد عدا على الناس ومتي قال القائل دخلت على الملك ورايت البلاد فى يده لم يشك من لم يسمع بعلم المعاني انه مجاز ومتي قال دخلت على الملك فرايت كتابا فى يده او سيفاً او خاتماً لم يشك المبرز فى علم المعاني انه عني الحقيقة بل الباطنية الغلاة الذين يزعمون ان كل الكلام مجاز مضطرون الى سلوك الجادة التى عليها العامة والا لما وجدوا الى فهم كلام أئمتهم ودعاتهم سبيلاً ألبتة فاذا تطلعت الى معرفة ما لخصه علماء المعـــاني فى هذا فهو البناء على الحقيقة الا عند وضوح إحدى القرائن وهى ثلاثة لارابع لها

احداها العقلية وهى ما يعلم المتخاطبون استحالة ظاهره من غير كلفة

مثل قولهم ان البلاد فى إيدى الملوك وان الكلام الحسن الترصيف دررا منظوم من الملاحة فى سلوك ومنه تسمية الشجعان بالأسود السود والكرماء بغيث الوفود ومنه واسأل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها أى أهلها

ثانيها القرينة العرفية وهى ماجاز فى العقل وامتنع فى العرف مثل مباشرة الملوك الكبار لبعض الأعمال تقول عمر الخليفة بني دارا أى أمر بذلك ومنه قوله تعالى حكاية عن فرعون (ياهامان ابن لى صرحاً) أى مر من يبنى

ثالثها القرينة اللفظية كقول الشاعر :

لدى أسد شاكى السلاح مقذف * له لبد أظفاره لم تقلم

فقوله شاكى السلاح قرينة لفظية تدل على أن الممدوح رجل شجاع لاسبع وذلك كثير ومنه قوله تعالى (الله نور السموات والأرض) أى منورهما بدليل قوله تعالى (مثل نوره) لان اضافة النور اليه تدل على انه رب النور وخالقه وأراد بالنور هنا نور العلم والهدى بدليل قوله (يهدى الله لنوره من يشاء) وقد تكون منفصلة فى العموم والخصوص كقوله (الأخلاء بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) فى بيان المراد من قوله تعالى [فى يوم لابيع فيه ولا خلة ولا شفاعة] فهذا فى بيان المراد من نفى الخلة وانه عن غير المتقين وكذلك قد ورد ما يبين ان نفى الشفاعة غير عام وذلك قوله تعالى [من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه] وقوله [ونسوق المجرمين الى جهنم وردا لايملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا] وغير ذلك وقد تكون قرينة التخصيص

فى كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما فى تخصيص الحائض بتحريم الصلاة مع عموم الامر بها فى عمومات القرآن والسنة وتخصيص مالا تجب فيه الزكاة من الاموال مع عموم (خذ من اموالهم صدقة) وفى الحديث (لا يأتي رجل مترف متك على اريكته يقول الا اعرف إلا هذا القرآن فما أحله أحللته وما حرمه حرمته ألا وانى وتيت القرآن ومثله معه الا وان الله حرم كل ذى ناب من السباع ومخلب من الطير) وهذا مخصص ومبين لقوله تعالى (قل لا اجد فيما اوحى الى محرماً على طاعم يطعمه) الآية فينبغى لحامل كتاب الله تعالى ان يستكمل العلم بمعرفة السنة فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو وأنزلنا إليك الذكر المبين لما اجمل من القرآن قال تعالى (لتبين للناس ما نزل اليهم) وقال تعالى (وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) والحمد لله رب العالمين أكمل الحمد وافضله كما يحب ربنا ويرضى وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون من يومنا هذا الى يوم الدين — قال فى الام انتهى زبر هذا الكتاب ضحى يوم الاحد شهر شوال سنة ١١٢٩ من هجرة خير المرسلين بخط مالكه الفقير الى الله تعالى السائل من وقف عليه الدعاء بحسن ختامه على بن إسماعيل خطيه لطف الله به

فهرس كتاب ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان

صحيفة

٢ سند الكتاب ونبذة من ترجمة مؤلفه
٧ خطبة الكتاب للمؤلف
١٠ التنبيه على عظم قدر القرآن الشريف
١٢ مقارنة فى تحقيق رجحان أسلوب القرآن
١٤ و ١٥ إدراك العجماوات وميزات القرآن الكريم
١٧ كفاية القرآن فى البرهنة على عقائد التوحيد
٢١ بيان أن القرآن أساس لاستنباط الأدلة العقلية
٢٤ كراهة أهل البيت رضى الله عنهم التغالى فى علم الكلام
٢٦ المؤيد بالله يمنع الخوض فى مباحث الكلام الدقيقة
٢٩ بيان أن النزاع فى الأمور الدينية مؤد الى الفشل
٣٢ مقدار حرص آل البيت على حفظ الدين
٣٣ شعر العلامتين (ابن المفضل وابن حيدان) فى ذم المعتزلة
٣٦ قصيدة المتوكل على الله المزلزلة لأعضاد المعتزلة
٣٩ قصيدة فى اظهار أسرار الاله فى عجائب مخلوقاته
٤٠ القصيدة المنتخبة فى ذم المعتزلة
٤٣ ما فعله السيد عبد القادر الجيلانى مع الامام الرازى
٤٤ البرهان على أن الأجمال فى التوحيد هو القدر الواجب
٤٩ حكاية الرب الجليل لبرهان الهدهد على التوحيد
٥٠ عذوبة شعر سيدنا زيد بن عمر بن نفيل فى التوحيد
٥٣ النصوص الشرعية على ترك المجادلة فى الدين القيم
٥٤ بيان أن من بلغ الحد فى اللجاج لا تنفع معه المناظرة
٥٨ العلامة الزمخشرى يثبت التوسل بكتاب الله وسنة رسوله
٦١ التحذير من الغرور بالمتصولحين من ذئاب الناس
٦٤ آداب المتخاصمين وما ينبغى للحكم بينهما

صحيفه

٦٩ الكلام فيما تأتى له اللام من المعانى
٧١ الكلام فى صيغ عموم السلب وسلب العموم
٧٥ الكلام فى ترجيح الاستدلال بالمعجز
٧٦ كلام أبى هاشم فى الاستدلال بالأكوان
٧٨ بيان الحجة على الله من غير طريق الأكوان
٨١ ذكر الآيات الدالة على وحدة الصانع جل وعلا
٨٤ مقارنة أدلة القرآن بأدلة اليونان
٨٦ احتجاج ابن أبى الحديد بدلالة التركيب لا بالأكوان
٩١ اثبات الفرق بين آثار الاتفاق وآثار قدرة الخلاق
٩٢ ابطال مذهب الطبيعيين بالدليل الحسى
٩٥ استدلال البدوى بالفطرة على وجود الصانع
٩٦ نظر الخليل عليه السلام وكلامه مع الرب الجليل
٩٧ الكلام فى أصعب مايرد على المتكلمين
١٠١ الكلام فى صفات الجوهر الاربعة
١٠٣ بيان أن الدليل الاجمالى فى معرفة الله كاف فى حق العوام
١٠٥ بيان أن من خير أدلة التوحيد (مرج البحرين يلتقيان)
١٠٧ الفرق بين صاحب المعجزة والكاهن والساحر
١٠٩ نقل دليل الانفس للعلامة مختار المعتزلى
١١٠ الكلام على دليل الآفاق
١١١ بيان ما أودعه الله تعالى فى الانملة الواحدة من العجائب
١١٤ الكلام فى مفاد آية (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت)
١١٥ احترام العرب للحرم ولاجزائه فى الجاهلية
١٢٠ احتجاج أبى هاشم على إثبات الكون المختلف فيه
١٢٩ رجوع المؤلف الى تمام الكلام فى القرآن الكريم

صحيفة

١٣١ نظم ابن أبى الحديد فى ذم الفلاسفة
١٣٦ الشعر الصوفى فى التوحيد الحق
١٣٩ كلام أمير المؤمنين سيدنا على والامام الشافعى رضى الله عنهما
١٤١ الكلام فى ان الراسخين يعلمون تأويل المتشابه أم لا
١٤٦ حجة القائلين بأن الراسخين يعلمون تأويل المتشابه
١٤٩ بيان أدلة القائلين بأن الراسخين لا يعلمون تأويل المتشابه
١٥٣ الكلام فى الوجه الثالث وفيه النهى عن تفسير القرآن بالرأى
١٥٤ وصف سيدنا على عليه السلام للراسخين فى العلم
١٥٥ تقسيم زيد بن على عليهما السلام للقرآن على أربعة أوجه
١٥٩ البحث الدقيق فى أما وما يذكر بعدها
١٦٢ الكلام فى أن أما كما تكون للتفصيل تكون للتوكيد
١٦٧ بيان القسم الثانى من المتشابه الشرعى
١٦٨ بيان المصنف فى أنه لا يوجد جبرى محقق
١٧١ الرد الشافى على من استبعد إحياء الموتى
١٧٤ بيان كلام العجماوات والجمادات
١٧٩ رد المؤلف على الزمخشرى
١٨٧ الاستدلال بكلام النملة على عقلها وفهمها
١٨٩ فصل فى الاشارة إلى ما يعرف به المجاز من الحقيقه
١٩١ بيان قرائن المجاز الثلاثة

بيان الخطأ المطبعى وصوابه فى كتاب ترجيح أساليب القرآن

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١٣	٦	مغائبين	الغائبين
١٥	١٥	لها كافرين	بها كافرين
١٦	٨	وتقصَّى	وتقصّى

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١٧	٢	عمل أجر	عمل به أجر
٢٧	٣	الكاف فقه	الكاف فى فقه
٥٤	٥	فان جادلوك	و إن جادلوك
٦٤	٢	هذا السؤالات	هذه الأسئلة
٦٤	٦	و إلا احتجاجا	و إلا احتاجا
٦٨	١٧	وتوكد ذكائه	وتوقد ذكائه
٧٣	٥	وأنه فى كلامى يفيد	وانها فى كلامى تفيد
٧٩	٥	أن تكون قديما	أن تكون قديمة
٨٢	٣	لآيات	لآية
٨٢	١٠	أم يهديكم	أمن يهديكم
٨٥	١٥	موسى آيات	موسى تسع آيات
١١١	١٤	قذفة	قذفه
١١٧	٤	رحمة الله	رحمه الله
١٢٠	٨	لاثباتها	لاثباته
١٢٥	٤	يقدرا على	يقدر على
١٤٢	٤	تيميه	تيمية
١٦٠	١٥	اولاستلز م	أو لاستلزام
١٦٦	١٥	لم يتحهق	لم يتحقق
١٦٧	٨	وجوده	وجود
١٦٩	١١	حلال	جلال
١٧٣	١٧	مقدو[illegible]	مقدورالله
١٧٩	١٠	تو[illegible]	وتجويزه
١٩٢	٥	الا[illegible]	لاأعرف
١٩٣	١٠	هو وأنزلنا اليك الذكر المبين	هو المبين للمجمل من القرآن قال تعالى (وأنزلنا
١٩٢	[illegible]	[illegible]	حطبة